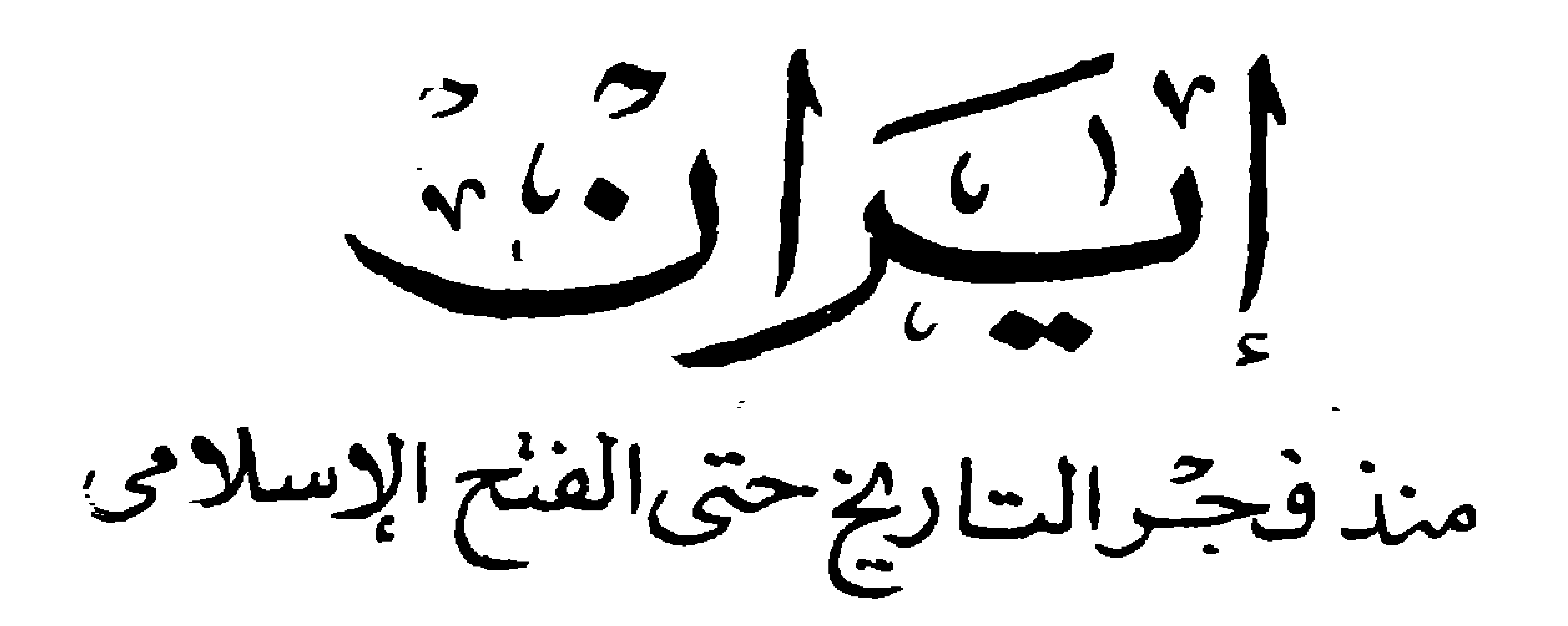
إيران

منذ فجر التاريخ حتى الفتح الإسلامى



دكتور محمد عبد القادر محمد



دكتور محمد عبد القادر محمد

استاذ كرسى الآثار المصرية ـ جامعة القاهرة
استاذ التاريخ الفرعونى ـ جامعة الرياض
رئيس مجلس ادارة هيئة الآثار
مؤسس وعميد كلية الآداب جامعة المنصورة

الطبعة الأولى
١٩٨٢

الناشر : مكتبة الأنجلو المصرية
١٦٥ شارع محمد فريد ـ القاهرة

رقم الايداع ٤٢٢٧ لسنة ١٩٨١

فهرس الموضوعات

الموضوع	صفحة

إلى

روح

صدقى أمين ملطى

العالم المتواضع

والصديق الأمين



تقديم

يستعرض هذا الكتاب فى إيجاز شديد الحضارات المختلفة التى ظهرت فى المنطقة التى تشمل اليوم إيران وأفغانستان منذ فجر الحضارة الإنسانية حتى سقوط مملكة الفرس الساسانيين فى أيدى العرب المسلمين. وقد كانت حضارات ماقبل التاريخ متألقة ومتطورة فى بعض الأماكن مثل تبة جنى داره وسيالك. ولكن بقيت إيران بعد ذلك لفترة طويلة، نظراً لطبيعتها الصحراوية والجبلية خالية من أى مظهر من مظاهر النشاط الحضارى فيما عدا منطقة الأهواز (خوزستان) التى كانت تعرف قديما باسم عيلام (ايلام). وهذه المنطقة إمتداد طبيعى للسهل الجنوبى لبلاد الرافدين، غير أن سكانها مختلفون، إذ كانوا من الأقوام التى انحدرت داخل إيران فى الأزمنة المختلفة. وقد نشأ بينهم وبين سكان جنوب بلاد الرافدين حروب مستمرة ومدمرة، كان النصر فيها حليفهم فى بعض الأحيان ونجحوا فى تكوين مملكة الكاشيين فى جنوب بلاد العراق التي استمرت حوالى خمسمائة سنة ولم تقم أية مملكة ذات قيمة بعد زوال مملكة الكاشيين. وبقي تاريخ عيلام غامضا. ثم في القرن الثالث عشر قبل الميلاد تأسست أسرة جديدة بلغت سوسه أثناء حكمها درجة كبيرة من القوة. ولكن منذ حكم نبوخذ نصر الأول في بابل بدأت الإمبراطورية العيلامية في الأضمحلال [٦٠٦—٥٦٢ق.م] وفى القرن الثامن جاءت قبائل عديدة منهم الكيمريون و/الأورارتو/ واللولوبى في إقليم القوقاز والأسكيذ واللبور إلى داخل إيران ثم جاء الميديون مع الفرس الأخمينيين الذين نجحوا فى إنشاء أعظم إمبراطورية

فارسية فى العالم القديم ، وكانت إحدى عواصمها مدينة بابل المشهورة . وقد قضى الاسكندر على هذه الامبراطورية فى عشر سنوات حوالى ٣٣٠ ق.م — وحولها إلى ولاية إغريقية عرفت فيها بعد باسم سلوقيا نسبة إلى القائد الإغريقى الذى صار ملكا عليها بعد وفاة الاسكندر . ولكن فرعا من الفرس يعرف باسم [البارثيون] نجح فى تقويض دعائم سلوقيا واستمروا فترة طويلة يحكمون البلاد كأمراء إقطاع حتى نجح أحدهم وهو بابك بن ساسان فى توحيد إيران مرة أخرى ، وإنشاء مملكة الساسان التى كانت عاصمتها طيسفون [المدائن] فى بلاد الرافدين . وانتهت دولة الفرس الساسان بالفتح الإسلامي عند منتصف القرن السابع الميلادى تقريبا . وذابت إيران داخل الحكم الإسلامى

ولكن الفرس لعبوا دوراً رئيسيا فى مساعدة العباسيين أثناء دعوتهم عند قيام دولتهم على أشلاء الدولة الأموية إبتداء من سنة ١٣٢ هـ [٧٥٠ م] وتبوأ الفرس منزلة رفيعة فى صدر الخلافة العباسية وحتى نكبتهم المشهورة بنكبة البرامكة فى عهد الخليفة هارون الرشيد .

وبعد ذلك استعانت الخلافة العباسية بالعنصر التركى إذ استكثرت منهم وحلوا محل الفرس فى العهد الأول للخلافة العباسية إذ اعتمد عليهم العباسيون فى تدعيم جيوشهم وفى تعيينهم ولاة بالأقاليم المختلفة ، واستغل الترك هذا المركز لمصلحتهم فى الإستيلاء على السلطان فى بعض الولايات ، وكانوا محاربين أقوياء . نجحوا فى محاربة البيزنطيين ثم الأوربيين ونجح خلفاؤهم فيما بعد فى التصدى للصليبيين بالشام ومصر بعد ما احتلت جيوش الصليبيين مواقع هامة فى البلدين . وفى مرحلة تالية قدم من أواسط آسيا الأتراك العثمانيون واستقروا بآسيا الصغرى على حساب أملاك الدولة البيزنطية ،

ونجحوا فى تكوين دولة الأتراك العثمانيين واتخذت من عاصمة البيزنطيين عاصمة لها بعد فتحهم لها سنة ١٤٥٣ م، ثم غزوا شرق أوروبا ونشروا الإسلام فى الربوع التى دخلوها شمالا داخل روسيا وبولندا وحول السواحل الشمالية للبحر الأسود وممالك النمسا والمجر حتى بلاد اليونان جنوبا، وكانوا سببا فى نشر الحضارة الإسلامية فى أوروبا التى كانت تغط فى ظلام العصور الوسطى، وكان الانتصار الساحق للأتراك من بين الأسباب الهامة فى اليقظة الأوربية، كما اتحدت كلمة الدول الأوربية شرقا وغربا من روسيا وألمانيا وإنجلترا وفرنسا على القضاء على هذا الخطر الإسلامى الداهم الجديد الذى ذكرهم بحركة الفتوحات الإسلامية فى القرن السابع الميلادى، ونجحت الدول الأوربية فى كبح جماح الجيوش العثمانية الإسلامية وردها إلى حدود آسيا الصغرى ثم ماتلى ذلك من بسط النفوذ الأوربى لمحاصرة العالم الإسلامى وإضعافه بكل الوسائل حتى لا تقوم له قائمة أخرى.

ولا تزال الحرب دائرة بصورة أو بأخرى بين التيارين الإسلامى والأوربى حتى اليوم.

جغرافية إيران

هضبة إيران تمثل مثلثا يقع بين منخفضين ، الخليج العربى فى الجنوب وبحر قزوين وسهل التركمان فى الشمال ويحدها من جميع الجهات سلاسل جبلية مرتفعة . وعندما كان معظم أوربا مازال واقعا تحت تأثير الحقبة الجليدية ، كانت إيران تمر بفترة مطيرة . وبين ١٥٠٠٠ و ١٠٠٠٠ قبل الميلاد بدأت بعدها فترة جفاف لا تزال سائدة حتى الآن . والهضبة الوسطى من إيران كانت أصلا مغطاة ببحر داخلى كبير جفت مياهه وصار منطقة صحراوية ملحية لا يسهل السير فيها بجيوش كبيرة وهى تنقسم إلى صحراوين دشت اللوت فى الشمال ودشت الكافر فى الجنوب . وسلسلة الجبال الشمالية تعرف باسم جبال البرز وتكاد تحف بشاطىء بحر قزوين الجنوبى .

أما جبال زاجروس فتقع غربى الهضبة وتبدأ من الشمال الغربى وتمتد متجهة جنوبا وهى عبارة عن سلاسل متوازية تحصر فيما بينها عدداً من الوديان . وفى الشرق توجد سلسلة جبال خرسان وهى قليلة الارتفاع سهلة العبور . أما السلسلة الجنوبية التى تحد الهضبة الإيرانية جنوبا فهى جبال مكران حيث يخرج من بين هذا الجبال ممران أحدهما ينتهى فى بندر عباس، والممر الثانى يؤدى إلى بلوخستان . ويوجد بين دشت اللوت وجبال البرز المغطاة بالغابات حزام من نوع المراعى الباردة [الاستبس] تتخلله على مسافات مناسبة واحات غنية تسقيها عيون من الماء العذب . وفى هذه الحزام يمتد الطريق الوحيد بين شرق آسيا وغربها ، وهو طريق الحرير المشهور الذى يصل إلى الصين فى الشرق وعليها تمشى القوافل حتى تصل إلى القسطنطينية فى الغرب بعد إلتقائها بالطريق الملكى وغيره من الطرق . وعلى طريق

النهر هذا سارت الجيوش العربية حتى نهر جيجون فعبرته واستولت على بخارى وسمرقند وتابعت سيرها حتى حدود الصين .

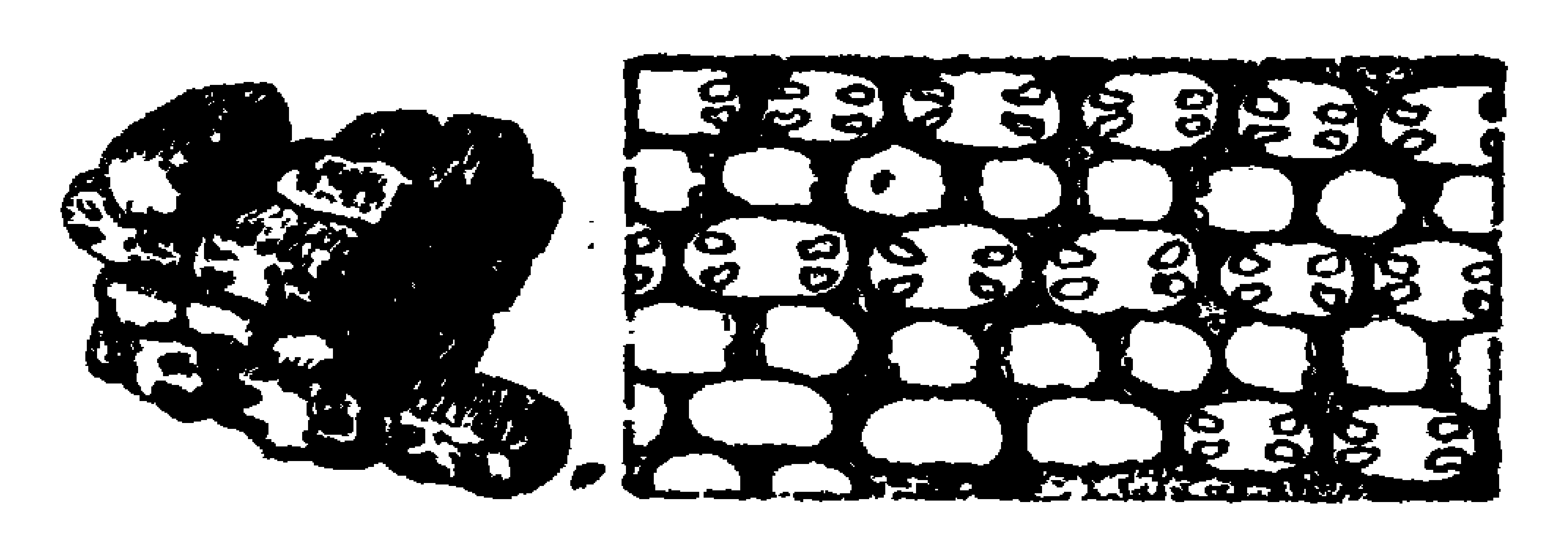
وتمتاز آذربيجان التى تنتهى به جبال البرز عند نهايتها الغربية ، بكثرة ماتنمو به ودیانها من حنطة ودخن وتبغ وأرز . وهى الباب الأول الذى انحدرت منه الأقوام الفارسية المشهورة مثل قبائل [الماديين] والفرس وغيرها من الأقوام مثل اللولوبى والأورارتيين .

أما جبال خراسان القليلة الارتفاع فهى المدخل الثانى إلى بلاد إيران . وهى ذات وديان وسهول خصبة تنمو فيها غلال الحبوب والأرز والقطن والكروم والخشخاش .

وهكذا كانت الحياة محتملة فى الوديان وفى السهول الفسيحة خارج الهضبة وخاصة سهل خوزستان (الأهواز) وكان مقر لأقدم حضارات إيران. وإيران غنية أيضا بمواردها الطبيعية من الأخشاب والأحجار مثل المرمر والرخام والأحجار النصف كريمة، اللازورد والفيروز، كما يوجد بها أيضا معادن النحاس والحديد والقصدير والرصاص، كما عرف النفط بها منذ أقدم العصور . وصار مصدر ثرائها فى الوقت الحاضر .

حضارات ماقبل التاريخ

يمتد عصر ماقبل التاريخ فى إيران إلى فترة طويلة موغلة فى القدم. لكن الحضارة فيه لم تزد عن كونها حضارات قرى زراعية، ولم يشذ عن ذلك إلا إقليم واحد فقط، ألا وهو ذلك الإقليم الواقع جنوب غرب إيران، أى خوزستان أو سهل سوسيانا، وهو إمتداد طبيعى لسهل بلاد الرافدين. وفى هذا الإقليم كانت حضارة ايلام (عيلام) الممتازة مزدهرة إبان الألف الثالث قبل الميلاد وقد كشفت أعمال التنقيب فى العديد من تلاله عن مساكن وجبانات لهذه المجتمعات الزراعية. وقد عرفوا فن بناء المساكن. وكانت الجدران تبنى فى الأول بالجالوس، ثم استعمل بعد ذلك اللبن المجفف فى الشمس. وكان الموتى يدفنون بصفة عامة داخل البيوت نفسها.



شكل ١ : أقدم أنواع الطوب التى (المعروف باسم الجالوس)

والجزء الأكبر من الآثار المتخلفة عنهم يتكون من فخار كان يستعمل فى أغراض شتى. والفخار الذى عثر عليه داخل البيوت كان من نوع معد للاستعمال اليومى. وكانت هذه الأوانى بصفة عامة ذات جدران سميكة وعليها نمط من الزخرفة أخشن من نمط زخرفة الفخار الجنازى المصنوع خصيصا للموتى. وربما الفخار الخاص بالموتى لم يستعمل فى الحياة اليومية على الإطلاق. ونظرا لعدم وجود دليل مكتوب قبل الألف الأول قبل الميلاد عن مجتمعات

هذه القرى ، فإن فخارهم هو العنصر الهام الذى يعتمد عليه فى ترتيب هذه الحضارات ترتيبا زمنيا ، وفى توزيعها الجغرافى ، إذ أن هـذه الأنماط من الفخار كانت تتغير كثيراً وتظهر أشكال جديدة ، وتصميمات جديدة أو ألوان جديدة ، تيسر تتبع مراحل المدنيات الجديدة المتطورة . ومن ثم فمن الممكن وضع تسلسلى زمني نسبي يعتمد على تتابع الأساليب المختلفة .

والفخار ، خاصة الفخار الملون يكوّن النشاط الفني الرئيسي لمجتمعات القرى فى إيران القديمة . حقا أنه لا توجد حضارة أخرى أنتجت أساليب محلية عديدة أو مدارس عديدة غنية إلى درجة كبيرة من التصميمات الزخرفية. وهذا التنوع فى الأسلوب يتباين تباينا شديدا مع تجانس فخار بلاد الرافدين. وسبب هذه الظاهرة تفسره الملامح الجغرافيا الطبيعية للبلاد حيث تفصل الوديان الواسعة بعضها عن بعض أقاليم جبلية ، مما يجعل لكل إقليم خصائصه المتميزة . وعلى كل فوجود تشابه بين الأساليب العديدة رغم تباعد المناطق السكنية عن بعضها ، يدل على أن الإنفصال لم يكن تاما بل كانت توجد اتصالات فيما بينها لأن كل تشابه بين أنواع الفخار المختلفة يثبت وجود هذا الاتصال بين هذه المجتمعات المختلفة . وأعمال التنقيب التى قامت بها البعثة البلجيكية فى تلال عصور ماقبـــل التاريخ فى السهول المحيطة باصطخر (برسيبوليس) ، كان الهدف منها هو إمدادنا بفكرة عن المدنيات المختلفة التى قامت الواحدة تلو الأخرى فى هذا الإقليم وتحقق مدى انتشار كل من هذه الحضارات . ولما كان الفخار يكون الأشكال المختلفة للمدنية فى هذا الإقليم أطلق على كل حضارة اسم التل الذى يحتوى على أكبر كمية من الأشياء النمطية منها . وفى السطور التالية سنبدأ وصف الحضارات المتتالية :

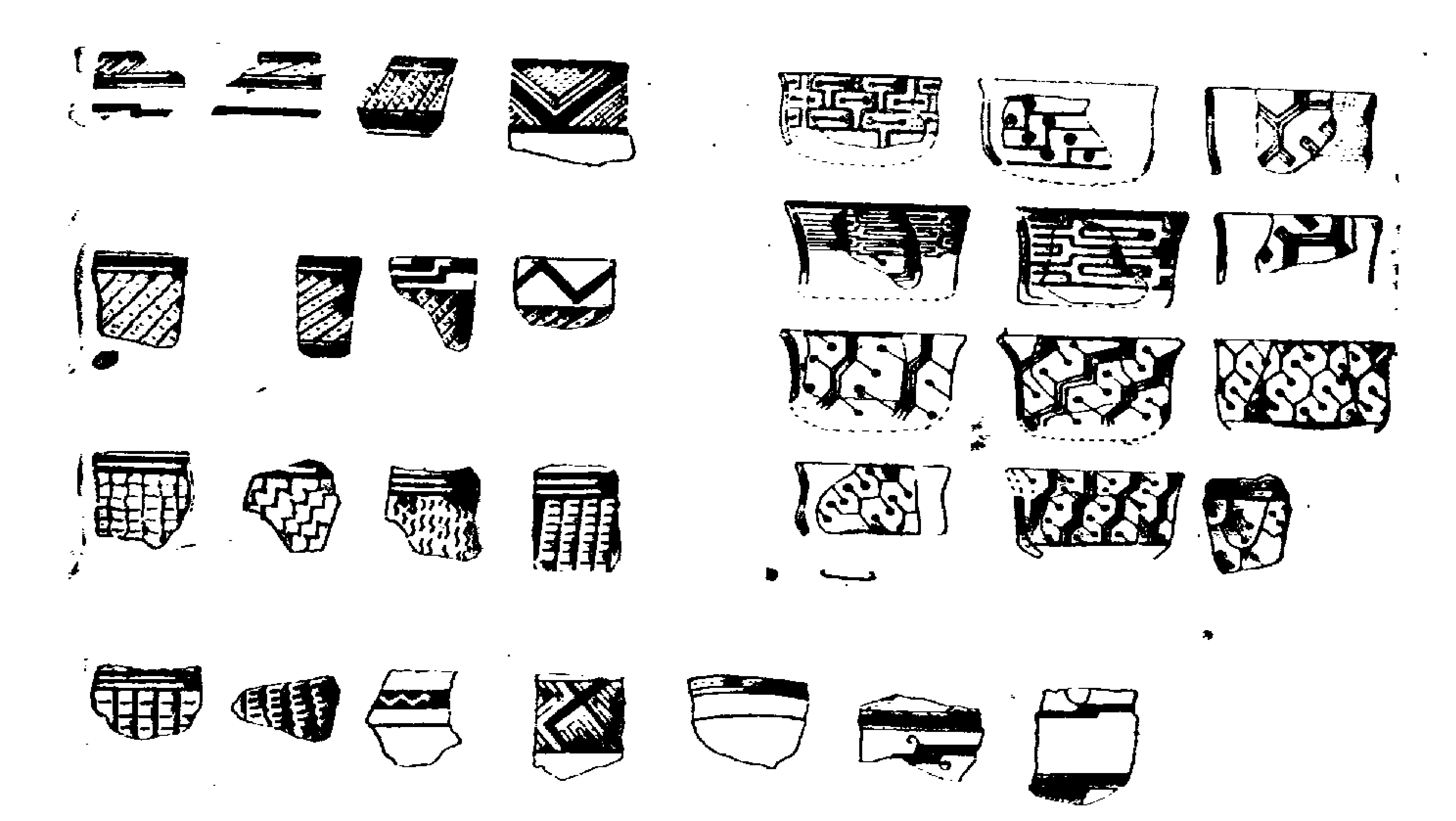
حضارة تبة جنى دارا : Tepe Gani Dareh

أقدم حضارات هى التى وجدت فى موقع تبة جنى داره فى غرب إيران ويرجع تاريخها إلى ما يزيد عن ٧٠٠٠ ق . م . وقد بنى قرويو هـذه العزبة بيوتهم من اللبن المجفف فى الشمس كما ربوا الماعز وصنعوا فخارا محروقا حرقا خفيفا بالنار . وفى الألفين الخامس والرابع قبل الميلاد كان معظم إيران واقعا تحت تأثير حضارتى العبيد والوركاء فى بلاد الرافدين ، وتحولت القرى الصغيرة إلى بلدان كبيرة نوعا ما . وفى السوس بصفة خاصة كان يصنع فخارا رقيقا ورشيقا (سوس ١٠) . وقد عثر على فخار ملون مشابه فى تل باكون ومواقع أخرى فى غرب إيران .

وعلى حافة الصحراء الملحية الكبرى فى قلب الهضبة الإيرانية ازدهرت حضارة أخرى فى مواقع مثل سيالك (مستوى ٣) تبه حسار (مستوى ١) وفى ساجس أباد والفخار من هذه المواقع كان عادة يلون بصور الحيوانات والطيور .

حضارة تل جرى ب Talli Jari B :

تتميز هذه الحضارة بفخار ردىء خشن الملمس ، لونه أصفر ضارب إلى الرمادى ومحلى برسومات باللون البنى القاتم . ووحداته الزخرفية بسيطة هندسية مأخوذة عن النسيج . وهذا الأسلوب عثر عليه فى أكثر من أثنى عشر موقعا يرتبط بفخار سيالك الأولى فى شمال إيران ، يدل على ذلك طريقة صناعته وأشكاله وزخرفته أيضا . وهـذا الفخار ينتمى إلى المرحلة الكالكوليثية المبكرة الأولى ويمكن تأريخها ما بين ٥٥٠٠ — ٥٠٠٠ ق.م



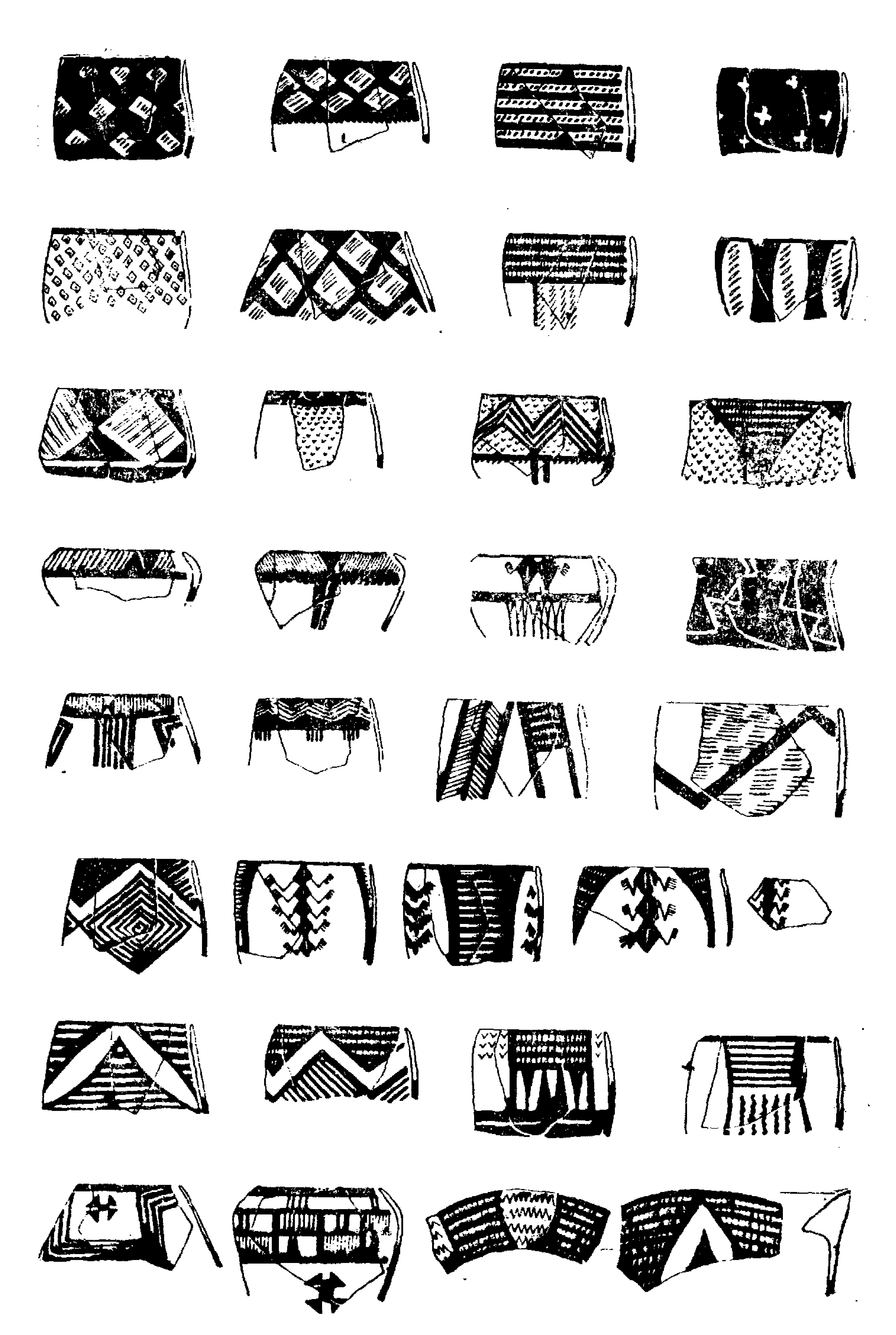
شكل ٢ : فخار من تل جارى أ وتل موشكى، ب من سهل جنوب مدينة فارس

حضارة تل موشكى Talli Mushki :

هذا الأسلوب يمثله الفخار الأحمر ، الأوانى عادة صغيرة وعليها زخرفة هندسية متجانسة باللون الأسود تتكون من نقط كبيرة تخرج منها أشرطة متعرجة . وقد عثر على هذا الأسلوب فى ثلاثة مواقع وكانت له وشائج مع سيالك الثانية فى شمال إيران ، ويؤرخ من الفترة الكالكوليثية المبكرة الثانية ، أى مابين ٥٠٠٠ — ٤٥٠٠ ق م

حضارة تل باكون Talli Bakun :

تتمثل هذه الحضارة فى أربع مستويات، والفخار الذى عثر عليه فى أكثر من عشرين موقعا مختلفا مصنوع من الطين النقى ، وهو رقيق ومحروق حرقا جيداً ومصنوع على دولاب فخار بطىء ، ومن أشكاله المتميزة الأطباق وكؤوس مخروطية الشكل وسلاطين بقدم أو بدون، ولأول مرة تشتمل الزخرفة



شكل ٣ : فخار جيان ، معاصر للعبيد ، له صلة بفخار خوزستان

النبتية القائمة على تصميمات هندسية معقدة ورسومات مستمدة من عالم النبات والحيوان ، ومن الحيوانات المستعملة فى الزخرفة بكثرة ، السمك ، الثعبان ، عقارب ، طيور مائية ، غزلان ، فهود ، نمور ، وأشكال إنسانية محورة . وقد وصل الفخار الإيرانى الملون إلى الذروة فى تل باكون فى فارس ، وفى أسلوب سوسة الأولى فى خوزستان ، وأسلوب تبة سيالك الثالثة وتبة حصار الأولى فى شمال إيران فى فترة نهاية عصر بداية استعمال المعادن (السكالكوليثى المتأخرة) ، ويمكن تأريخها حوالى ٤٥٠٠ — ٣٥٠٠ ق • م ، ثم بدأ هذا الازدهار للتراث الفنى فى فخار إيران الملون يضمحل فى فارس فى النصف الثانى من الألف الرابع قبل الميلاد •

حضارة تل كفعارى :

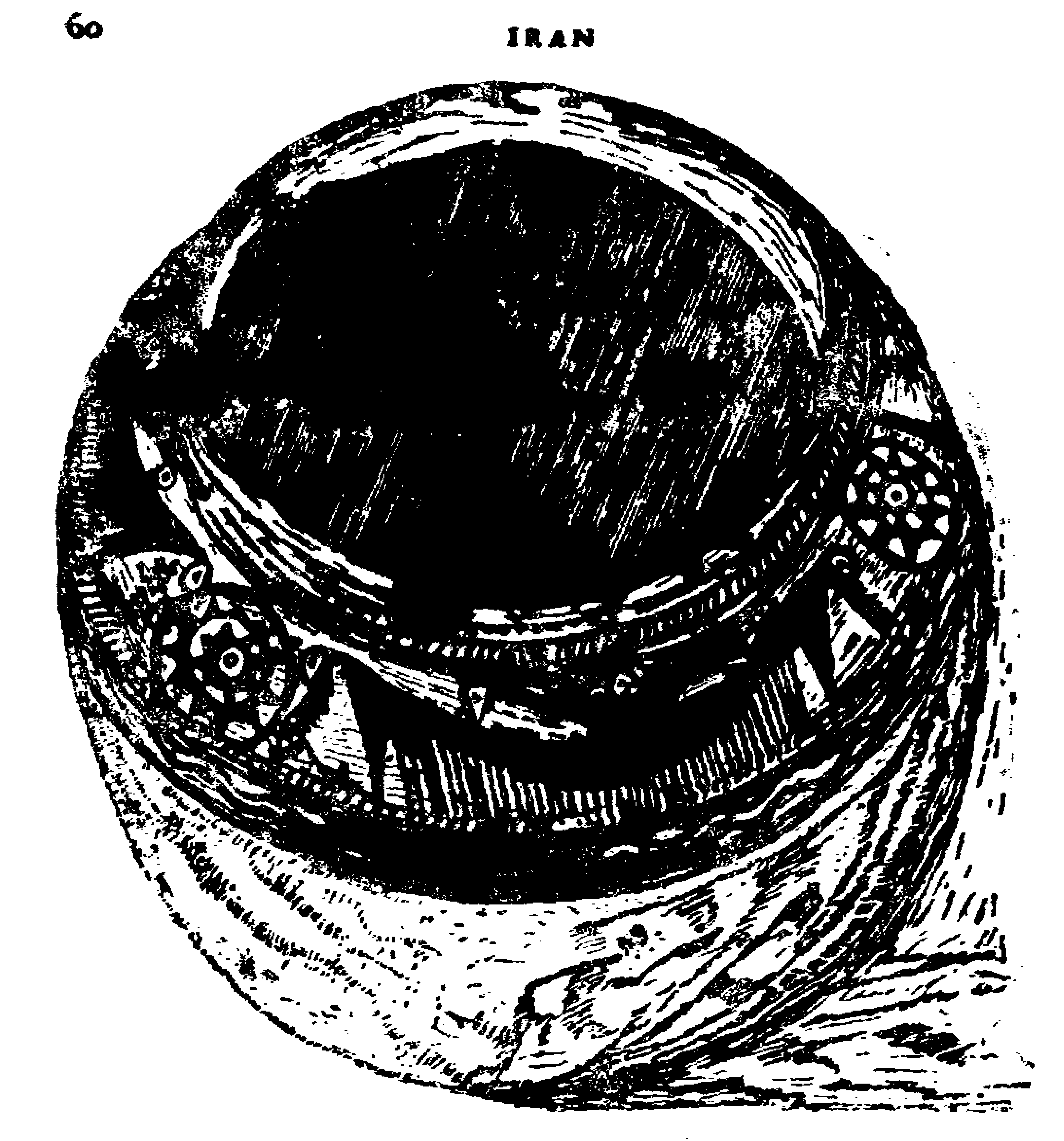
تتميز بثلاث مجموعات من الفخار

١ — فخار أحمر غير ملون •

٢ — فخار له خلفية حمراء وزخرفة سوداء •

٣ — فخار له خلفية بيضاء ضاربة للصفرة أو رمادى مصفر ، مع زخرفة بنية قاتمة •

وزخرفة النوعين الآخرين تتكون من وحدات هندسية ، وخطوط متوازية ومتعرجة وخطوط متموجة أو متداخلة ، والمجموعة الأولى ترتبط مع فخار تل باكون ا — ٥ (A.ة) ، والمجموعتان الثانية والثالثة ترتبط مع أسلوب سيالك الرابعة ، ولكن تحديد زمنها غير مؤكد ، وربما تكون ما بين ٣٥٠٠ — ٢٥٠٠ ق • م



شكل ٤ : جيان (الزاجروس) فخار من الطبقة الرابعة ملون باللون الأسود وفوق الكتف يصور عرف طائر . وهو محور عن فن بلاد الرافدين وصورة صقر يصطاد فريسة . لاحظ الإستطالة فى جسم الطائر .

حضارة تل القلعة :

خزف هذه الحضارة مصنوع من صلصال محروق حرقا جيداً . واللون الأساسى فيه هو الرمادى المصفر أو وردى فاتح [بمبة] وزخرفته باللون البنى القاتم . والزخرفة لا توجد إلا على أكتاف الأوانى الدائرية وعلى الجزء العلوى من الأقداح الرشيقة والكؤوس . وهى تتكون من أشرطة أفقية بينها خطوط متقاطعة ، وتصميما على شكل رقعة الشطرنج ، وطيور مائية عائمة ؛ وهذا الأسلوب الذى عثر عليها فى تنقيبات الطبقة الثانية ، وتل تيموران طبقة ١٧ ، وتل كين ، تبين بعض وشائج مع سوسة د . س [D.C.] وتبة جيان ٤ ، ويمكن ارجاعها إلى حوالى ٢٥٠٠ — ٢٠٠٠ ق . م .

حضارة تل شوغا : Talii Shugha

هذه الحضارة تلى مباشرة الحضارة السابقة ويتميز فخارها بأوانى محروقة حرقا رديئا . واللون الأساسى رمادى محمر وعليه زخرفة باللون البنى المحمر أو البنى القاتم . والأشكال الرئيسية التى عثر عليها تتكون من كؤوس مستديرة وسلاطين وزلع ، وصحاف وأوانى ذات ثلاثة أرجل وأشكال هندسية أيضا ،



شكل ٥ : مدينة فارس : كأس فخار ملون بالصليب ، وبدوائر ضخمة بحيوان صغير

والزخرفة تشتمل على عناصر عديدة مستمدة من عالم النبات والحيوان . ويوجد رسومات عديدة لحيوانات مثل سمك وحشرات عقارب ، طيور مائية ، طيور طائرة ، وأشكال إنسانية أيضا . وهذه الحضارة التى عثرت

عليها البعثة البلجيكية فى تل شوغا الطبقة الأولى ، وتل القلعة طبقة أولى ، وتل تيموران طبقة ثالثة ، تل كمين ، وتل دروازه [Darvazah] ، وفى سبع روابى أخرى ، هى التى تميز الإقليم ، ولم يعثر عليها فى أى مكان آخر من إيران ، وإن كان يوجد لها وشائج مع تبة جيان الثالثة ويعين تأريخها ٢٠٠٠ — ١٦٠٠ ق . م .

حضارة تلى تيموران : Talli Taimuran

توجد هذه الحضارة فى تل تيموران الطبقة الثانية وتتكون من ثلاثة أنماط من الفخار ظهرت فى وقت واحد :

ا — فخار أحمر رمادى عليه زخرفة سوداء تتكون من خطوط متوازية على الرقبة ومن أشجار محورة وشجيرات حول بطن القدر .

ب — فخار رمادى محمر عليه زخرفة بنى محمر أو سوداء ، تتكون كلية من خطوط متوازية أفقية مجمعة حول الرقبة ، وعلى أكتاف الكؤوس أو الزهريات وعلى الأطراف الخارجية للأطباق فخار متماثل يظهر فى تبة جيان الثانية وفى شمال بلاد الرافدين حيث يعرف باسم فخار خابور .

النمط الثالث من الفخار هو فخار غير ملون ، بل لونه أشبه بلون رماد السجاير ويرجع تاريخه إلى تاريخ حضارة تل تيموران أ . إلى ١٦٠٠ — ١٢٠٠ ق . م

حضارة تل تيموران ب :

تتميز هذه الحضارة بفخار أسود غير ملون عثر عليه فى طبقة تيموران الأولى . وهى تنتمى إلى الفخار الأسود الرمادى من تبة جيان الأولى — ب وإلى جيانة ا فى تبة سيالك ويرجع تاريخه إلى ١٢٠٠ — ١٠٠٠ ق . م .

حضارة تل جالاباد : Talli Jàlàbad

هذا الخزف يتكون من أوانى غير ملونة سوداء وحمراء ، كشف عنه فى عدد من الروابى فى إقليم فارس . وهذا الفخار الذى يرتبط مع فخار جيانة سيالك — ب ، يمثل فخار هؤلاء الإيرانيين الذين وصلوا إلى سهل فارس [اصطخر] ما بين ١٠٠٠ — ٧٠٠ ق . م .

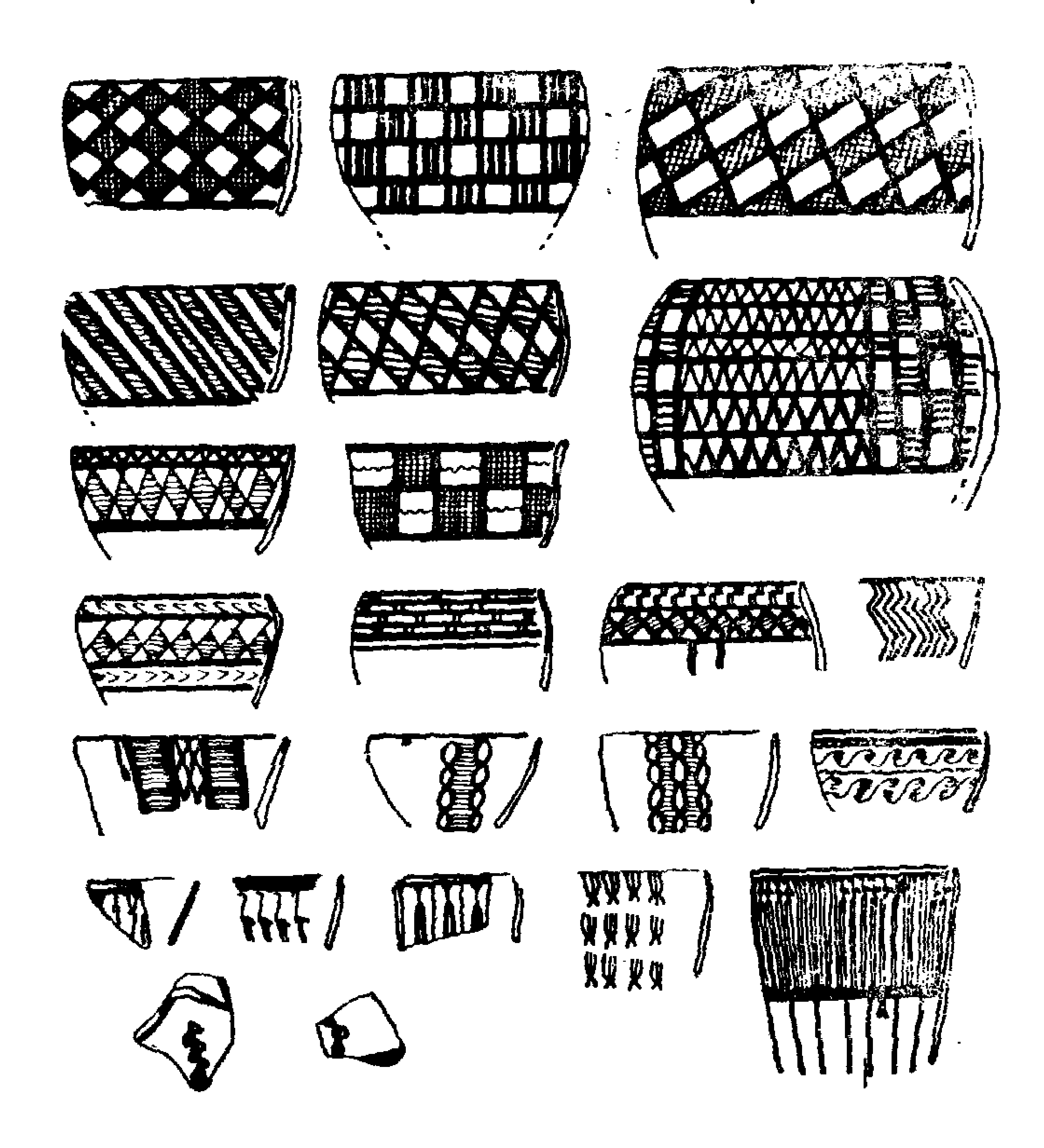
والبحث الأثرى الذى أجرى فى السهول حول اصطخر [برسيبوليس] ساعد على تأسيس ، ولأول مرة ، تتابع حضارات ما قبل التاريخ العديدة ، بالإضافة إلى أنه يوضح بدقة أهمية كل من هذه الحضارات ومدى إنتشارها فى ربوع إيران .

حضارات سيالك : (قرب قاشان) Sialk

سيالك الأولى : والسكان الأوائل لسيالك الأولى فى الألف الخامس قبل الميلاد كانوا صيادين وكانوا يكملون قوتهم بالزراعة وتربية الحيوان مثل الماشية والأغنام، وسرعان ما استبدلوا مساكنهم التى تشبه العشش بمبانى طينية صغيرة . وقد عثر أيضا على فخار مصنوع باليد من سيالك الأولى فى كهف تانجى بايده . كما امدتنا سيالك الأولى أيضا بفخار ملون محلى بزخارف تقليدا للحصير . وقبل نهاية هذه المرحلة ظهرت أشياء نحاسية ، ولكن سبك المعادن لم يكن معروفا ، وتوحى كمية كبيرة من أشياء مصنوعة من الحجر والطين تشبه المغازل بأنهم كانوا يقومون بنسج الأقمشة . وتبين بعض أعمالهم مثل حلى من الصدف والحجر وحفر أشكال غزال أو أرانب إلخ على مقابض السكاكين مجهودات شعب سيالك فى الفن . وقد عثر على مقبض سكين مشكل على هيئة إنسان يلبس قلنسوه . يعتبر من أقدم تماثيل فى هذه المنطقة . ويدل هذا

الصدف وهو نوع يوجد عند الخليج العربى على قيام تجارة بين منطقتين تبعد كل منهما عن الأخرى بحوالى ألف كيلو مترا .

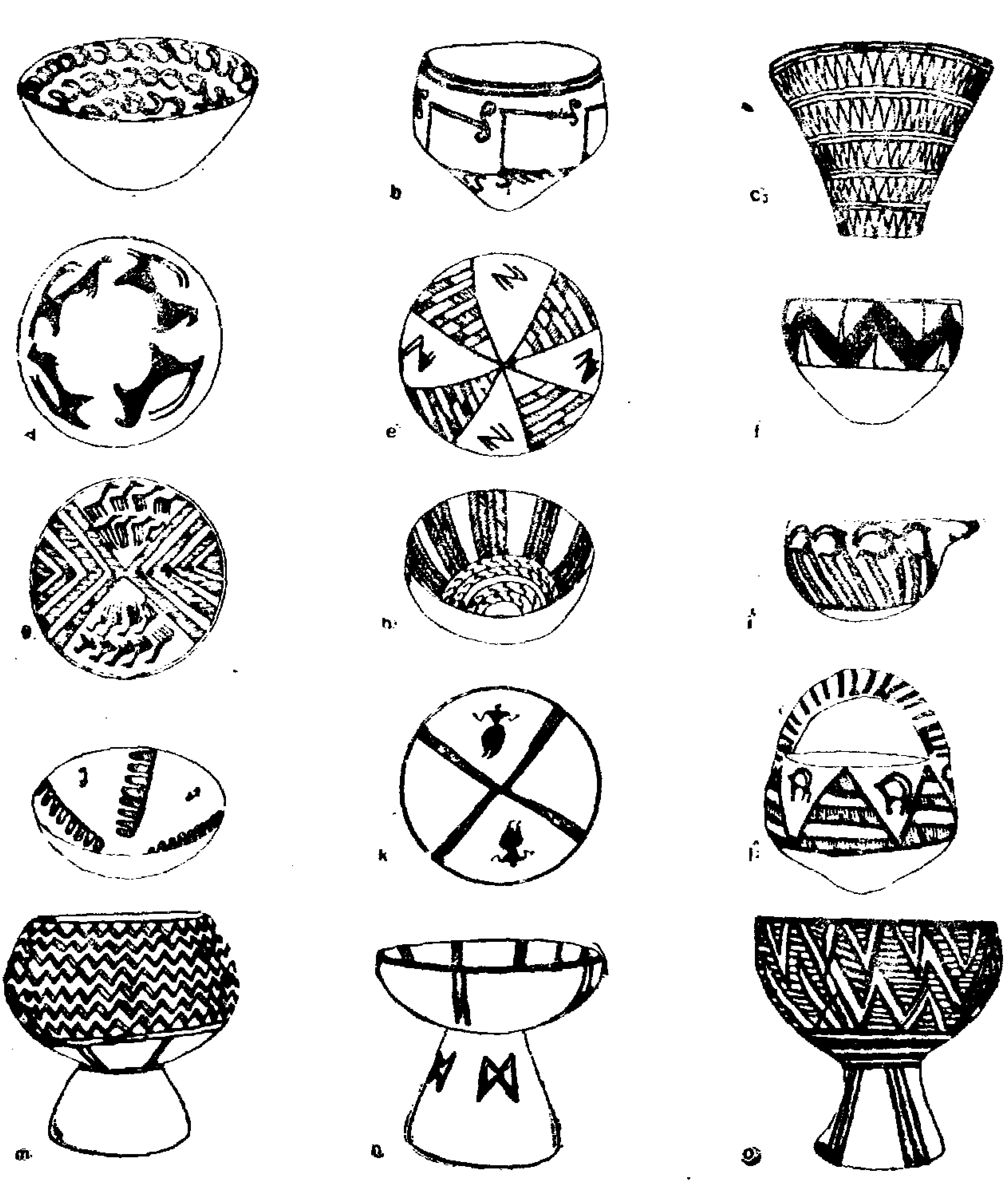
وكان الموتى يدفنون فى وضع مقرفص تحت أرضية البيوت ، وتدل بقع حمراء وجدت على العظم أن الرفات كانت تغطى بمسحوق أكسيد الحديد .



شكل ٦ : سيالك . ٢ — فخار ملون بزخارف هندسية

سيالك الثانية : وخلال الألف الرابع قبل الميلاد أظهرت سيالك الثانية تقدما فى الحضارة المادية فبيوت كبيرة من اللبن وجدرانها الداخلية ملونة باللون الأحمر وأبواب تدور على أوقاب حلت محل المبانى الطينية البيزية البدائية. واستعمال دولاب الفخار أنتج فخاراً أرق ، محلى بحيوانات صورت باللون الأسود على أرضية حمراء . وهى تدل على مهارة ملحوظة فى التنفيذ

لمثل هذا التاريخ المبكر ، كما استخدمت أدوات معدنية مع الأدوات القديمة المصنوعة من الحجر ، وكان العقيق والفيروز من ضمن الحلى . وأخذت مجتمعات القرى فى سيالك الثانية تنمو . بالإضافة إلى الحيوانات التى استؤنست فى المرحلة الأولى، كانت تربى كلاب سلوق ونوع من الخيول الصغيرة ونسمى برزفالسكى، وهكذا تعتبر سيالك الثانية إمتدادا لسيالك الأولى مع شىء من التطور وتقابل حضارة سيالك الثانية حضارة البدارى فى مصر .



شكل ٧ : فخار سيالك ٢ . عثر عليه فى مناطق أخرى مثل إسماعيل أباد (حول طهران) ومن شمشى على ومن ساوه .

سيالك الثالثة : وسيالك الثالثة تشمل الجزء الأكبر من الألف الرابعة قبل الميلاد ، ومادة بنائية جديدة — لبنات مستطيلة تصنع بواسطة القالب — أضفت كثيراً من التحسن على حجم البيوت ومظهرها ، وقد أصبح لها الآن شبابيك ، وإن كانت الأبواب قد استمرت على حالها من الضيق ولا يزيد إرتفاعها عن ثلاثة أقدام [أقل من المتر] ولحماية البيوت من الرطوبة وضع شقف الفخار داخل سمك الجدران . كما كانت تحلى واجهات المبانى بدخلات ، وكانت الجدران الداخلية ملونة باللون الأحمر ، ودولاب الفخار والقمائن ذات المصباب كانت تجديدات هامة فى سيالك الثالثة ، أدت إلى حدوث زيادة كبيرة فى أشكال الفخار وفى ألوانه . وزخرفة الفخار تصور الحيوان فى صورة محورة أو طبيعية كما انتشرت أصنام صغيرة تمثل الإلهة الأم ؛ والأسلحة والحلى كانت غنية بزخارفها . كما تقدم فن صهر النحاس وصبه فى قوالب لصناعة الأدوات المختلفة .

وهذه المراحل الثلاث لسيالك لا يمكن تتبعها فى كل المواقع الإيرانية من عصر ماقبل التاريخ : قم،ساوه ، الرى ود مغان ، فلكل منهما المرحلتان المبكرتان أما فى جيان وتل باكون وسوس ، فلا يوجد أى عمار سابق لنهاية سيالك الثالثة .

عيلام سوسة (شوش) Elam

فى بداية الألف الثالث قبل الميلاد دمرت سيالك الثالثة ، والآثار الباقية من العصر التالى تمدنا بالدليل على قيام حضارة دخيلة — ألا وهى حضارة [سوسة] التى تأثرت تأثراً قويا بحضارة بلاد الرافدين ، فنظراً لطبيعة الأحوال المناخية على الهضبة التى فرضت على السكان حياة رعوية لم تتقدم إيران فى

عصور ما قبل التاريخ بخطى واسعة نحو المدنية إلا فى سوسيانا حيث ظهرت فى الألف الثالثة قبل الميلادأول دولة متمدنة ، وكانت سوسة عاصمة سوسيانا القديمة « منطقة الأهواز » ، وهو إقليم فى جنوب غرب إيران ، يعرف فى التوراة باسم « عيلام » ومن الناحية الجغرافية تكون هذه المنطقة إمتداداً طبيعيا للسهل المجاور من بلاد الرافدين :

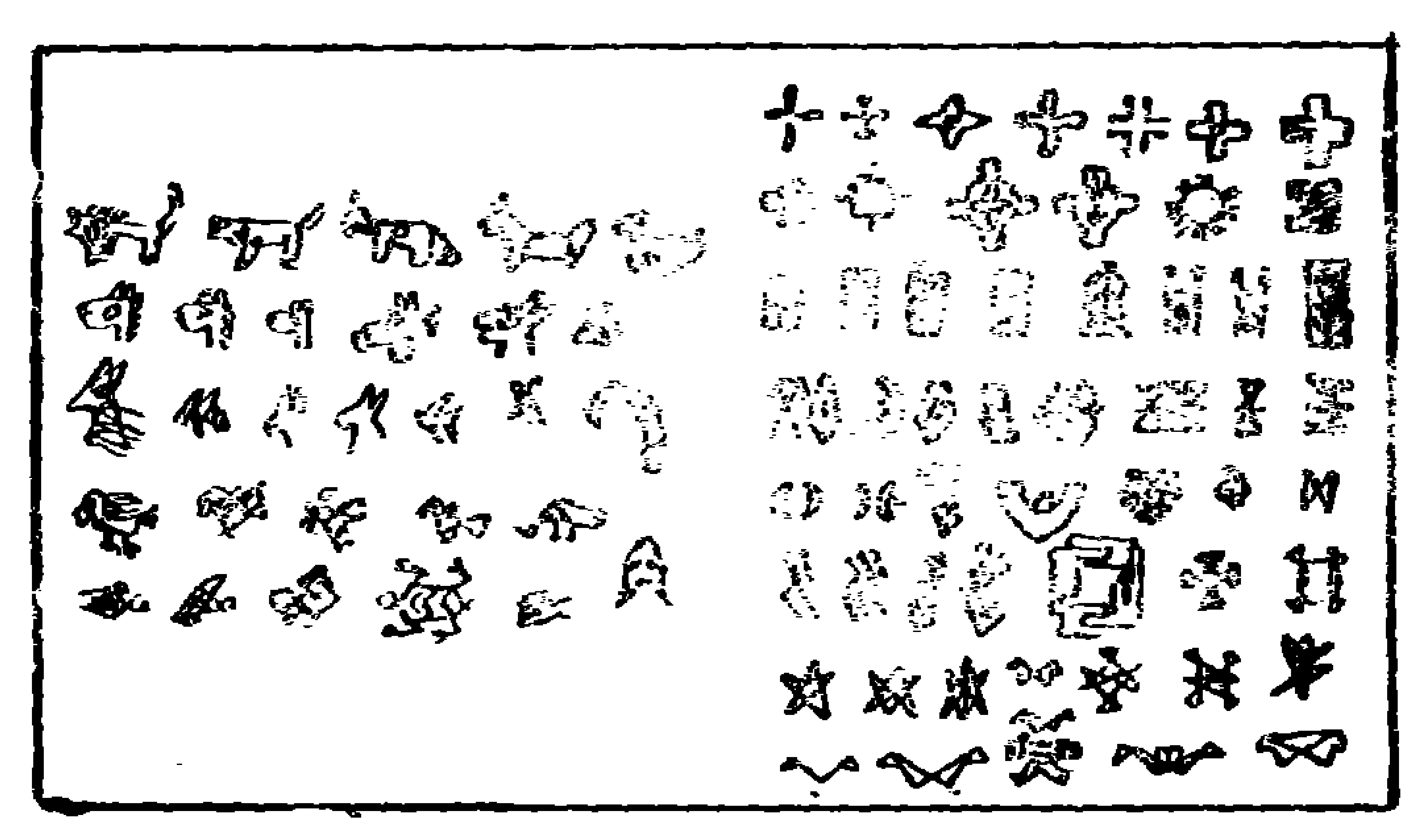
وقد جاء ذكر اسم عيلام لأول مرة فى نقش للملك آن — م — براجى سى الملك الثانى والعشرين من أسرة كيش ، ويطلق على العيلاميين اسم بروتولورس : اللورس الأوائل .

ومنذ ١٨٩٧ قام الأثريون الفرنسيون بأعمال التنقيب فى هذه المنطقة ولذا توجد باللوفر أعظم مجموعة من آثار سوسة من جميع العصور .

وقد كشف عن المساكن الأولى فى رابية القلعة على عمق ٢٣ متراً . وجدت طبقتان من العصر العتيق ، تفصل بينهما طبقة يبلغ سمكها إحدى عشر مترا كانت تحتوى على أنواع من الفخار الملون بألوان بديعة ، وقد تبدأ الحضارة الأولى « سوسة الأولى » فى الربع الأخير من الألف الرابع بقرية عامرة بالسكان ، وكشفت أعمال التنقيب عن جبانة بها حوالى ٢٠٠٠ قبرا : ويبين أثاث القبور مستوا رفيعا من الإنتاج الصناعى ، فكان النحاس مستعملا والمهارة فى استعمال عجلة الفخار تدل على أن الفخاريين كانوا يكونون فئة متخصصة من الصناع : وهذا الفخار المبكر قد أنتج فى سوسة عندما توقف إنتاج فخار العبيد منذ بداية مرحلة أوروك فى بلاد الرافدين :

وسوسيانا القديمة إستخدمت نوعا من الكتابة تعرف باسم « العيلامية البدائية » . كان أيضا معروفا فى الوركا (٤) جمدة نصر : وهو خط شبه

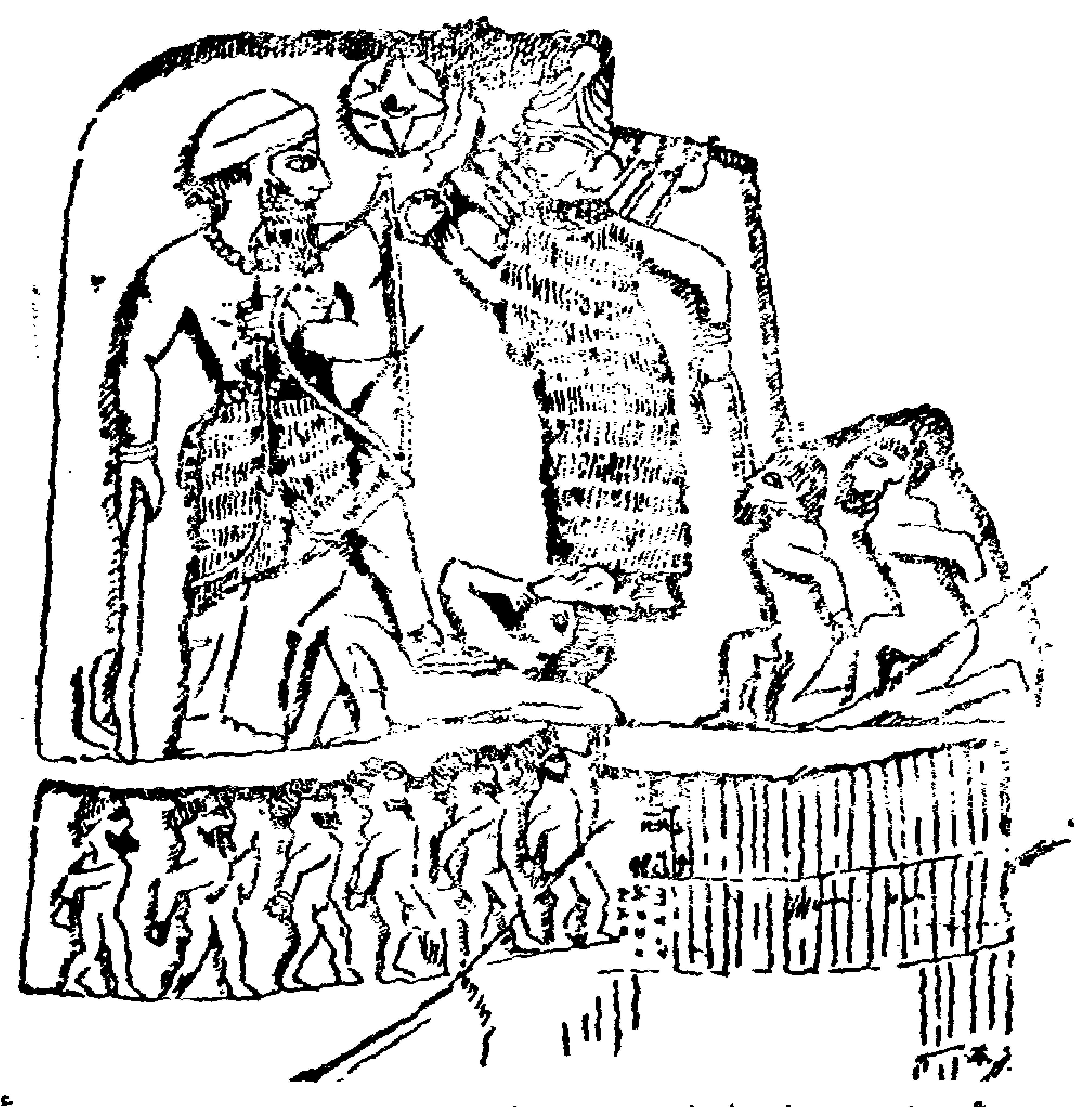
تصويرى يرجع استعماله إلى ماقبل ٣٠٠٠ ق.م. ورغم أن هـذا الخط قد نشأ تحت تأثير حضارة بلاد الرافدين إلا أنه مختلف عنه ، ومن سوسة انتقل هذا الخط إلى قلب هضبة إيران حيث ظل مستعملا قرونا طويلة ، كما انتقل أيضا استعمال الخاتم الأسطوانى فى سهالك :



شكل ٨ : خط عيلامى بدائى . من سوسة معاصر لجمدة نصر .

وحسب السجلات السومرية كانت عوان أم مدينة عيلامية حوالى ٧٦٠ ق . م . ولم تكن سوسة التى كانت أهميتها تجارية فحسب . وخلال العصر الأكادى تأثرت سوسة إلى درجة كبيرة بحضارة بلاد الرافدين ولابد أن سرجون الأكدى قد استولى على سوسة حوالى ٢٣٦٠ ق.م. لأن لوحا له قد وجد فى هذه الموقع ، ثم بعد ذلك فى عهد نرام سن حكم نائب للملك أو (أشاكو للدينة) . وتحمل آثار من الطوب التى نقوشا باسم نرام سن . وفى سوسة حلت اللغة الاكادية محل اللغة العيلامية الأصلية . كما عقد نرام سن معاهدة مع ملك عيلام المدعو خيتا ، ولمدة أربعمائة عام بعد الحكم الكاشى فى بلاد الرافدين بقى تاريخ عيلام غامضا ، ثم فى القرن الثالث عشر ق . م . تأسست أسرة جديدة بلغت سوسة أثناء حكمها درجة كبيرة من الأهمية ، وحكم أونتاش — أوبان (١٢٦٥ — ١٢٤٥ ق . م) كان هاما

لتقدم عيلام فى الحضارة المادية ، كما عثر على تمثال بالحجم الطبيعى للملكة نابيرو — اسو ، زوجة أونتاش — أوبان ، ويزن حوالى طنين ، يدل على مهارة فائقة فى صب المعادن المبكر .



شكل ٩ : أنوبانيني ملك لولوبى . قبيلة جبيلة . يرى الملك واقفا يطأ بقدمه عدوا . وأمامه المعبودة نيني تقدم له الأسرى . نقش على صخرة فى مدخل مدينة رسار بول . مكتوب باللغة الإكادية .

وقد بلغت سوسة أوج مجدها فى عصور شيلخاك انشوشيناك (١١٦٥ — ١١٥١ ق م) وخلفائه . والقاصير المديدة المشيدة فى سوسة زخرفت بالنصب التذكارية الحربية مثل لوحة النصر لنرام سن ، واللوح الذى يحمل قانون حمورابى ، ومسلة مانيشتوسو وتماثيله من كيش وتماثيل مردوك وسيدة أوروك .

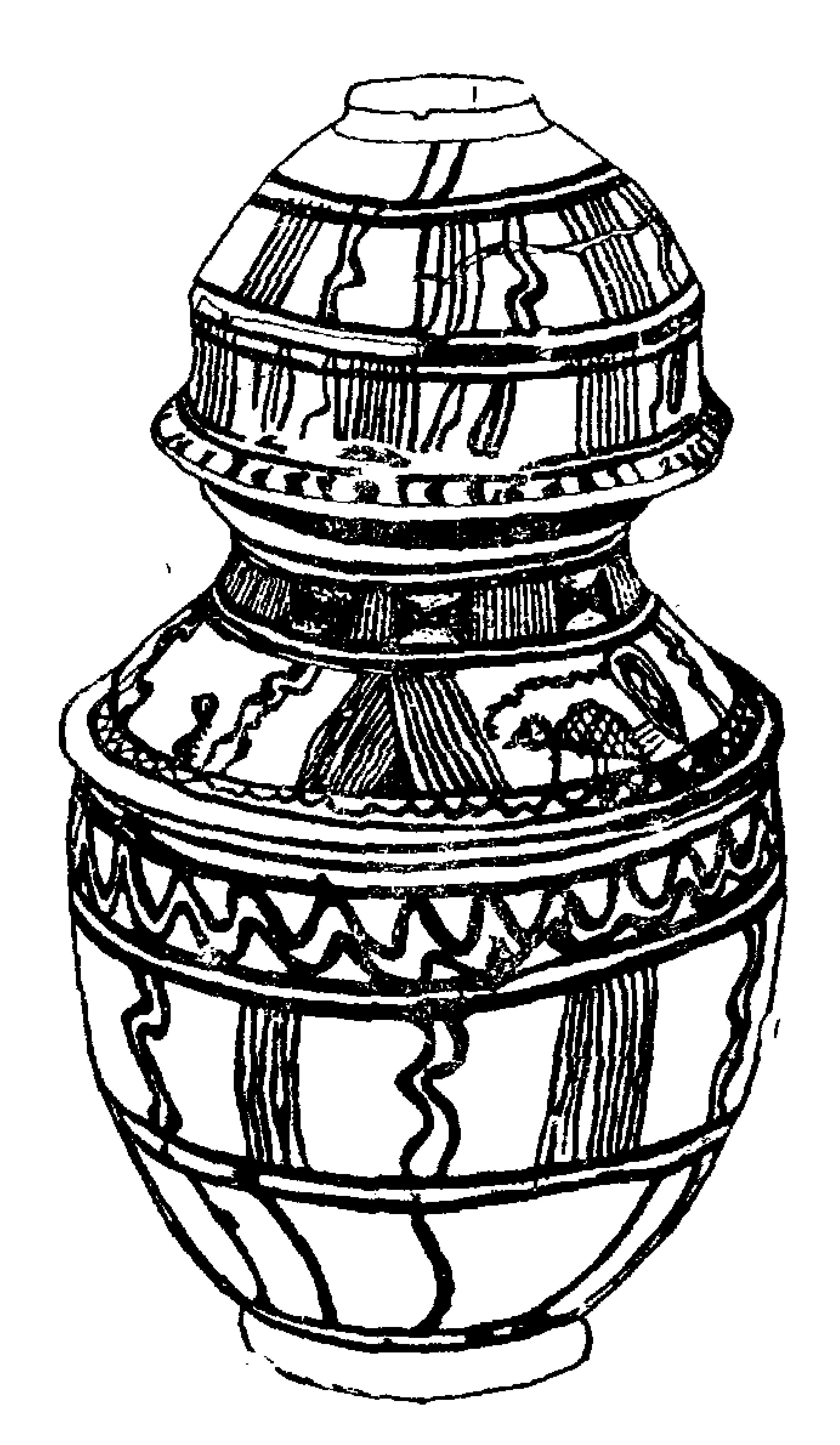
ومن أشهر ملوكها شوتروك ناخونتى وابنه كوتيرنا خونتى الثانى وأخوه شيلخاك ان — انشو شيناك — وكان العلاميين فى صراع مستمر مع السومريين والأكاديين والبابليين ، الذين هزموهم المرة تلو المرة وأخضعوا بلادهم مثل سرجون الاكدى ، أورنمو وحمورابى ، كما كان يحدث العكس



شكل ١٠ : كأس من أسلوب. ملون بصور حيوانات محورة مصنوع علي دولاب الفخار

أحيانا فقد نهب كوتيرنا خونتى ملك عيلام ابن شوتروك ناخونتى معابد أكد حوالى ١١٥٠ ق.م وقبل ذلك أغار شوتروك ناخونتى على بابل وحمل معه لوحة حورابى حوالى ١١٧٦ وهى اللوحه المشهورة المسجل عليها قانون حورابى الذى عثر عليه فى سوسة (كما سبق أن ذكرنا) ، ولكن نبوخذ نصر [١١٤٠ — ١١١٧] استطاع أن يهزم العيلاميين : ومنذ هذا الانتصار بدأت الإمبراطورية العيلامية فى الأفول وفى الثلاثمائة سنة التالية دخلت عيلام عصرا مظلما حتى أواخر القرن الثامن قبل الميلاد حين تحالف مردوخ بالادان ملك بابل « حوالى ٧٢١ — ٦٤٠ » مع خومبا نيجاش ملك عيلام ضد سرجون الثانى ملك اشور وانتصروا عليه فى معركة « در » سنة ٧٢١ ق.م.

ولكن أشور بانيبال ٦٤٠ ق . م هاجم عيلام فى عهد ملكها خوتلوتوش ـ ان ـ شوشيناك ، ودمرها تدميرا تاما وخرب سوسة ، ومنذ ذلك التاريخ لم تقم للعيلاميين قائمة وخاصة بعد ظهور الميديين الذين بسطوا سلطانهم على كل بلاد إيران :



شكل ١١ : سوسة فخار اسلوب ، . وهو ملون بصور من البيئة .

ويستطيع المرء بعد استعراض كل ماتقدم عن العلاقات ما بين عيلام وبلاد مابين النهرين فى عصره أسرة كيش والوركاه السومريتين أن يدرك أن الفكرة المهيمنة على العلاقات بين عيلام وبلاد مابين النهرين هى فكرة العداء الوراثى وإن كان يلطفها فى نفس الوقت المعاملات الاقتصادية والثقافية، لأن بلاد مابين النهرين تحتاج إلى منتجات البلاد المرتفعة العيلامية كالخشب وخامات المعدن « الرصاص والنحاس والقصدير والفضة » والرخام والديوريت

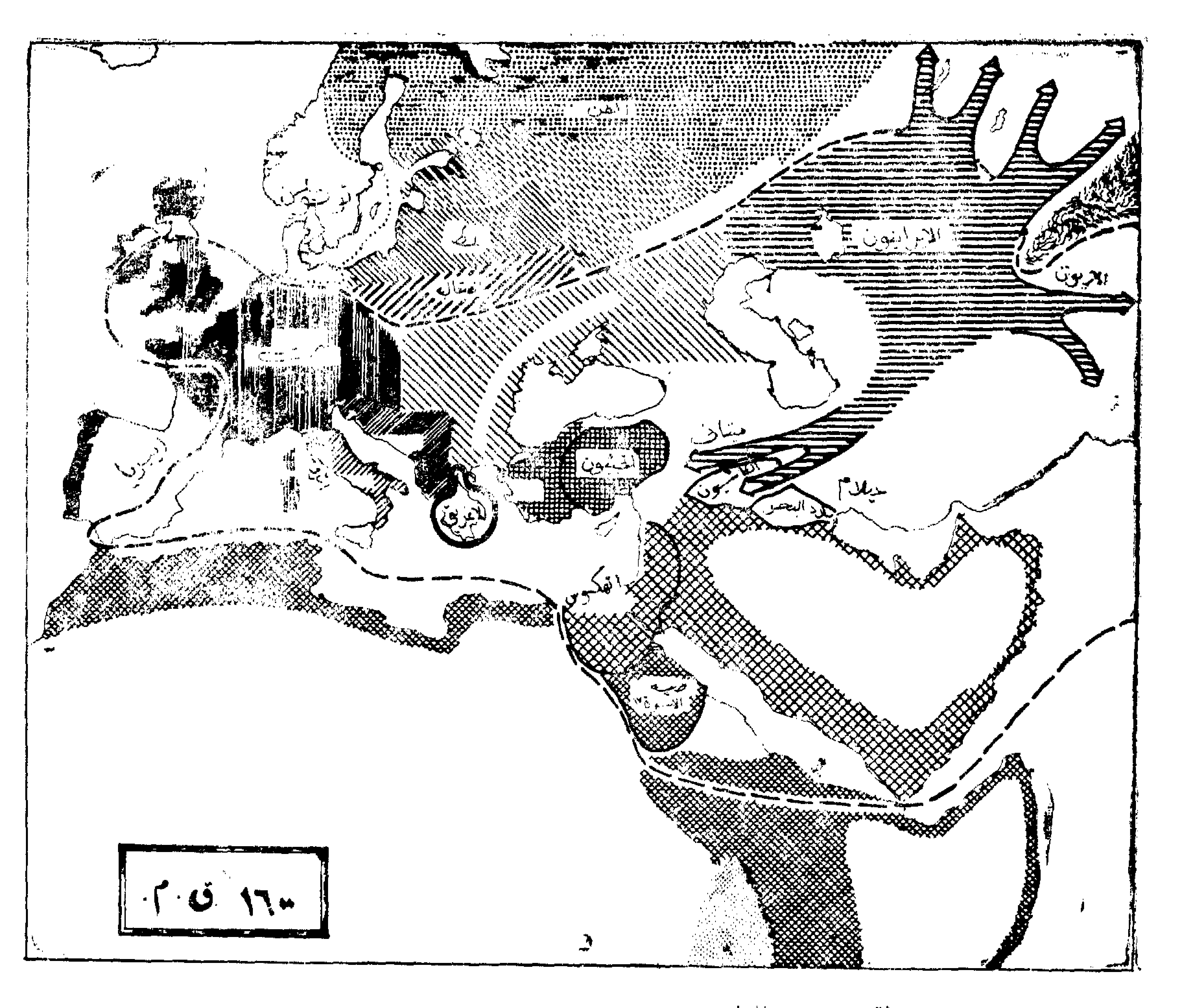
والأحجار نصف الكريمة والخيل ، وكانت حملات السومريين والاكاديين المتكررة على عيلام مصدرها الحاجة إلى السيطرة على هذه المواد الهامة ، « وهو نفس الوضع الآن فى الحرب الدائرة للسيطرة على البترول فى الأهواز » وفى نفس الوقت تتفق مع الهدف السياسى وهو إبعاد خطر العلاميين والسيطرة عليهم ولأنهم كانوا دائما تواقين لنهب أراضى السهول الواطئة .

وعندما غزا كيروش عيلام ، كانت عيلام جزءا من الإمبراطورية الأكيمينية . وتشير النصوص الكلاسيكية دائما بروائع المدينة التى أصبحت المركز الإدارى للامبراطورية وكانت تحوى العديد من الكنوز الملكية ،



شكل ١٢ : نقش حورن شيخ خان . صور عليه الملك تارلوتى ، مالك محلى ، يطأ أعداءه بقدمه .

ولكن السجلات الآثرية للفن والعمارة الأكمينية لاتبين هذا الإبداع نظراً لأن سوسة قد نهبها اسكندر الاكبر ثم من بعد ذلك شهبور الثانى ، الذى دمر المدينة تدميرا تاما ثم بناها تحت اسم جديد « نيسابور » . وعلى العموم فالأطلال الباقية من قاعات الأعمدة والأفريز المكون من صف من الأشخاص بالقاشانى المزجج كلها تدل على ثروة فى الزخرفة اشتهرت بها عن حق قصور أخشويرش « اكسركسيس »



حريطة ١٣ : العالم فى عام ١٦٠٠ ق . م . عن بدء ظهور الايرانيين

الهنود الأوروبيون

فى بداية الألف الأول قبل الميلاد زاد إستخدام الحديد وحدثت هجرة الهنود الأوربيين وكان لهذين الحادثين أكبر الأثر فى تاريخ آسيا .

ومن المحتمل أن الغزوة الهندية — أوروبية الجديدة كانت تشبه غزواتهم السابقة وربما كانوا من نفس المنطقة كذلك . فمنذ سنة ١٢٠٠ ق . م تقريبا اتجهت بعض تلك الشعوب إلى آسيا الصغرى وحطمت إمبراطورية الحيثيين . وكان بين تلك الشعوب القبائل الفلسطينية التى استقرت فى فلسطين وظلت تحمل أسمهم حتى اليوم . أما فى إيران فإن الشعوب الإيرانية قد اخترقتها فى بداية الألف الأول ق. م. وأثرت عليها تأثيرا مغايرا لتأثير الغزوة السابقة التى حدثت قبل ذلك بألف سنة تقريبا ، حيث أنهم لم يندمجوا فى السكان الأصليين مثل مافعل الحوريون والميتانيون والكاشيون من قبل ، بل وضعوا أنفسهم فى مركز السيادة بعد أن تسللوا تسللا بطيئا إلى المنطقة ثم تمكنوا بعدئذ من الخروج لغزو العالم . ولم تتمكن الشعبة الشرقية من هؤلاء الإيرانيين من التوغل جنوبا فى الهند فاتجهوا نحو الغرب إلى قلب إيران ولكنهم ظلوا يطمعون فى الوصول إلى بلاد الهند الغنية وأخذوا يتحينون الفرصة لذلك . ولم تكن السلاسل الموازية لجبال زاجروس هى التى تحول دون تقدمهم فى الغرب بل كانت هناك ولايات قوية لها ماض وحضارة مستقرة منذ آلاف السنين وهـــذه وقفت سداً منيعا أمامهم حيث أن القبائل الإيرانية التى كانت تتجه إلى الجنوب الشرقى على إمتداد زاجروس وكانت تواجهها من الجنوب إلى الشمال عيلام وبابل وأشور . وإلى الشمال الشرقى حول بحيرة

وان توجد جبال القوقاز ومملكة [أورارتو] التى أصبحت فيما بعد مملكة أرمينيا — وعلى هذا ظل الإيرانيون لا يستطيعون إختراق ذلك الحاجز ، وأخذوا خلال الأربعة قرون التالية يمتصون السكان الأصليين ويفرضون ثقافتهم وسلطانهم السياسى فى وديان جبال زاجروس . وكان النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد نقطة تحول فى تاريخ البشرية حيث أصبح مركز السياسة العالمية لا يوجد فى السهول والوديان الخصيبة مثل وادى دجلة والفرات بل انتقل إلى الشمال حيث وجدت ثلاثة قوى تتصارع فيما بينها الأشوريون ومملكة [أورارتو] والإيرانيون .

وبعد كفاح مرير تمكن الإيرانيون من الانتصار على خصومهم وأسسوا إمبراطورية عالمية . من العسير التعرف على تفصيلات الأحداث إلا عن طريق الوثائق الآشورية حيث لا يوجد ما ينير الطريق عن هذا العصر سواها وإن كان من المحتمل أن نعرف كثيراً عن حضارة هؤلاء الإيرانيين بعد تقدم الحفائر التى تجرى وخاصة فى منطقة سيالك . ومما ساعد على التحول السياسى عن السهول ، ازدياد إستخدام الحديد وهو يوجد فى جنوب بحر قزوين وعبر القوقاز التى تتحكم فيها مملكة [أورارتو] وهذه قد حولت اهتمامها نحو إيران التى كانت تكثر فيها الخيول اللازمة للجيوش وبعض المعادن . وقد منعت إيران تلك الموارد عن أشور مما اضطر أشور إلى اتباع سياسة الاعتداء على الإيرانيين ولكن ملوك أشور لم ينجحوا دائما فى إخضاع تلك البلاد ، وإذا ما نجحوا لم تكن إدارتهم فعالة ، وكانت هذه الاعتداءات سببا فى تغيير بعض الأساليب الحربية وأصبح الخيالة هم أهم سلاح فى الجيش وحلوا محل العربات .

N° 2

N° 3

N° 4

Fig. 1. The Scripts of Persia

1. Persian cuneiform script.
2. Pahlavi writing of the inscriptions.
3. Zend script.
4. Early Sogdian script.

شكل ١٤ — ١. خطوط فارسية .

١ — خط مسماري فارسي .

٢ — خط پهلوي للنقوش .

٣ — خط زند .

٤ — خط صغدي قديم .



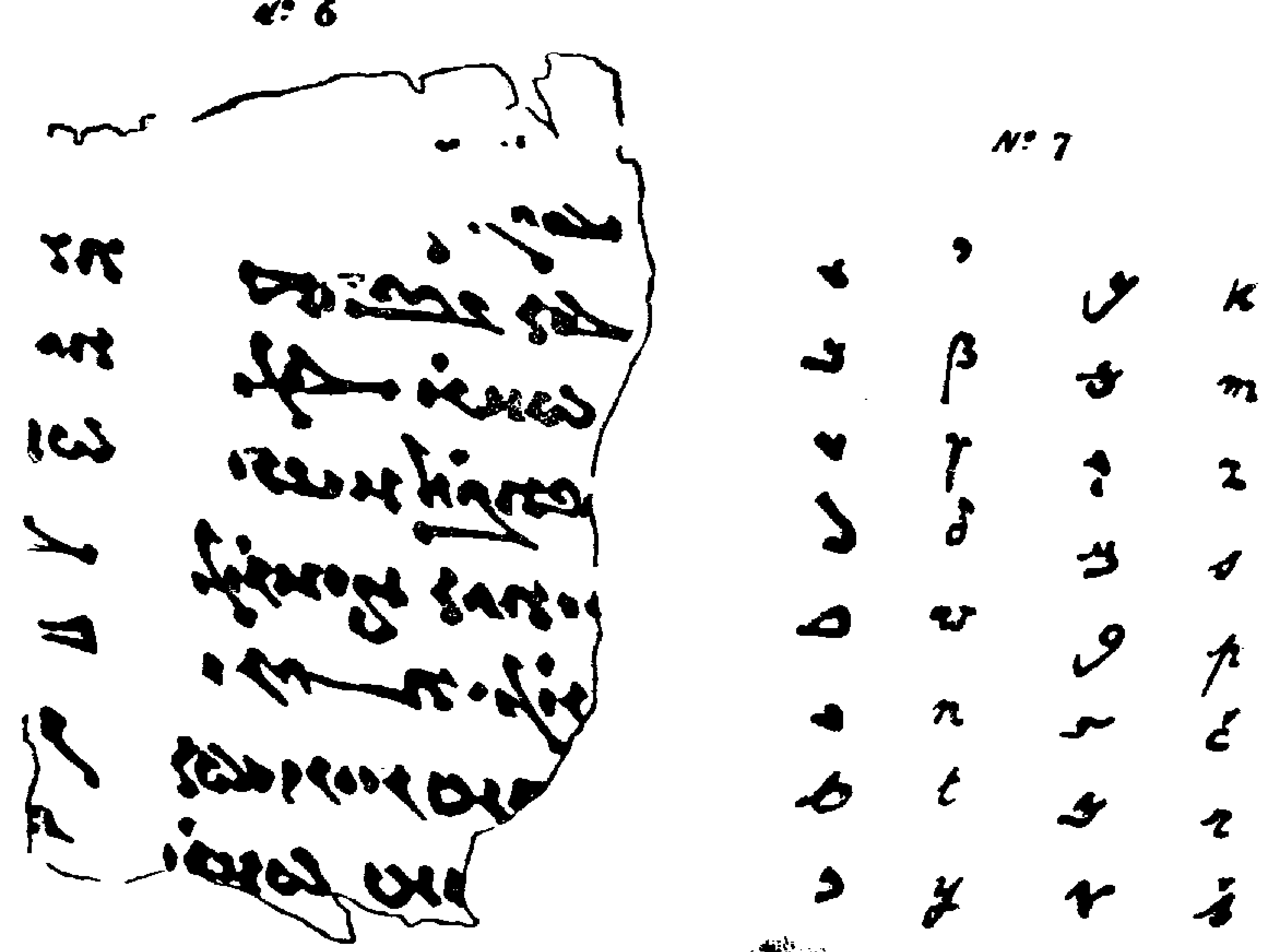


Fig. 1. THE SCRIPTS OF PERSIA
5-6. Manichæan scripts. 7. Modern Sogdian script.

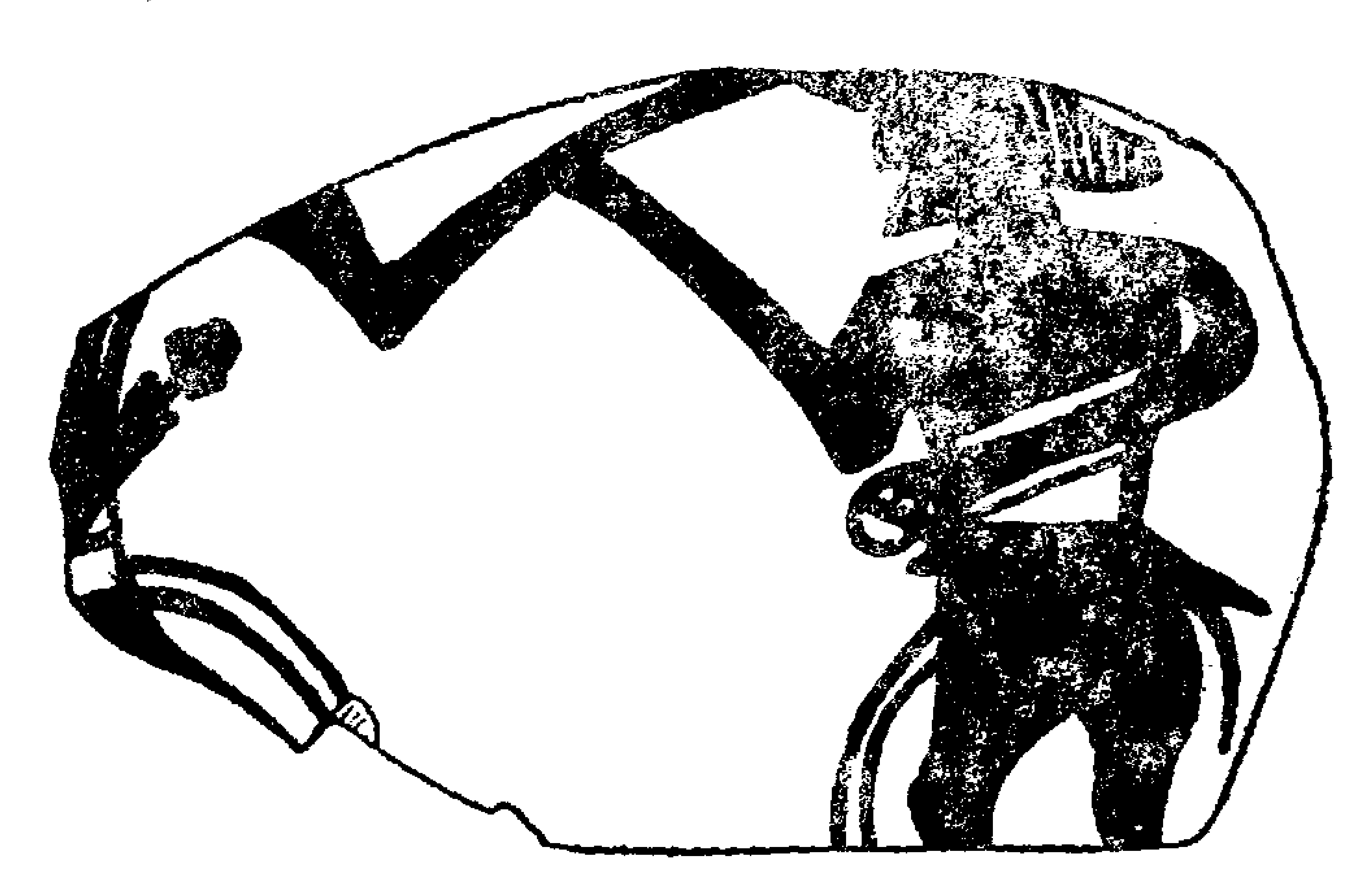
شكل ١٤ . ب خطوط فارسية .

٥ و ٦ : خطوط مانوية .

٧ . خط صفدي حديث .

قاشان [سيالك] : عصر الفرسان المحاربين :

وواحدة من هذه القبائل الهندية — أوربية استقرت فى واحة قاشان [سيالك] وكانت مكونة من فرسان محاربين الذين حولوا قرية عصر ماقبل التاريخ إلى بلد محصن . وهؤلاء الأقوام الذين جاءوا حديثا كانوا يدفنون موتاهم فى جبانات . احتوى أثاث المقابر على أسلحة وحلى مختلفة بعضها



شكل ١٥ : فخار ملون بصور إنسانية . جبانة . ب سيالك

مصنوع من الحديد وعلى نوع هام من آنية لها مصب [بوز] كانت تستعمل دون ريب فى طقس أدخل أسلوبا جديدا من الفخار انتشر إلى مناطق أخرى فى إيران — وكان يدخل فى زخرفة هذه الأوانى ذات البوز الشمس والحصان وهما رمزان هنديان — أوربيان . (شكل ١٦)وتصور النقوش الآشورية العديدة بلدان إيرانية محاطة بخنادق مليئة بالمياه ، لها جدران ثلاثية لأغراض الدفاع ، ومبانى حجرية لها أبراج . كانت هذه هى الفترة التى يبدأ فيها النمو الحقيقى للحياة المدنية فى إيران . ورغم قوة هذه التحصينات فقد نهب الجيش الآشورى سيالك خلال القرنين التاسع والثامن قبل الميلاد (شكل ١٧) .

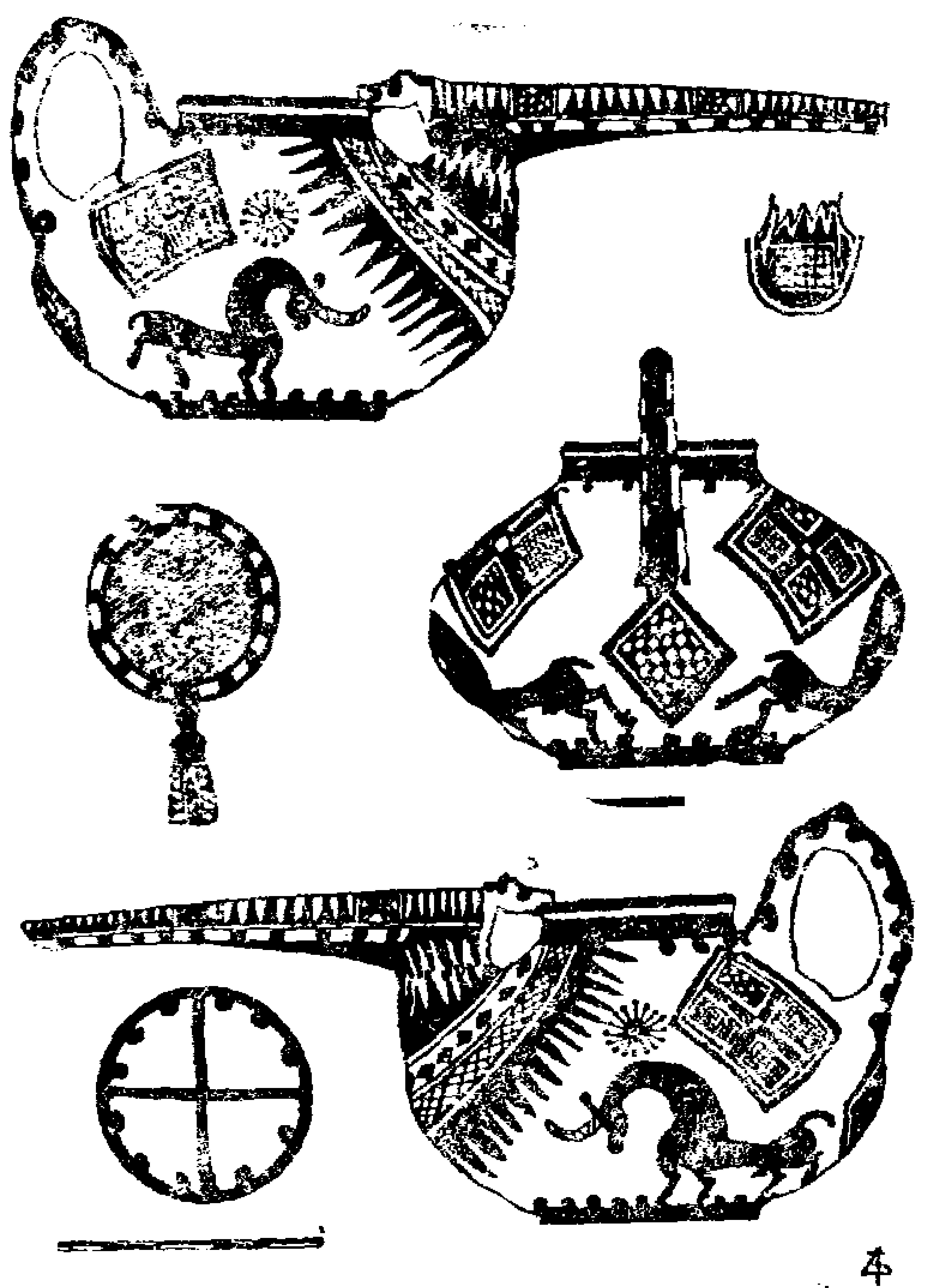
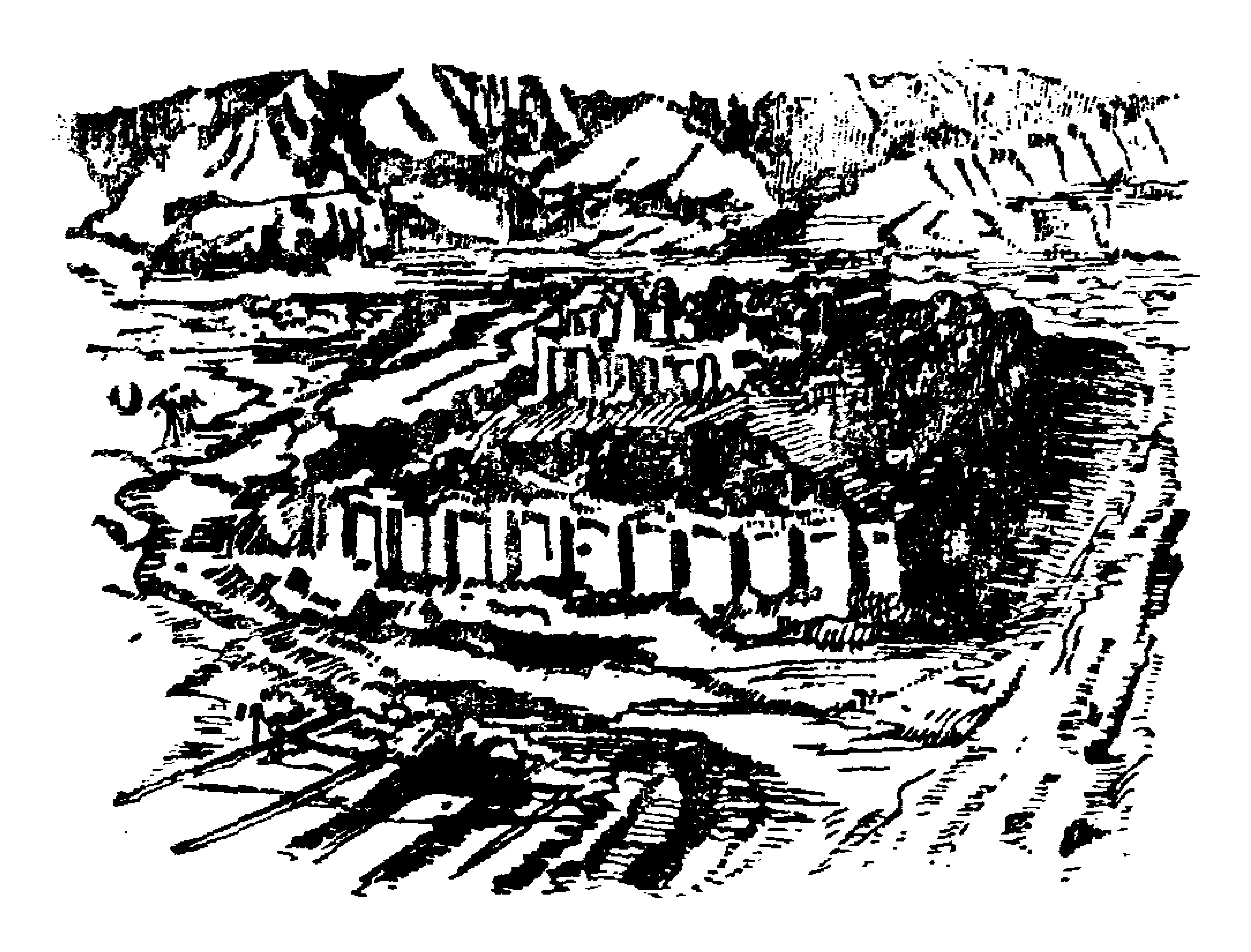


Fig. 32 – Siyalk: Painted pottery of Necropolis B

شكل ١٦ : فخار ملون . جبانة ب مزدان برسومات الشمس والحصان ، وأيضا الصليب المعكوف .

كان أمير المدينة يعيش مع أتباعه من الباشوات ويحكم طبقة الفلاحين ، ويتكون دخله من إيراد ضياعه ومن الضرائب المفروضة على صيد البر والبحر وتربية الحيوان . وكان يمتلك أراض خاصة يعمل بها العبيد . وكان الفلاحون يقومون بجميع أنواع الخدمات بالسخرة وكذلك الأشغال العامة مثل الطرق والقنوات والكبارى والتحصينات . وإذا كان الدخل لا يكفى كان يلجأ إلى الغزو للنهب والسلب .

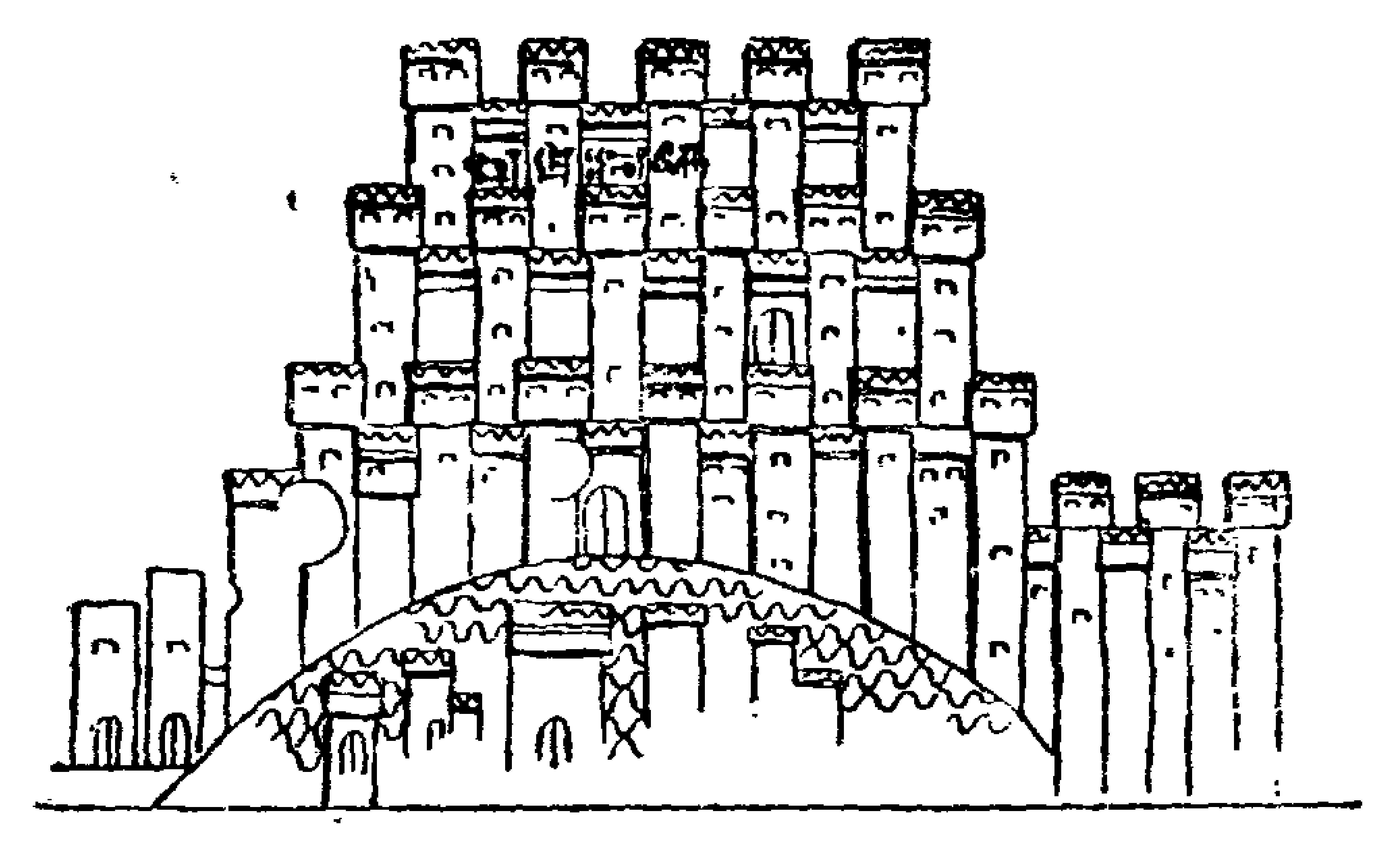
وكان المجتمع منقسم إلى طبقات ، أمير المدينة ، الأشراف ، الأحرار ملاك الأرض ، الفقراء العبيد ، وكانت الحالة الاجتماعية تشبه إلى حد كبير النظام الاجتماعي فى بلاد الإغريق التى وصفها هومر .



شكل ١٧ : قلعة سيالك . رسم تصوري .

مقابر لورستان :

رغم أن الأشياء البرونزية والحديدية من مقابر لورستان فى منطقة قرمنشاه معروفة منذ وقت مضى إلا أن هذه المقابر ، التى كانت تحاط دائما بدوائر حجرية ، لم تفحص فحصا علميا إطلاقا . ومعظم هذه الأشياء توحى بأنها تنتمى لمحاربين إما كانوا فرسانا وإما كانوا يستعملون العجلات الحربية ، ونظراً لعدم وجود أى مناطق سكنية بالقرب منها مما يدل على أنهم كانوا قوما رحلا . كما كثر استعمال صور الحيوانات المحورة فى تزيين معظم الأشياء . ومن الموضوعات المتكررة آلهة الخصب . وكما كان شائعا فى فن فارس القديمة كان الفنان يتقن تصوير الحيوانات أحسن من تصويره للانسان . وتدل معظم أشغال البرونز من لورستان ومنها تماثيل تصور الحيوانات والأشخاص بأسلوب فنى متطور ويمكن تأريخ هذه المقابر بين القرنين الثامن والسابع ق . م . والتساؤل عن أصل الحضارة اللورستانية يثير مشاكل شديدة التعقيد والكثير منها لم يتوصل لحل له حتى الآن ، . . ى البعض فى هذه



شكل ١٨ : مدينة كيشسم بشمال غرب إيران . عن رسم آشورى .

الأشغال البرونزية ملامح اسكيذية وخاصة أن بعضها مؤرخ من نفس العصر ، وهى موزعة على عدد من متاحف أوربا ، ويرى البعض الآخر أنها تنتمى لخليط من الآسيويين الاسكيذ (والسكيمريون) الذين دمروا البلاد من القوقاز حتى حدود مصر وسواحل أسيا الصغرى ثم طردوا من جبال زاجروس التى كان يسيطر عليها الميديون ، وأخيراً استقر هؤلاء الرحل فى منطقة كان يتوفر فيها أحسن نتاج الخيول ، وصاروا هناك محاربين أقوياء نواة لدولة ميديا القتية التى كانت فى أقصى اتساعها .

السكيمريون والاسكيذ (السكيت) :

كان من بين الشعوب التى جاءت هضبة إيران ، السكيمريون والاسكيذ الذين هاجموا آسيا الصغرى وسوريا وفلسطين ، وصار لهم السلطان فى شمالى غربى إيران . وكان دأبهم هو النهب والقتل وإحراق البلاد وتدميرها .

وكاوصفهم أحد المؤرخين نزلوا « كمجرى من نيران البراكين » يحملون كل ما فى طريقهم » وقد عرف بعض تاريخهم من سجلات الوثائق الأشورية

وما كتبه هردوت . ومن المرجح أن هاتين القبيلتين كانتا من أصل واحد ولذلك كان الكيمريون من سكان شبه جزيرة القرم ، تركوا موطنهم الأصلى وداروا حول البحر الأسود . وكانت أولى الدول التى تحطمت أمام جحافلهم هى مملكة أورارتو القوية حوالى عام ٧١٤ ق . م . ثم أنقسموا بعد ذلك إلى فريقين ، سار فريق منهم إلى بحيرة أورميا فى الهضبة ، وسار الجزء الأكبر إلى آسيا الصغرى محطما كل ما فى طريقه حتى استقروا جنوبى البحر الأسود عند مدخل الهاليس (قزل أرمق) .

قضى الكيمريون على مملكة الفرجيين التى كانت قائمة فى أواسط آسيا الصغرى ، وانتحر ملكها (ميداس) ، مثلما إنتحر من قبل ملك أورارتو المدعو (رساس) . ثم اتجه الكيمريون بعد ذلك إلى مملكة ليديا فقضوا عليها وساروا إلى قليقية ، ولكن آشور بانيبال أستطاع أن يقضى عليهم قضاء مبرما وينقذ آسيا الصغرى وسوريا من شرورهم ، ففروا راجعين إلى هضبة إيران ليعيشوا مع أبناء عمومتهم الاسكيذيين .

كان الاسكيذ فرعا من دوحة كبيرة عثر على كثير من مقابر ملوكهم فى جنوبى الاتحاد السوفيتى ، إذ يظهر أن ملوك هؤلاء الأقوام كانوا يعيشون فى جنوبى سيبيريا وفى أقليم خرسون حيث قد عثر على كنوز من الحلى الذهبية والأوانى التى كانت توضع مع أولئك الملوك وقد أجرى بها أعمال تنقيب كثيرة ، والمعتقد بوجه عام أن تاريخ تلك المقابر الملكية يعود إلى الفترة ما بين القرن السادس والقرن الثالث قبل الميلاد . وقد أمتد نفوذ تلك القبيلة التى هاجرت إلى إيران ليشمل إقليم إذربيجان ومنطقة واسعة حولها .

وقد عثر في سا كيز وهى قرية صغيرة تقع في كردستان إلى الجنوب من بحيرة أورميا على كنز ملكى وربما يرجع إلى بارتاتوا أحد ملوك الاسكيذ أو إلى أبنه مدياس ، وكل شيء يدل على أن سا كيز التي يمكن التعرف في أسمها على إسم الاسكيذ أو [سا كا] كانوا يطلقون على أنفسهم [أشكوزاى] كما يطلق عليهم في الإنجيل والنقوش الأشورية ، كانت عاصمة للاسكيذ عندما استقروا جنوبى بحيرة أورميا في بلاد ميتانى التى أستولوا عليها ، إذ من المعروف أن إسم الشعب كان يطلق عادة على اسم المدينة .

ولا يعرف إذا كان هذا الكنز قد وجد في مقبرة أو في خبيئة لأن الذى عثر عليه هم جماعة من الفلاحين .

وينقسم الكنز إلى أربعة مجموعات :

[أ] مجموعة أشورية فى الروح والتنفيذ .

[ب] المجموعة الثانية اسكيذية أصلية نمطية .

[ج] المجموعة الثالثة أشورية — أسكيذية ولكن الذى قام بتنفيذها الأشوريون

[د] مجموعة تتكون من منتجات محلية في الغالب .

من المجموعة الأولى :

أسورة ذهب ينتهى كل طرف منها برأس أسد له فكان مفتوحان فى فى طرف ، ومقفولان فى الطرف الثانى . وهى قطعة نموذجية للفن الأشورى فى الحفر وجمال الجواهر .

لويحة من الذهب مصور عليها صفان من الحيوان وأشخاص مجنحة تتجه نحو شجرة الحياة .



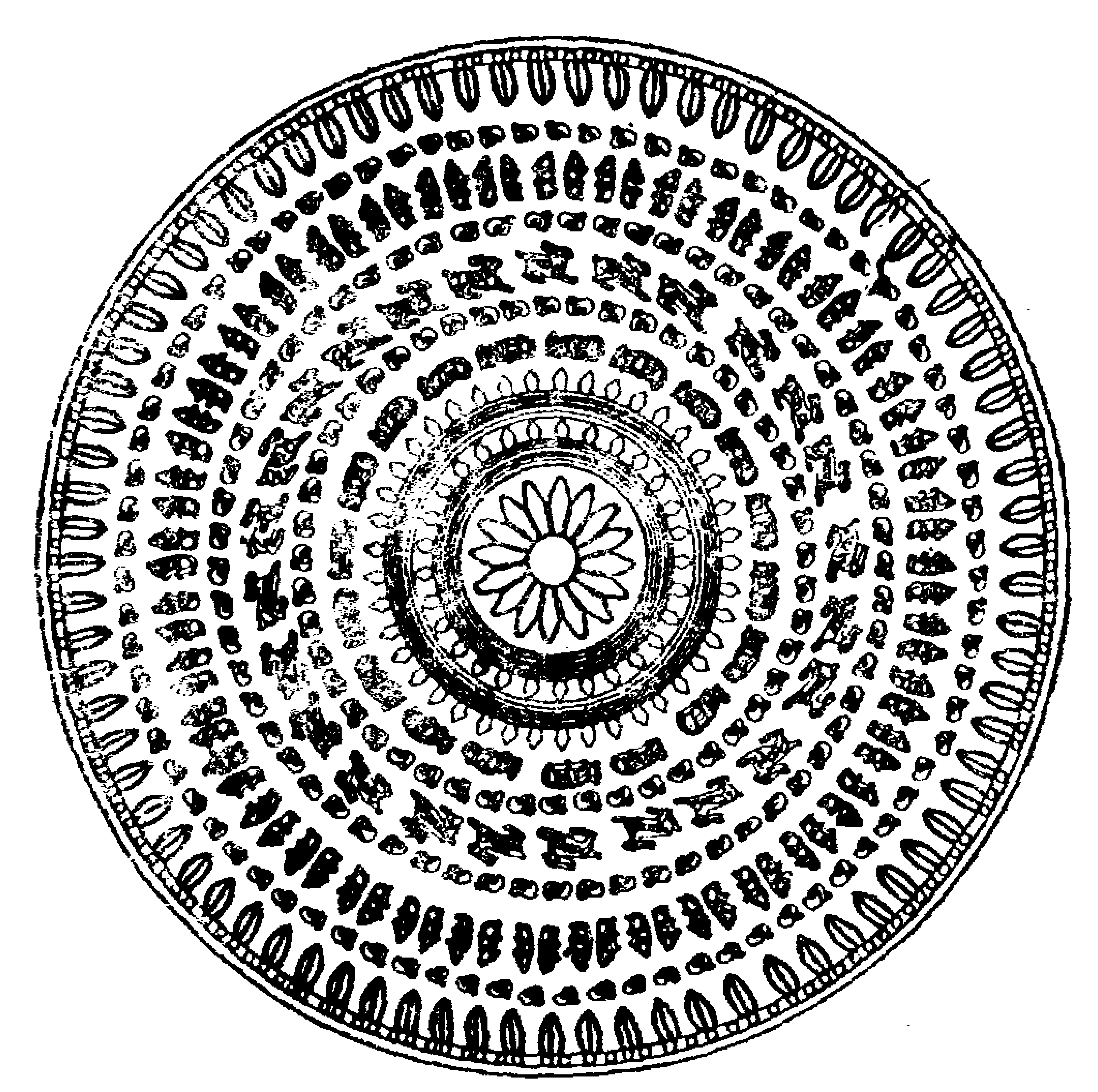
شكل ١٩ : لوح من العاج . صور عليه بطل يقتل أسدا . من زيوية متحف الآثار طهران

لويحات من البرونز التى تكسو التابوت الخشبى الذى كان يحوى الكنز ، وهذه اللويحات بصورة أيائل ووريدات تفصل بينها • أجزاء من سلطانية برونز عليها صور أشخاص فيها ٦٣ شخصا • وبعض مميزات خاصة لهذه الجواهر توضح أنها كانت من عهد الملك أشور — أخ — الدين [اسرحدون] [٦٨١ — ٦٦٨ ق . م] أو بعد عصره بقليل . وربما كان هذا الكنز هدية من الملك الآشورى بمناسبة زواج الأميرة الأشورية من الملك السكيذى برتاتوا .

ومن المجموعة الثانية :

وهى الاسكيذية يوجد غمد سيف من الذهب محلى بنقوش تمثل رؤوس

الوعل وتظهر وجها كاملا . كما أن تموجات القرنين إتخذت شكل قيثارة . حلية منقوشة من الذهب وربما كانت على تابوت وهى مزخرفة على النمط السكيذى . ومن الأشياء الممتازة طبق من الفضة يبلغ قطره ١٤ بوصة مزخرف بتبلات الزهور ورؤوس الأيائل وحيوانات رابضة وأرانب برية . وعليها كتابات بالهيروغليفية الاسكيذية وهى الكتابة الوحيدة المدونة على شىء . ويعتبر هذا الصحن أقدم تذكار أسكيذى وربما يكون هناك إرتباط بين الهيروغليفية الاسكيذية والهيروغليفية الحثية التى ظهرت فى آسيا الصغرى . ويعتقد بعض العلماء إن هذه الكتابة الهيروغليفية المزعومة ما هى إلا مجرد زخرفة (شكل ٢٠) .



شكل ٢٠ : كنز ساكيز طبق من الفضة .

ومن المجموعة الثالثة : وهى

أشورية ـ اسكيذية ـ أطراف أثاث من الذهب فى صور طيور وحيوانات

وكذلك ينتمى إلى هذه المجموعة حزام من الذهب وهو من صناعة أشورية مثل الأشجار والأيائل والجان المجنحة وثيران مجنحة وتماثيل أبو الهول ، على أنه توجد فى الأركان أرانب برية وحيوانات رابضة وهذه اسكيذية الأسلوب .

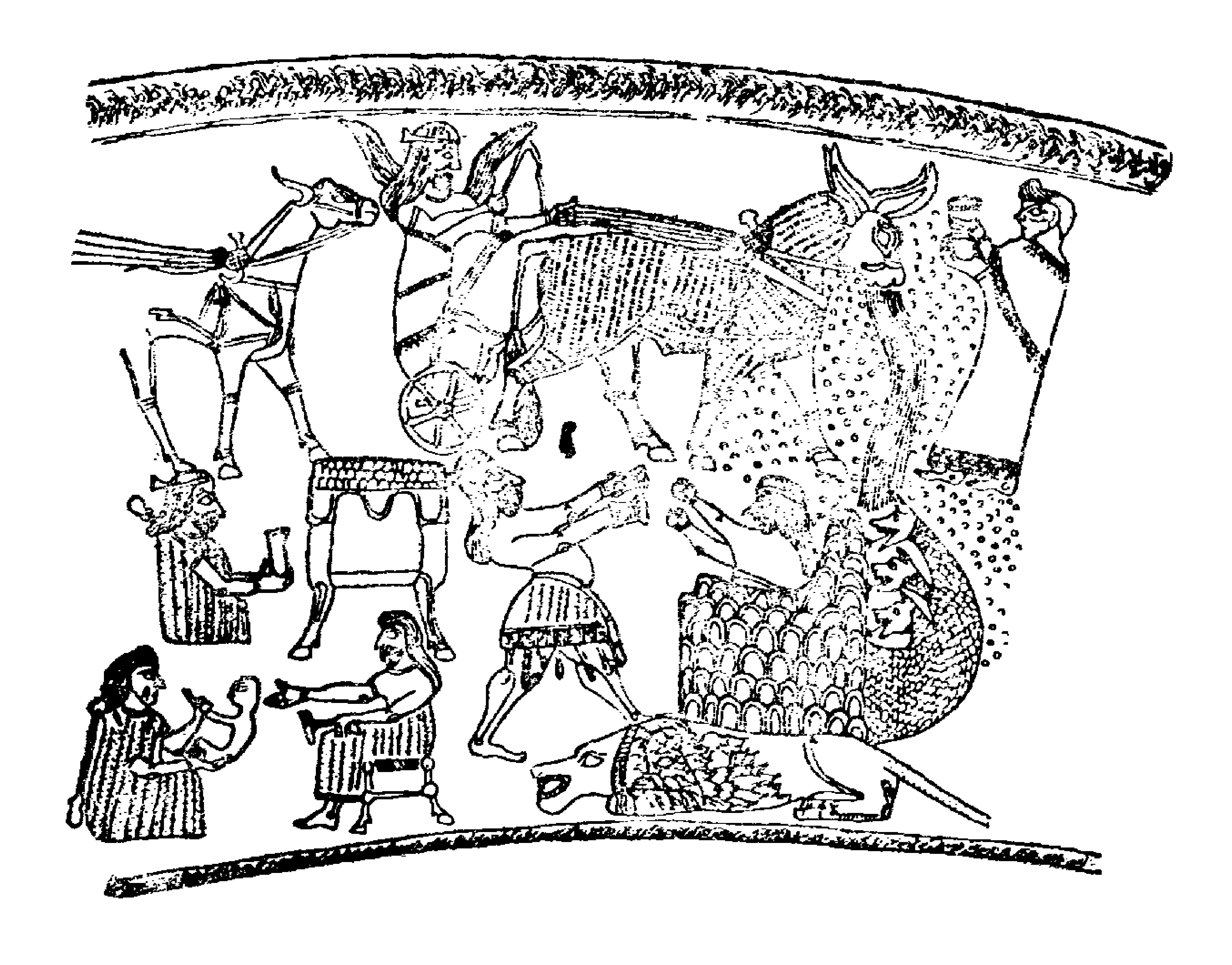
من المجموعة الرابعة :

لويحة من الذهب كانت مثبتة على حزام من الجلد ومحلاة بنقوش حملة قرابين والحيوانات التى يسحبونها .

ويمكن إدراك أهمية الكنز كأعظم وأغنى مثل لفن الأشورى والاسكيذى للحلى فى الحال، وهو يوضح أيضاً ألوان الفن الذى كان الميديون على صلة بها يوما كانت حضارتهم لا تزال فى دور التكوين ،ومما لاشك فيه أن الفنون الاشورية والاسكيذية قد تركت بصماتها على الفنون الميدية ويعتقد البعض أن هذه المجموعة التى تتكون من خليط من فنون مختلفة تمثل بداية الفن الميدى . ويرى بعض العلماء فى المرسلة [الصدرية] الهلالية المكونة من صفائح على شكل منحرف والتى لا يمكن نسبتها بصفة قاطعة إلى مصدر اشورى / أو / أورارتى / أو / اسكيذى / أو / ميدى، لها دلالة خاصة.

إذن هل يمكن نسبتها إلى الفن الميدى الذى بقى مجهولا حتى الآن أوالى بارسوا [فارس] التى ينسب إلى إقليمها فى القوقاز لويحات لورستان ولويحات قيشانى [فياذس] من سوسة وشوغا زمبيل . ولكن يستحسن إلا نتحدث عن فن ميدى الآن . فاللوحات والقيشانى ولويحات ذهب من زيوية تؤكد وجاهة المصدر الاشورى وخاصة أن عليها نفس الحيوانات





شكل : ٢١ — ٢٢

شكل ٢١و٢٢ : عثر في حسانلوا في أذربيجان على كأس من الذهب من منتصف القرن الثامن قبل الميلاد ، نقش عليه كاهن يقدم قربانا إلى إله الشمس في عربته متوجا بقرص الشمس المجنح (وهو رمز مصري) وإلى إله الأرض الذي يلبس تاجا ذا قرنين ، وإلى إله فوق ثور ، هو إله العواصف وهذا الإله عبادته منتشرة في منطقة آسيا الصغرى . وفي المنظر الأسفل صورة معركة أسطورية بين إله العواصف وبين أعدائه انتهت بانتصار إله العواصف بمعاونة الآلهة . وهذه تذكرنا بالأساطير الحثية.

الخرافية ، وتتميز بنفس أسلوب رسم صفوف الحيوانات المتحركة : ونفس أسلوب ضلوع الحيوانات على لويحات زيوية واستيلات لورستان المزعومة مرسوم بطريقة واحدة وجد لها مثيل في بداية الفن الأخميني : ولذلك يبدو أن الفن الميدي قد بدأ أصلا في هذا الأسلوب المختلط الذي نجده في شمال ووسط إقليم الزاجروس (١) :

1) William Culican: The Medes and Persians. p. 44—47.

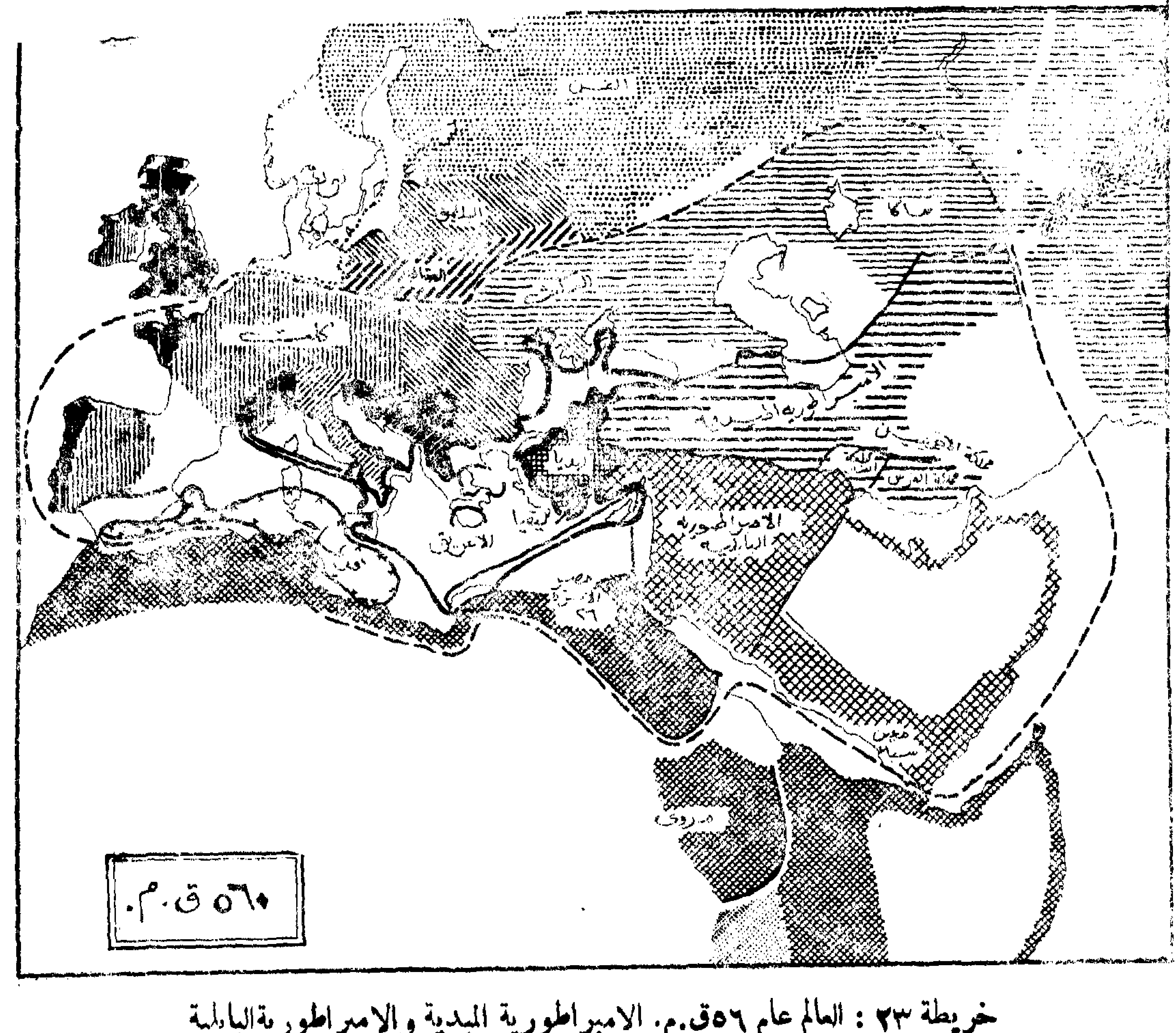
الآريون

فى أواخر الألف الثانى قبل الميلاد عبرت القبائل الآرية نهر جيحون الذى يكون الحدود الشمالية للهضبة واتجه فريق منهم إلى شبه القارة الهندية حيث أمكنهم التغلب على السكان المحليين ذوى البشرة الداكنة وأسسوا عنصرية طبقية دائمة تعرف باسم الـكاست ومعنى الـكلمة مشتقة من لون . واتجهت قبائل أخرى غربا عبر القارة ، فى الغالب على موجات متعاقبة يفصل بين كل منها فترة زمنية طويلة .

ومن المؤكد أن هؤلاء الناس كانوا آريين وبهذا يصفون أنفسهم فى كتبهم الدينية التى لم يتبق منها الا شذرات . وأطلق حكام الأسرة الأخمينية على أنفسهم أيضاً لقب « الآريون » وبين القبائل الآرية التى جاءت إلى الهضبة مجموعة هم الذين أعطوا أسمهم — الأيرانيون Iranians للهضبة . والـكلمتان إيران وآريا لهما معنى واحد لغويا — وأن كان (إيران) كأسم على الهضبة لم يظهر إلا بعد العصر الأخمينى

وقد بذل مجهود كبير فى محاولة إعادة بناء الدين والتـكوين الاجتماعى عند الآريين قبل مجيئهم على الهضبة وكان المصدر الرئيسى هو الأوستا Avesta وهى مجموعة من التراتيل القديمة وبعض وثائق أخرى . كانت الهتهم المحلية الشمس ، والسماء ، وغيرها من مظاهر الطبيعة . وكان الناس رعاة متنقلين مارسوا زراعة محدودة ، وكانوا يركبون ظهور الخيل .

الدليل على وصول الآريين إلى الهضبة وعن محركاتهم حتى حدود بلاد الرافدين مستمد من نقوش فى لغات غير هندية — أوروبية ، وأحد هذه



خريطة ٢٣ : العالم عام ٥٦ق.م. الامبراطورية الميدية والإمبراطورية البابلية

النقوش ، حوالى ١٣٧٠ ق م يحتوى على أسماء الآلهة الآرية ، والبعض الآخر يحتوى على كلمات آرية . وهؤلاء الوافدون القدماء ، أختفوا بدرجة كبيرة فى السكان المتوطنين الأقدم . وفقط بعد ظهور الإيرانيين الذين تضم قبائل الـ (مادا) أو أماداى Amadai, Mada (Medes — الميديون) ، وبارسا (الفرس) ، صار الأريون من الكثرة بحيث يستطيعون فرض سلطانهم على مناطق محلية محدودة . ولما كانت جيوش مملكة أشور القوية قد قامت بحملات عبر هذه البلاد على السفوح الغربية للهضبة وهزمت هؤلاء السكان الأقدمين ونقلت إعدادا كبيرة منهم ، كانت مهمة الوافدين الجدد تبعا لذلك سهلة . وعلى العموم فقد قابلوا هم بدورهم القوة الأشورية .

وقد ذكر البارسا Parsa (الفرس) (فى صورتها بارسوا) لأول مرة فى نقش أشورى من عام ٨٤٣ ق. م تقص حملة شلما نصر الثالث وتضعهم فى مساكن جنوب غرب بحيرة رزئية (أيضاً بحيرة أورميا) . ومن المحتمل أنه توجد مجموعتان من الـ [بارسا] الفرس ، واحدة فى أقصى الجنوب والثانية على مسافة بعيدة غربى المجموعة فى النقش . وإذا أتبعنا هذا التفسير فالفرس [بارسا] الذين لهم أهمية خاصة هم الذين كانوا على صلة بالعيلاميين ، وهم أقوام قديمة كان مقرهم الركن الجنوبى الغربى من الهضبة ، وعلى الأخص مدينة سوسا . وفى ٦٩٠ ق. م. تحالف الفرس مع العيلاميين لمحاولة سحق الأشوريين .

الميديون :

تسرد الحوليات الأشورية التى من القرن التاسع قبل الميلاد القبائل الإيرانية المبكرة العديدة ومن بينها الميديون فى شمال إيران . وكان الميديون أول من أسس إمبراطورية ولكن لا يعرف إلا القليل عن

تاريخهم ، وقد ذكروا في نقش أشورى عام ٨٣٥ ق . م . وهذه القبيلة أو مجموعة من البطون كان يحارب بعضها البعض ، كما كانوا يحاربون مملكة أشور . وواحد من زعماء الميديين المدعو (داياوككو) حاول توحيدهم ولكن هردوت يذكر شخصا يدعي فراورتس (هو نفسه خشاتريتا)[1] الذى قام بتوحيد القبائل وفي حوالى ٦٧٣ ق . م نجح في أخضاع الفرس في الجنوب. وكانت عاصمة الميدين أكباتانا (همدان الحديثة) التى لم يجربها الميدية أعمال تنقيب حتى الآن ولكن المصادر الكلاسيكيه تصف عظمة العاصمة التى كانت تحوى الكنوز الملكية . وكان الميديون في صدام دائم مع الاسكيذ الرحل الذين نجحوا أولا فى أخضاع الميديين سنة ٦٥٣ ق . م ، وتبعا لذلك أستقل الفرس بقيادة ملكهم قورش الأول . ولكن سرعان ما إسترد الميديون سلطانهم بقيادة ملكهم كيا خساراً (كيا كساريس — هووخ شتر) بن فراورتس الذى أعاد تنظيم الجيش وأخضع الأسكيذ عام ٦٢٥ ق . م وفرض سلطانه على كل إيران . وتحالف كيا خساراً مع ملك بابل ضد الأشوريين الذين إنهكتهم الحروب الطويلة مع بابل ومع مصر ومع مملكة أورارتو فى الشمال ، فنجح كياخساراً فى هزيمتهم وأستولى على أشور عام ٦١٤ ق . م . وقد تحولت أثناء تلك الحروب العاصمة الأشورية نينوى إلى خرائب . وقد تزوج نبوخذ نصر [ابن نبوبولاصر] أبنة كيا خساراً هذا . وقسمت المملكة الأشورية بين الميديين والبابليين . فبسط الميديون نفوذهم على الأقاليم الأشورية شرق الدجلة وشماله ، وتوسعوا نحو الغرب داخل آسيا الصغرى وحاولوا فرض سلطانهم على ليديا ولكن إنتهى الأمر بعقد تحالف بينهما نتيجة لتوسط ملك بابل . وفى ٥٨٥ ق . م أستولوا

---

1. Khshathrita (Phraortes).

على أورارتو عند بحيرة وان ووصل نفوذهم حتى نهر أراخيش . [أراس](١)

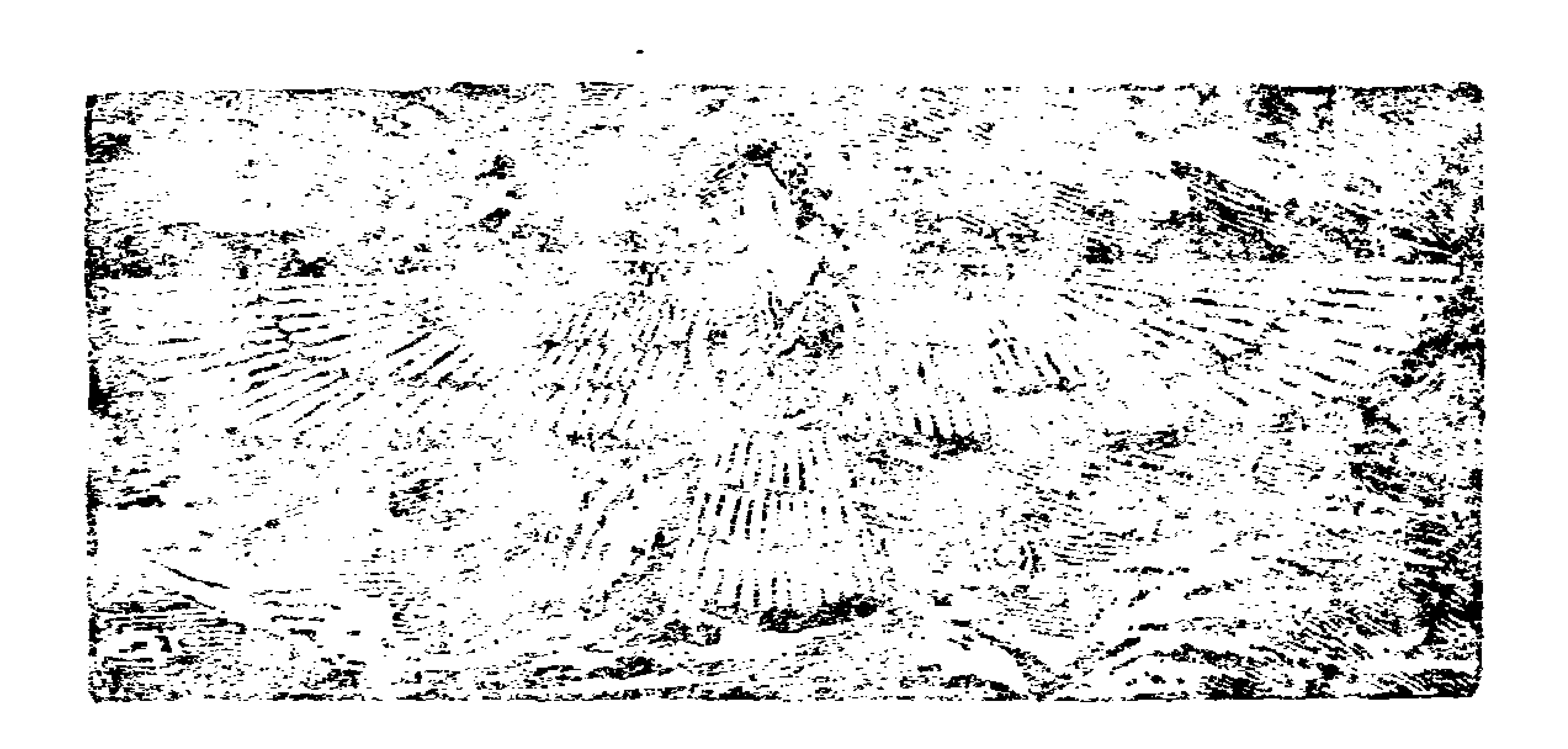
أما ملك بابل نبوخذ نصر الثانى [٦٠٤ — ٥٦٣ ق . م] فقد أستولى على كل من سوريا وفلسطين بالإضافة إلى مملكة بابل التى يحكمها بحكم الوراثة . والأطلال الأثرية الوحيدة التى يمكن أعتبار ميدية بحق هى سلسلة من المقابر المنحوتة فى الصخر فى سارى بول . وتتميز واجهاتها بطنف ذى أعمدة ، وهى تمثل عمارة هذا العصر . وكان لها تأثير قوى على الأسلوب التالى المتبع فى المبانى الأكمينية . وتزدان هذه المقابر بنقوش دينية تصور شخصا يحمل عنقود العنب المستعمل فى الشعائر الدينية . ومما عثر عليه تمثال أسد ضخم من الحجر فى همذان ولكنه مهشم .



شكل ٢٤ : محارب ميدى كما هو مصور فى نقش اشورى .

1. Aras, Araxes.

الاخمينيون



شكل ٢٥ : الإله اهورا مازدا ، معبود الفرس ، وقد صور بجناحي الإله حورس المصرى حامى الفراعنة .

الفرس الاخمينيون

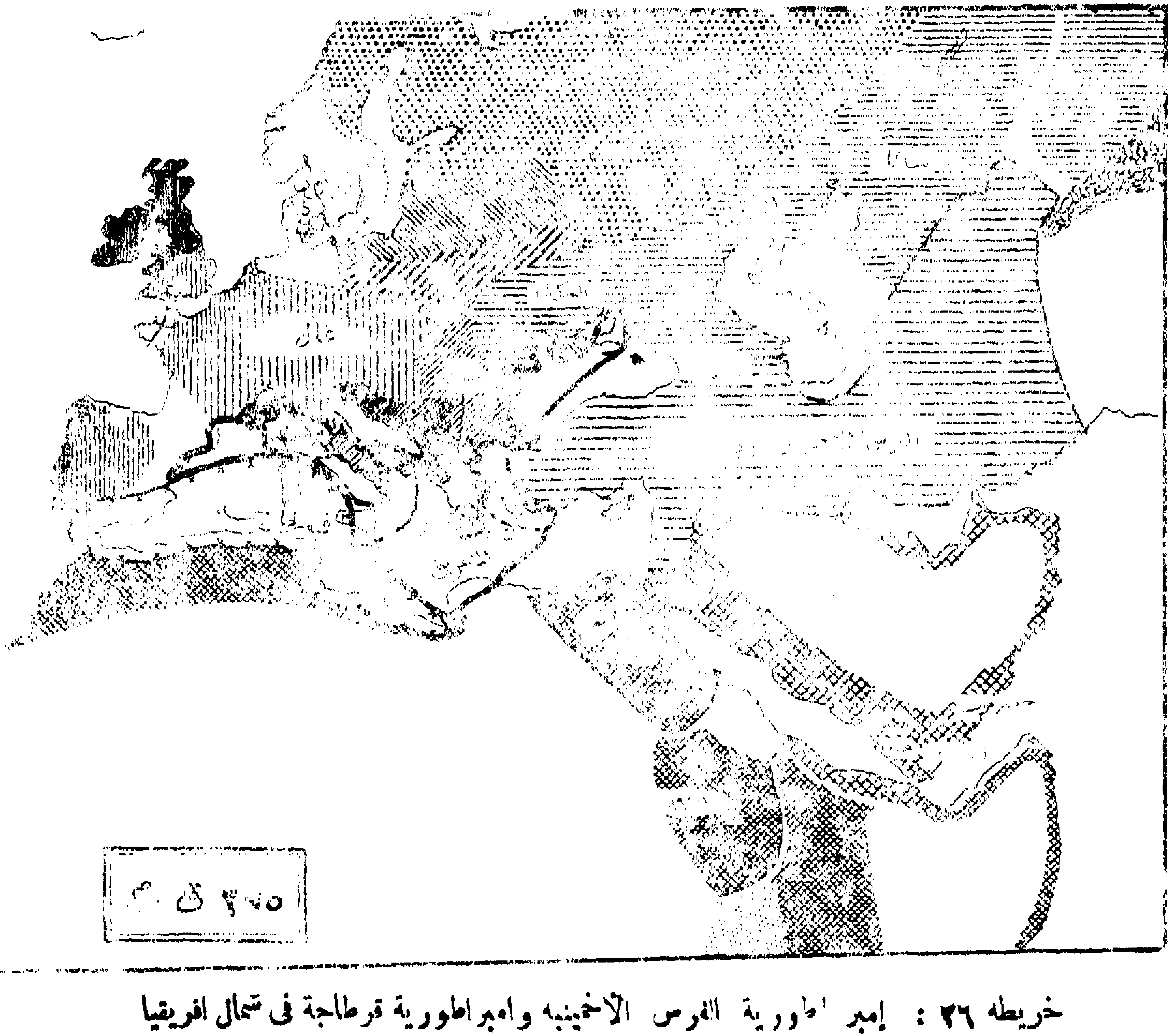
الفرس الاكمينيون (الاخمينيون — هاخمانشية) Hakhamanish :

تذكر الحوليات الآشورية ٨٤٣ ق . م . قبيلة بارسوا التى استقرت فى المنطقة التى تقع جنوب بحيرة أورميا ، (الرضائية[1]) . وفى القرن الثامن قبل الميلاد هاجروا إلى الجنوب واستقروا عند سفوح جبال بختيارى . وقد أطلقوا على هذه الأرض الجديدة اسم بارسوماش ، وكانوا يحكمهم رؤساء عرفوا بالاكمينيين وتعكس عمارة مسجد سليمان ، شمال شرق خوزستان ، عاصمة أحد هؤلاء السادة الاكمينيين تأثير أورارتو الملحوظ الذى كان الفرس على علم به قبل هجرتهم إلى الجنوب .

وتزوج قمبير الأول ، أحد ملوك بارسوماش ، ابنة استياجيس Ishtumego (اشتوميجو) ملك الميديين والذى تشير إليه المصادر البابلية باسم أومان ماندا لتغلبه على الاسكيذ . ثم أن ابنهم قورش الثانى العظيم ، تحالف مع نبوفيد ملك بابل كما استطاع استمالة قائد الملك الميدى الذى كان يسىء معاملته ، ونجح فى هزيمة استياجيس (جده) . وبذلك أصبح وريثا للامبراطورية الميدية ، وأسس عاصمته الرئيسية فى بازار جادة[2] فى قلب فارس فى وادى كثير المياه بالقرب من المكان الذى هزم فيه استياجيس . ورغم أن بازار جاده قد بنيت لتكون العاصمة الملكية إلا أنها تشبه فى تخطيطها

1. Lake Rizayeh 2. Pasargadae Paishiyauvada

(١) بزرجاده = بركاده = بايشيووادا = مشهد مرغاب تقع أطلالها على مسافة ٤٥ كيلو مترا شمال شرق من الأطلال الضخمة لمدينة فارس القديمة (اصطخر) على بعد حوالى مائة ميل من شيراز الحالية .



خريطه ٢٦ : إمبراطورية الفرس الأخمينيه وامبراطورية قرطاجة فى شمال افريقيا

معسكر بدوياً ، وأبنيتها متناثرة على مسافات بعيدة ، وكل منها محاط بحديقة فارسية صميمة . وأعظم تحفة فى المكان هو قبر قورش العظيم . وهو بناء من الحجر على شكل كوخ سقفه على هيئة جمالون ، ويرتفع على قاعدة مدرجة تعكس أسلوبا معماريا أجنبيا . وقد بلغ الفن والعمارة الاكمينية الذروة فى عهد خلفاء قورش الثانى . ولم تبق من عواصمهم العديدة إلا اصطخر التى تكشف لنا عن أجمل النماذج الباقية من الفن العالمى إلى درجة كبيرة ، وإن كان فارسيا .

قورش الثانى (كوروش) :

قورش هو ابن التابع الميدى «قمبيز الأول» الذى ذكر قبل ذلك وابنة الملك الميدى استياجيس، وعند إعتلائه عرش فارس Persis وأنشان ٥٥٨ ق. م. بنى بزرجادة، كرمز على هدفه نحو الوحدة الداخلية والخلاص من أى تدخل أجنبى ، عاصمة جديدة له (وإلى بزرجادة تنتمى القبيلة الملكية ، وعلى ذلك فهى أهم الاثنى عشر قبيلة فارسية) وأصل ثورة قورش ضد سادته الميديين مغلفة فى ضباب الأساطير التى جاء ذكرها فى هردوت (تاريخ — ١ — ١٠٧ — ٣١) . وكان هناك عدد من العوامل فى مصلحته منها عدم رضاء عدد من الأمراء عن البلاط الميدى ، والقلاقل المزمنة بين السكان المستعبدين ، بالإضافة إلى تصميم ملك بابل ، نبونيد (٥٥٦ — ٥٣٩) على الإنقلاب على الميديين حلفائه السابقين .

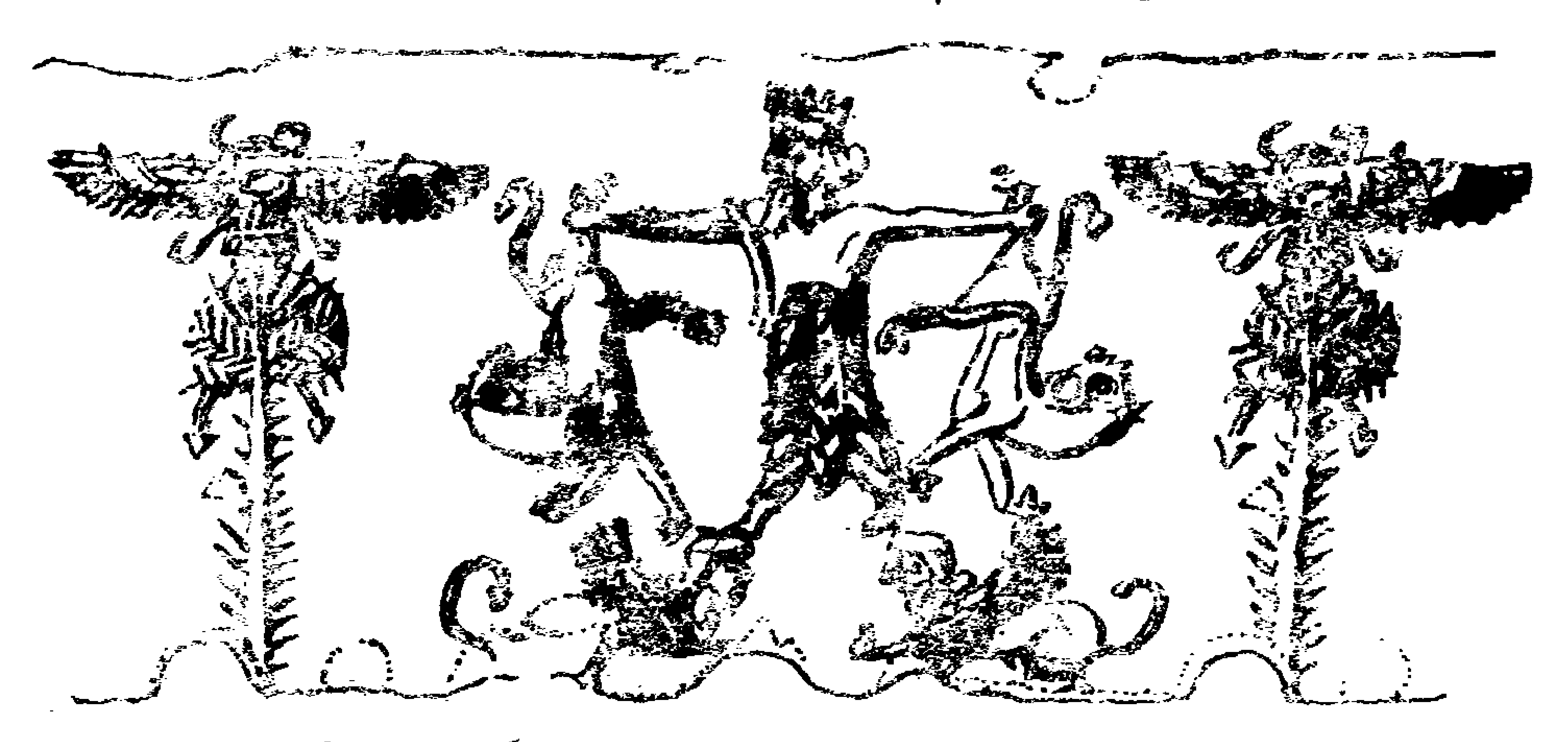
أندلعت الثورة ضد استياجيس فى ٥٥٢ وتم القضاء على مملكته فى ٥٥٠ . وأستولى على عاصمته اكباتانا ولم تستمر المملكة الميدية إلا أقل من قرن ، ووقع استياجيس فى الأسر وحبس ولم يقتل ، وصارت اكباتانا عاصمة ثانية

بعد بزرجادة، وميديا الاقليم الثانى فى الإمبراطورية . ونظراً لأن قورش كان مطمئنا من أن جناحه الأيمن (بلاد الرافدين) كان آمنا ، لأن حليفه نيوقيد كان مشغولا فى حروب بلاد العرب ، وجه قورش جل اهتمامه نحو تقوية إمبراطوريته ، وقد صارت الآن تعرف باسم مملكة الميديين والفرس ، ووسع حدوده شمالا . وفى ٥٤٧ ، هاجم كروسوس Croesus ملك ليديا ، الذى عبر الهاليس (قزل ارمق) ، وفى وقت قصير كان قد استولى على ليديا ومعظم آسيا الصغرى ، ولم يستطع مقاومته إلا المستعمرات اليونانية على الساحل . وفى السنوات من ٥٤٥ — ٥٣٩ وسع قورش حدوده الشرقية وقواها ضد البدو الذين يعيشون على حدود إيران الخارجية . ففتح هيركانيا وبارثيا ودرانجيانا واراخوسيا (ارس) وسوجديانا ، الاقليم الذى يقع بين الأخوس (جيحون) Oxus واسمه الحالى آمو ، وياخارتش (سيحون) Iaxartes ، وخورازميا (خوارزم) . وثبت حدوده الشرقية على نهر ياخارتش (سيرداريا الحالى Syr Darya) ، وأثناء عودته شدد قبضته على مارجيانا وباكتريا (بلخ) . ولم يكتف قورش بإخضاع تلك الأقوام بل أنشأ شبكة للرى فى المناطق الرعوية الجافة فى الشرق ، وأدخل الزراعة ، وقوى سلطانه بينا . مدن — قلاع ، أشهرها ماراكاندا ، التى تعرف الآن باسم سمرقند .

بعد أن قوى قورش حدوده على الجبهة الشرقية ، اتجه الآن نحو حليفه السابق نبوقيد ملك بابل . وفى ٥٣٩ ق. م هزم الجيش البابلى فى أوبيس على الضفة الغربية للدجلة ثم استسلمت سيبارو وبعد ذلك بيومين دخل بابل دون قتال .

وفى نص قورش فى بابل يذكر أن الإله ماردوخ [ماردوك] إله بابل

الذى أهمله نبونايد اصالح الإله سين سار إلى جانب قورش وجيشه إلى قلب مدينة بابل دون قتال أو معركة لأنه هو الذى أنقذ بابل من محنتها ، وقد أستسلم نبونيـــد دون خوف إلى قورش ، وكل البابليين والسومريين والأكاديين ملوك وحكام المدن سجدوا أمامه وقبلوا أقدامه وقد فرحوا بجلالته وابتهجت وجوههم بنشوة الفرح . وقد استقبل قورش كمحرر . وفى السنة الثانية أرسل أبنه قمبيز لينوب عنه فى احتفال رأس السنة الخاص بالإله ماردوخ الذى جعله قورش الفارسى فى مقدمة الأعياد جميعا . فحاكم بابل قد يكون بابليا أو أشوريا أو أراميا أو فارسيا ، ولكن الإله ماردوخ كان رب البلاد جمعاء . وبسقوط بابل انتهت آخر دولة سامية فى العالم القديم ، وظلت منطقة الشرق الأدنى ترزح تحت حكم المستعمرين الآريين من فرس وإغريق .



شكل ٢٧ : خاتم أسطوانى أخمينى يصور ملكا منتصراً على أبو الهول وعلى اسود . مكتبة مورجان . نيويورك

وقد تمكن قورش [كوروش] من توسيع مملكته فبسط سلطانه حتى حدود البحر الأبيض المتوسط غربا والهند شرقا بل تمكن أيضا من احتلال بعض المـــدن والجزر اليونانية . وبعد استيلائه على بابل أعاد الأسرى الإسرائيليين العبيد الذين كان قد أسرهم الآشوريون والبابليون ونقلوهم إلى

بابل وآشور وميديا فأعادهم إلى فلسطين . لذلك تمدح التوراة قورش [سفر عزرا] ويشيد به المؤرخون اليهود . وتعزى شهرة قورش كفاتح ومصلح إلى علاقته هذه مع اليهود الذين لم ينسوا له أبدا هذا الفضل وهو إعادتهم إلى فلسطين ليكونوا عونا له ضد أهلها الأصليين ، تحت إشراف زوربا عام ٥٣٧ ق م وأنشأ لهم مركزا دينيا ومعبدا مزدهرا .

ويعنى سقوط بابل أن الإمبراطورية الفارسية قد بسطت سلطانها على كل بلاد الرافدين وسوريا وفينيقية وفلسطين . توفى قورش فى ٥٢٩ ق م . أثناء حملة قام بها للقضاء على الاضطرابات عند حدوده الشرقية . وكان قد كلف قمبيز بتجهيز جيش عظيم لفتح مصر ، التى كانت أعظم قوة فى ذلك الوقت فى الشرق الأوسط ولم يترك قمبيز عدداً كبيرا من النقوش التى تتباهى بأعماله ولقبه الرسمى المدون على ختم أسطوانى بابلى سجله كهان الإله مردوك الذين يدينون له بالفضل . قورش ملك الجميع ، الملك العظيم القوى ، ملك بابل ، ملك أقطار العالم الأربعة ، بن قمبيز ، الملك العظيم ، حفيد قورش ، الملك العظيم .. حفيد الثانى أتياسبس الملك العظيم . ملك مدينة انشان .. » ومقبرته البديعة فى بزرجادة وسط الصحراء هى من المناظر البديعة فى فارس .

قمبيز (٥٣٠ — ٥٢٢ ق . م) .

وقد إستمر أبنه قمبيز (كامبوزيا) (كمبوجية) على نفس سياسة أبيه قورش ، وكان قد إشترك معه فى إدارة دفة الحكم مدة ثمان سنوات وكان ممثلا لأبيه فى بلاد بابل ، بينما ابنه الثانى بارديا كان حاكما على المقاطعات الشرقية . وقمبيز ، التى تصوره الروايات على أنه كان أكثر خشونة وقسوة من أبيه ، أعتبر أخوه برديا خطرا عليه وقتله . هكذا تقول بعض الروايات ،

وبذلك أطمأن وسار إلى فتح مصر عام ٥٢٥ ق م. وأستولى على مصر بمساعدة الخائن قائد جيش المرتزقة اليونانى فى الجيش المصرى وبمساعدة الأسطول الفينيقى ، إذ كانت فينيقية خاضعة للحكم الفارسى فى ذلك الوقت ، وكذلك أمده ملك الأنباط بالجمال والمياه . وقد أستولى قمبيز فى مسيرته على سايس ثم منف عام ٥٢٥ / ٥٢٤ ق . م . وأسر بسماتيك الثالث وإتجه إلى الصعيد حتى وصل إلى حدود أثيوبيا (أى السودان) ويعتبر قمبيز مؤسس الأسرة السابعة والعشرين المصرية (من ٥٢٥ — ٤٠٩ ق . م) .

وقد صارت مصر حتى الفنتيين (حيث وضعت حامية فارسية) ولاية فارسية باسم مودرايا . كما تعاون مع اليهود الشاكرين له فضله عليهم وخاصة يهود الفنتين ضد المصريين ، كما أرسل حملة إلى الواحات . ولكن هذه الحملات لم تكن موفقة . فالجيش المتجه إلى واحة آمون أختفى فى عاصفة رملية وقد إتخذ قمبيز لنفسه الألقاب الفرعونية ومن بينها (ابن الشمس) ، كما سجد أمام تمثال نايت فى سايس لجعل حكمه لمصر شرعيا .

ولكن فى الوقت نفسه أثار غضب المصريين بانتهاك حرمة معابدهم والاستيلاء على أموالها وأملاكها وترك كهنتها يبحثون عما يحتاجون إليه من القمح وحيوانات القرابين كما قتل العجل أبيس المقدس . وقد أفاض الكتاب اليونان فى الحديث عن قسوته فى معاملته للمصريين . وانتهاكه لحرمة قبر أمازيس .

ومن المؤكد الآن أن قمبيز أرخ سلطانه على مصر ليس منذ استيلائه عليها ولكن منذ سنة ٥٢٩ / ٥٣٠ ق . م . أى منذ أعتلائه عرش فارس ، وأنه أستعمل كل من النظامين المصرى والفارسى لحساب مدة حكمه . ورغم أن قمبيز ترك مصر فى عام ٥٢٢ ق.م. إلا أن الوثائق البردية المصرية

المكتوبة بالديموطيقية مؤرخة بالسنة الثامنة من حكمه، وهذا دليل على أن المصريين قد حسبوا سنين حكمه لملك فارس، وليس سنين حكمه عن مصر فقط.

وفي سوريا ، أثناء عودة قمبيز، بلغه نبأ بأن ماجوسيا ميديا يدعى جاوماتا أدعى أنه بارديا وأغتصب العرش وقد مات قمبيز « بيده هو » كما يقول نص بهستون. ولكن حسب رواية هردوت بأنه جرح نفسه بسيفه ، وحسب رأى بعض المؤرخين المحدثين أنه أنتحر .

وقد قامت ثورات في مصر عدة مرات محاولة طرد الفرس ونجحوا في هزيمة الجيش الذى أرسله أرتا كزركسيس بقيادة مجابيزوس وكان مكونا من ٤٠٠٫٠٠٠ جندى ففر بقية الجيش إلى منف وتحصنوا بها حتى وصلتهم نجدات تقدر بـ ٣٠٠٠٠٠ ألف مقاتل و ٣٠٠ سفينة ، فأضطر المصريون إلى فك الحصار الذى دام ١٨ شهرا . ولكن الثورة ظلت مستمرة . وأخيرا نجحت حركة التحرير الذى قادها [إمرتى] الذى يعتبر مؤسس الأسرة الثامنة والعشرين من سنة [٤٠٤ —٣٩٨ ق. م] ولكنه لم يعمر طويلا إذ قتله [نفريتس] أمير منديس ، وأستولى على السلطان . وبذلك أنتقل الملك إلى الأسرة التاسعة والعشرين الجديدة ، ولكنها لم تعمر أيضا من سنة [٣٩٨ — ٣٧٨ ق . م] لأن الفرس حاولوا من جديد بسط سلطانهم على مصر، ولكن نظرا لأنشغال الفرس فى حرب مع قبرص لتى تلقت مساعدات من مصر وليبيا واليونان ، أضطر قائد الأسطول الفارسى أن يتحالف مع ملك مصر أخورس الذى خلف نفريتس .

حدثت ثورة داخلية بزعامة أميرها [نخت نبف — نقطانب] الذى تولى العرش مكونا أسرة جديدة هى الأسرة الثلاثون [٣٧٨ - ٣٤١ ق م] وقد حاول الفرس فى عهده الانتقام من مصر ولكنه حسب ما ذكره مؤرخو

اليونان وديودور فقد هزمهم نقطانب كما ذكر في نقوشه. حاول الفرس مرة أخرى بعد قضائهم على قبرص غزو مصر وكان جيش الفرس يتكون من ٢٠٠٠٠٠ أسيوى و ٢٠٠٠٠ يونانى و ٣٠٠ مركب بقيادة فرنابازوس، ولكن نقطانب أقفل مصبات النيل السبعة وحصن كل منها كما حصن بلوزيوم إلى أقصى حد، إلا أن الفرس نجحوا في الأنتصار على المصريين في الفرع المنديسى، ولكنهم لم يتقدموا إلى منف، وفي هذا الوقت حل الفيضان فساعد المصريين على المقاومة وأنتصروا على الفرس الذين أضطروا إلى التقهقر والعودة إلى بلادهم وقد أوجد هذا الأنتصار حالة من الاستقرار مكنت نقطانب من القيام ببعض الأصلاحات والانشاءات المعمارية.

وقد أنتعشت البلاد في عصر هذه الأسرة مما ساعد مصر على أرسال مساعدات إلى بلاده اليونان في حربهم ضد الفرس، كما أرسل ولده تيوس نقودا إلى ملك أثينا ليرسل له جنودا مرتزقة وتمكن بذلك من تجهيز جيش ضخم يعد أعظم ما عرفته مصر منذ أيام الدولة الحديثة مكون من ٨٠٠٠٠ مصرى، ١٠٠٠٠ أسبرطى و ١٠٠٠٠ أثينى و ٣٠٠ سفينة، وسار على رأس جيشه إلى آسيا محرزا إنتصارات ضخمة في سوريا والوقوف أمام الفرس. ولكن للأسف كما رأينا فالحسد وحب السلطان والقلاقل الداخلية التى بدأت تنتشر في الأسرات المتأخرة لم تمكنه من ذلك، إذ خانه أخوه الذى تركه في مصر وأستولى على السلطان بمساعدة الكهنة الذى أحنقهم استيلاء تيوس على أموالهم، وكذلك هجره القواد ومنهم ابن أخيه والقائد اليونانى ولما أعتلى العرش نقطانب الثانى الذى كان يحارب معهم في سوريا لم يسعده الحظ كثيرا فقد قرر أرتكزركسيس الثالث مواجهة مصر ونجح في ذلك بمساعدة قائد إغريقى وكان جيشه مكون من ٣٠٠٠٠٠

جندى ، ٣٠٠ سفينة ولم يزد جيش مصر عن ١٠٠٠٠٠ . ويعتبر أرتكزركسيس الثالث أول ملوك الأسرة الحادية والثلاثين [٣٤١ — ٣٣٢ ق . م] ولم يرض المصريون عن حكم الفرس فقامت ثورات ضدهم . وكانت قوة الفرس فى غرب آسيا قد بدأت فى الأفول فقد هزم الاسكندر الأكبر دارا الثالث القارسى . وقد عامل أوخوس Ochus المصريين بقسوة شديدة وبلا رحمة وقتل العجل أبيس وسرق المعابد ودمر المدن وقتل الآلاف من المصريين .

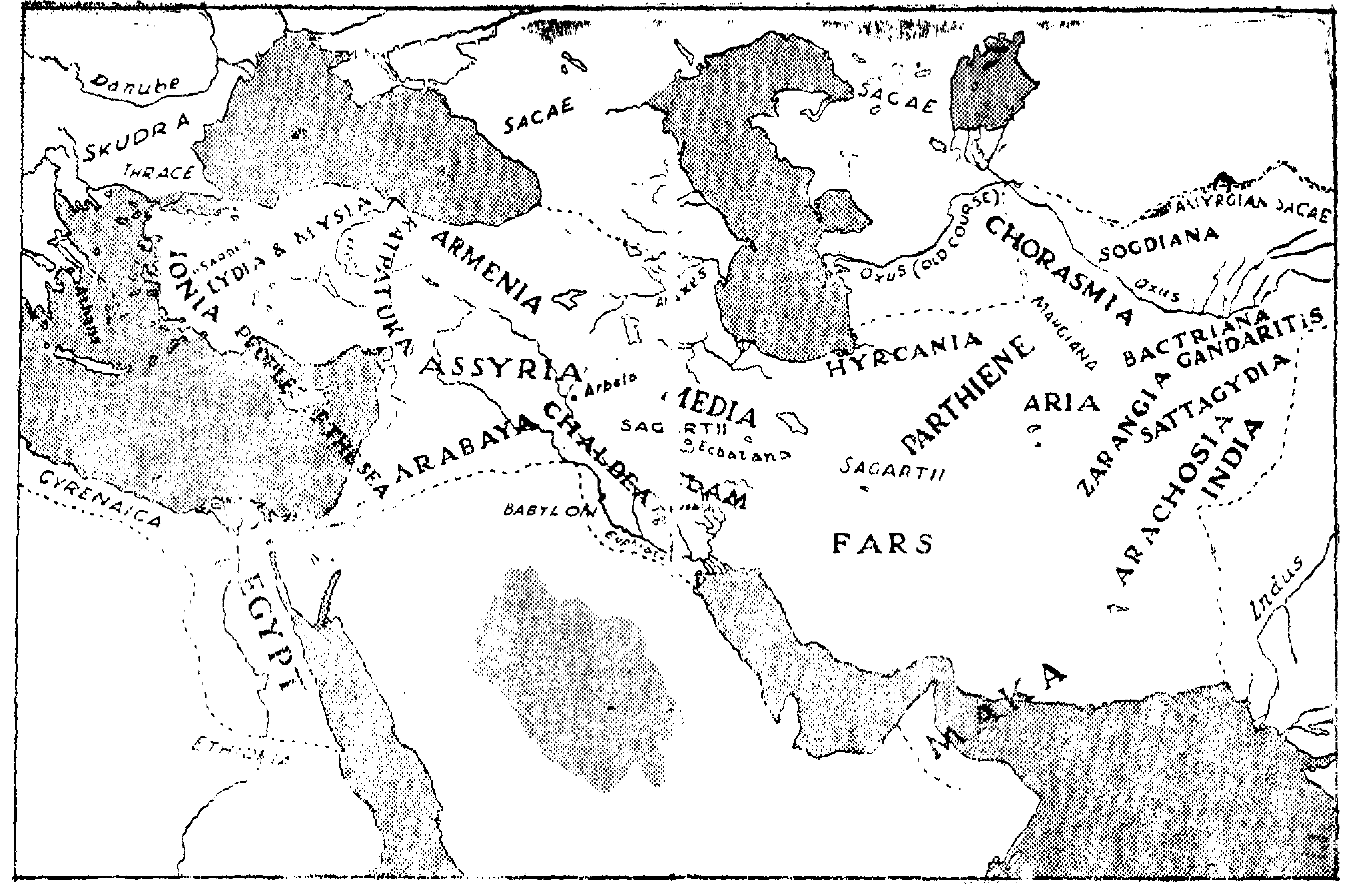
دارا الأول [دارا ياووش] [داريوش] :

كان دارا بن هيستاسيس Hystaspes حفيد [ارسامس] Arsames وحفيد ثان لارايامنس Ariaramnes الذى أخضعه كياخسارا الميدى . كان هستاسبس — ومن المحتمل أرسامس أيضا واليا على بارثيا ، وكان هذا الفرع من العائلة ينظر بعين الحسد ارتفاع نجم أخو أريامنس المدعو قورش الأول ، ونجاحه فى التخلص من السلطان الميدى استياجيس . على أن عائلة قورش الأول نظراً لزواجها بأسرة كيا خسارا قد دخلها كثير من الدم الميدى ، بينما بقيت أسرة [أريارامنس] جد [دارا] ذات دم فارسى نقى وعمل دارا ، مستمدا قوته من هذه الزاوية ، وهو نقاء دمه ، على الإستيلاء على سلطان الفرس . وكان يقف فى سبيل ارتقائه للعرش بارديا بن قورش العظيم وأخو قمبيز الذى زعم دارا أنه مدع . فكل من قصة هردوت ودارا تتفق فى أن دارا قد أستولى على السلطان من شخص يدعى جاوماتا الذى زعم أنه بارديا (المدعو سمرديس عند هردوت) والذى قتله الملك سراً . إذ بعد موت قمبيز ظهر شخص يدعى جاوماتا — سمرديس دانت له جميع المقاطعات الفارسية ، دون سبب معروف ، بالولاء . ولكن دارا زعم أن جاوماتا هذا يحاول محو

بارديا الحقيقى من كل ذكرى . ولم يستطع أحد أن يتصدى له سوى دارا الذى هزمه هو وأتباعه فى المدينة الميدية منسيكا وفاتى .

ويرى بعض المؤرخين أن جاوماتا هذا لم يكن مدعيا ، كما زعم دارا إنما هو بارديا نفسه الذى قتله دارا ليصل إلى السلطان . وأن هذا الاسم جاوماتا من اختراع البلاط الفارسى لتبرير قتل بارديا و خدعوا هردوت ، وخاصة أن كل من الكتاب اليونان اكسنوفون وايسكيلوس لم يذكرا قصة الإدعاء هذه . ومما يؤيد هذا أن معظم الولايات والأسر النبيلة أنضمت إلى جاوماتا هذا واستمرت فى محاربة دارا (داريوش) ومنازعته السلطان حتى بعد موت جاوماتا . ثم أن دارا كان ملازما لقمبيز فى مصر وكان من المقربين إليه ، ولكن بمجرد وفاة قمبيز فى فلسطين أسرع دارا إلى فارس للاستيلاء على السلطان من جاوماتا . وكان جاوماتا هذا الذى زعم دارا انه مدع يشبه شبها شديداً لبارديا حسب قول هردوت . مما يؤيد القول بأنه بارديا الحقيقى ، وأن قصة قتل قمبيز لأخيه سرا قصة مختلقة لتبرير إدعاء دارا . ومما يؤيد ذلك أيضا أن بارديا أخو قمبيز كان مجوسيا (ماجوس) وكان جاوماتا أيضا ماجوسيا . وليؤكد دارا شرعية حكمه تزوج ابنتى قورش الثانى واحدهما تدعى أتوسا Atossa (زوجة جاوماتا) والثانية تدعى أرتيستون ، ثم تزوج فاديمة ، ابنة واحدة من السبعة ، واثنتان من تلك السيدات كانتا زوجتين لقمبيز .

وبسبب الانقسام حول بارديا والحروب الأهلية التى نشبت انهارت إمبراطورية قورش . ولم تبق سوى باكتريا وأراخوسيا تحت سلطان دارا . ولكن دارا استطاع معتمداً على إخلاص أتباعه الستة الذين ساعدوه فى الانتصار على بارديا ، وبقدرته العسكرية استطاع إخضاع باقى الأقاليم فى مدة



خريطة ٢٨ : الولايات الفارسية الأخمينية

أسماء الولايات الفارسية فى العهد الاخمينى : —

كوفيا (عيلام)	Khuvja
تياى دراياهيا	Tyaiy drayahya
سپرد ، سباردا ،سفاردا	Sparda
ياؤنا (يونيا) يونان	Yauna
مادا (ميديا)	Mada (Media)
كاتبا توكا — كابا دوكيا	Katpatuka
بارثاوا — برتو — (بارثيا)	Parthava
زرانـكا (زرنك)	Zranka
درانجيانا	Drangiana
حلمون	Helmond
هرايوا	Haraiva
هراة	Areia
خوارزميش	Khuvarazmish
خوراسميا ، خوارزم	Choresmia
خيوه	Chiva
باختريش — باكتريا — بلخ (باختر	Bakhtrish
ثاتاجوش (البنجاب)	Thatagush
ساتتا جيديا	Sattagydia
هارا خوواتيش (رخج)	Harakhuvatish
اراخوسيا	Arachosia

لا تزيد كثيرا عن سنة . إذ أندلعت ثورة عارمة ضد دارا فى كل أنحاء الإمبراطورية : فارس ، ميديا ، أشور ، بارثيا ، مصر ، مارجيانا ، وبلاد ساتا جيديا وساكاى .

فى ديسمبر ٥٢٢ ق . م . وجد دارا نفسه لا يحكم فقط إلا إقليم بابل الذى تحت حكمه العسكرى، بل حتى عرش فارس وهى الإقليم الرئيسى ، كان يحتله فاهيازداتا Vahyazdata الذى أدعى أيضا أنه بارديا المقتول والذى اعترف به موظفوا القصر الملكى فى بازرجاده . ولم تمكن حملات دارا الأولى فى شتاء ٢٠ / ٥٢١ ق م . موفقة ضد أرمينا وضد فاهيازداتا وفراورتيس الميدى من نسل كياخسارا الذى أعلن نفسه أيضا ملكا .

ولكن فى أبريل ٥٢١ ق . م . استطاع دارا أن يعد جيشين ، أحدهما بقيادة ارتافارديا Artavardiya الذى سار ضد فاهيازداتا والثانى بقيادة دارا نفسه الذى توجه نحو فراورتيس وكان جيشه ينتظر دارا فى كامباندا . وحدثت المعركة فى كوندورو يوم ٧ مايو وهرب فراورتيس إلى راجا حيث قبض عليه وشنق فى أكباتانا التى كانت قد أنضمت إليه . وبنهاية عام ٥٢١ ق . م . أستطاع دارا السيطرة على جميع البلاد التى كانت خاضعة لقورش [باستثناء مصر وآسيا الصغرى] .

نقش بهيستون(١) : ونظراً لأن معركة كوندورو كانت الفاصلة فقد اختار دارا صخرة بهيستون التى تطل على ساحة المعركة ليسجل عليها نبأ انتصاره .

وهذه الصخرة تطل على الطريق التجارى القديم على مسافة مائة كيلو مترا جنوب اكباتانا ومعنى كلمة بهيستون بالفارسية القديمة [باجاستانا] مكان الإله . وعلى ارتفاع ٧٠ مترا من سطح الأرض يمكن رؤية نقوش دارا وقد

(١) مكان الاله Behistun : Bisuten : Baga-stana :

سجل هذا النصر بثلاث لغات هى الفارسية القديمة والعيلامية والأكادية . والفارسية القديمة هى لغة دارا . وكان النقش مسجلا فى ٤١٤ سطرا والنقوش تشغل مساحة قدرها ١٨ مترا فى العرض و٨ أمتار فى الارتفاع . وهى تعطى تفاصيل انتصاره فى المعركة .

وفوق النص المدون بثلاث لغات نقش بالحفر البارز منظر يصور دارا واقفا وخلفه حامل القوس وحامل الحربة وقدمه اليمنى فوق جاوماتا مدعى العرش الذى يرفع ذراعيه طالبا الرحمة . وقف دارا ويده اليسرى قابضة على قوسه الواقف بينما رفع يده اليمنى تحية وتبجيلا للاله أهورامازدا الإله الخالق الذى وهبه النصر والمصور محلقا فوق الأسرى يحمل بيده اليسرى أكليل التتويج بينما رفع يده اليمنى ليبارك الملك . وأمام الملك وقف الزعماء الثائرون العسعة مقيدى الأعناق وأيديهم خلف ظهورهم وقد سجل اسم كل منهم ووظيفته .

وكان أول من وصل إلى هذه الصخرة ونقل نقوشها هو ضابط بريطانى يدعى هنرى س . رولنصون بين ١٨٣٦ و ١٨٤٧ م . وقد بدأ جروتفيلد فى محاولة فك النقوش قبل نهاية القرن الثامن عشر فى عام ١٨٠٢ . ولكن لم يحدث تقدم إلا حوالى منتصف القرن التاسع عشر وقد أمكن بالمقارنة قراءة اللقب الملك العظيم ، ملك الملوك بمعرفة عالم فرنسى يدعى بورنوف وعالم من بون يدعى لاسن فى عام ١٨٣٦ م ، أما النص العيلامى فترجمه العالم الإنجليزى نورس Norris فى عام ١٨٥٣ . أما الخط الأكادى فقد بذل علماء مختلفون مجهودات كبيرة قبل أن يصلوا إلى حله حوالى ١٨٥٧ م منهم رولنصون وهنكس وتالبوت وأوبرت .

وقد سجل على لوحة بهيستون أول قائمة بالسترابيات وقد رتبت ترتيبا جغرافيا دائريا بادئة بالإقليم المركزى فارس ، كوفيا [عيلام] ، بابايروش [إقليم بابل وتدخل ضمنه فلسطين وسوريا] أثورا [أشور] ،

أرابايا [يشمل الجزء الشمالى من شبه الجزيرة العربية] ، مودرايا [مصر] تياى درياهيا [بلاد البحر على الساحل الشمالى لآسيا الصغرى ، التى تدار من داسكيليوم] ، سباردا [سفاردا] تشمل سارديس وليديا ، ياونا [يونيا] ، المستعمرات الإغريقية على الساحل الغربى لآسيا الصغرى ، مادا [ميديا] ، أرمينا [أرمينية] ، كاتباتوكا [كبادوكيا] ، بارثاوا [بارثيا] ، زرانكا درانجيانا [سجستان] [منطقة حول بحيرة هيلمند — هلمون] ، هارايوا ، [أريا ، إقليم هراة الحديثة] ، خوارازميش [خورسميا حول خوارزم الحديثة] Chiva باختريش (باكتريا ، على المجرى الأعلى لنهر جيحون) ، سوجدا (سوجديا) إقليم حول سمرقند الحديثة) جاندارا (شمال البنجاب) ، ساكا (بلاد السقيس شرقى باكتريا التى يسكنها الساكاى) ثاتاجوش (ساتاجيديا غربى جاندارا وجنوب باكتريا ، هاراخووانيش (أراخوسيا) جنوب ثاتاجوش ، بلوخستان ، ماكا (عمان ومسقط) على ساحل إيران الجنوبى على المحيط .

بعد أن دعم دارا مركزه فى الداخل اتجه إلى آسيا الصغرى وفى ٥١٢ ق . م . عبر البسفور وأخضع تراقيا ثم اتجه نحو الدانوب ثم عاد إلى فارس دون أن يدعم فتوحاته . ولما اكتشف دارا أن الإغريق من بلاد اليونان يساعدون المستعمرات الإغريقية فى آسيا الصغرى للقضاء على الحاميات الأكيمنية ، قام بحملتين آخريين فى ٤٩٢ و ٤٩٠ ق . م . وانتهت حملة ٤٩٠ بهزيمته فى معركة ماراثون المشهورة التى أدت إلى إنسحاب الفرس . أكسركسيس الأول ؛ اخشويرش ؛ خلف أباه داريوس فى ٤٨٦ وبدأ مرة أخرى حملته إلى بلاد اليونان وبقوة قدرها ١٫٧٠٠٫٠٠٠ رجل كما يذكر هردوت . (وهذا طبعا مبالغ فيه جدا وهردوت لم يكن دائما صحيحا أو دقيقا فى معلوماته) ويساعده أسطول قوى . وقد استولى على أثينا وحرق

الاكروبوليس فى ٤٨٠ . ولكن بعد هزيمة أسطوله وأى أكسركسيس في معركة سلاميس وهزيمة قواته البرية فى معركة بلاتيا Plataea ، أنسحب إلى آسيا الصغرى . لم تتوقف الحروب بين المدن الإغريقية والإمبراطورية الأكمينية ولكن صارت أقل حدة .

دارا الأول فى مصر :

كان من أهم أعماله إعادة تنظيم القانون المصرى بهدف إعطاء الإمبراطورية الفارسية نظاماقانونيا موحدا وثابتا .

وكان من أعماله أيضا إنشاء قناة تصل بين البحر الأبيض المتوسط وبين البحر الأحمر وقد عثر فى معبد فى تل المسخوطة فى شرق الدلتا على لوح من الجرانيت الأحمر سجل عليه دارا ذكرى إنشائه لقناة تشبه قناة السويس (٥١٨ — ٥١٥ ق . م .) وإرتفاع اللوح ٣ر٥ مترا وعرضه ٢ر٦٠ مترا وهذه القناة كان قد تم حفرها فى عهد الفرعون نكاو الذى أمتنع عن أستكمال حفرها عندما علم حسب نبوءة بأنها لن تعود بالفائدة إلا على الأجانب وليس على مصر . وقد ذكر هردوت ذلك . وقد وجد دارا بعد أن أرسل سفنا لاستكشاف القناة القديمة أن جزءاً من قناة نكاو قدره ٨٥ كيلو مترا كان مردوما . وقد قام دارا على جانبى القناة خمس أستيلات من الجرانيت الأحمر عثر على أحداها عند حفر القناة الحديثة عام ١٨٦٦ م . وهى موجودة الآن بحديقة متحف الإسماعيلية .

وكانت هذه القناة تخرج من البحر الأحمر بالقرب من تل بسطة إلى بحيرة التمساح ووادى طميلات ثم إلى البحر الأبيض ويبلغ عرضها بعد إتمامها ٤٧ متراً . وقد ذكر أيضا أن هذه القناة كانت موجودة فى عهد الأسرة الثانية

عشر المصرية التى كان إهتمامها موجها بالدرجة الأولى نحو العمران . وكان يمكن عبور القناة كلها فى مدة أربعة أيام .

وقد بدء فى حفر القناة عند زيارة دارا لمصر عام ٥١٨ ق . م كان ومن نتائجها مرور ٤٠ سفينة محملة بالجزية إلى مصر ، ومن نتائجها أيضا تكليف أحد الربان الأغريق سكيلا كس السكاريندى لاستكشاف سواحل الجزيرة العربيه حتى سواحل الهند بطريقة منظمة . وكان الهدف من ذلك هو التوسع فى الأقاليم الهندية وقد قام دارا بذلك عام ٥١٥ ق . م . وبسط حدود ثاتايوش حتى وادى السند وأسس أقليما جديدا باسم الهند .

التاريخ المتأخر

الثمار المرة لسياسة اخشويرش الأول القصيرة النظر فى مصر سرعان ماذاق مرارتها ابنه ارتكسركيسيس الأول . وكان مصدر الثورة أناروس، ابن فرعون سابق ، الذى زار فى الوقت المناسب بركليس فى أثينا فى ٤٦٠ ق . م طالبا العون ضد عدوهم المشترك ، ولم يكن الإغريق قد استغلوا انتصارهم الـكاسح فى يوريمدون واستطاع أسطول حلف ديلوس أن يسيطر على الشام وحاول بقيادة كيمون ، استعادة قبرص أيضا ، ولكن كورنث و ايجينا كانتا منهمكتين فى حربهما الخاصة ، كما أن حلفاء الإغريق السابقين كانوا قد تفرقوا . ولكن الآن عندما نزل الجيش الاثينى فى مصر قتل الستراب الفارسى المدعو أخمين Achaemenes واستولى على منف . ولو نجحت هذه الحملة الاثينية فى تأسيس استقلال مصر لقاست فارس من أعظم ضربة، ولكن الحملة انتهت بكارثة تامة مما اضطر أثينا أن توجه تفكيرها نحو السلام . وقامت بعثة برئاسة كالياس ، أبرع دبلوماسى اثينى ، إلى سوسة للتفاوض على الشروط اعترفت فارس بسيادة أثينا على دويلات أيونيا فى حلف ديلوس واستعدت لمنح الحكم الذاتى إلى الدولة التى كانت لا تزال خاضعة للملك العظيم ، وألا تبحر أى مركب فارسى فى البحر الإيجى أو فى البوسفور ولا تقترب أى قوات للستراب على مسافة تزيد عن خمسين ميلا من تلك الأجزاء من ساحل آسيا الصغرى التى تحت السلطان الاثينى . ومن جانبها تركت أثينا قبرص وتعهدت بعدم التدخل فى مصر ومن الاحتمل أنها وافقت على إبقاء ايونيا منطقة منزوعة السلاح .

صار ارتخشارش Artaxarxes الآن مطلق السلطان فى تقوية مركزه فى

مصر تحت الستراب الجديد ارسامس وقد وعـد مجابيزوس قواد الثورة المصرية وعلى رأسهم أناروس بوحيل آمن إلى بلاط سوسة ، ولـكن ارتخشارش ، قيل أنه نقض هذا الوعد بناء على توجيه من الملـكة الأم ، امستريس Amestris ، وذبحهم ومنظر قتلهم صور على خاتم أسطوانى أخينى . وبالتأكيد كانت هذه الفعلة الخسيسة التى دفعت مجابيزوس إلى تنظيم ثورة فى سوريا ، وقد صور لنا على أنه رجل قدير ويوضح هذا الحادث مدى الضعف الـكامن فى الحـكم الفارسى بتدخل النساء الملـكات فى شئون الدولة وكيف مرة تلو المرة عملن على مجافاة أحسن القواد . كما يدل على قسوة قلوبهم وسوء معاملاتهم للأسرى وللشعوب المقهورة .

والشروط التى وضعت لسلام كالياس للاستقرار فى أيونيا لم تستمر مدة طويلة . فطوال حكم بركليس أتبعت أثينا سياسة ودية تجاه فارس ، وقد استقبل زوبايروس Zopyrus ابن مجابيزوس ، الذى كان اسمه محل احترام لدى الإثينيين بسبب معاملته الطيبة للقواد الإغريق الأسرى فى مصر، وقوبل بترحاب فى أثينا فى ٤٤٥ . وهناك قابل هردوت « أبو التاريخ » الذى كان مستعداً أن يكمل مذكراته عن رحلاته الحديثة الخاصة فى ربوع آسيا مع بعض قصص « وسمى » عن التاريخ الأكينى . وسرعان ما أظهرت الحروب المعلقة بين اليونانيين (الأيونيين) وبين بيسوثنس ، ستراب سارديس — الذى حظى بولاء كثير من المدن الأثينية ، إن السلام لم يكن إلا مجرد هدنة ، وأن الأمور قد تتأزم مرة أخرى لولا نشوب الحرب البلبونيزية بين أثينا وبين أسبرطة فى ٤٣١ التى أنهـكت قوى الدولتين الإغريقتين الرئيسة . وفى المرحلةالأولى ، لم تتدخل فارس إذ بدأ يضعف ارتخشارش الذى توفى عام ٤٢٤ فى نفس يوم وفاة زوجته ، داماسبيا Damaspia . وتولى ابنهم ، اكسركسيس الثانى Xerxes الحـكم لمدة أربعين يوما . ثم قتله أخ غير

شقيق يدعى سكايدا نيوس Secydanius ، ابن ارتـخشاش من محظية بابلية ، مما أدى إلى حدوث سلسلة من الأحداث المؤسفة . وما كاد القاتل يستولى على العرش حتى قام اوخوس وهو ابن ثالث لارتخشارش ، وهو أيضا من محظية بابلية ، بثورة فى بابل حيث عينه أبوه ارتـكسركسيس الأول ستراپا . وأعلنت هيكانيا إقليمه السابق ولاءها له كما ساعده ارسامس فى مصر . وفى ٤٢٣ أعلن ملـكا على بابل باسم دارا الثانى . وكان أول عمل يقوم به هو تطهير القصر من الخونة وأعدم سكايد انيوس وكل من اشترك معه فى قتل اكسركسيس .

لم يكن الفرس فى المرحلة الأولى من الحروب البلبونيزية فى مركز يسمح لهم بانتهاز الفرصة للاستفادة من الانشقاق الإغريقى . أضف إلى ذلك عدم استقرار الحالة السياسية الداخلية فى فارس نفسها والاتجاه الإنفصالى للستراب بيسوثنس Pissuthnes فى ساردیس . ولـكن فى المرحلة الثانية من الحروب [بعد سلام نيكياس Nicias ٤٢١—٤١٤ ق . م .] لم تـكن أسبارطة تستطيع أن تترك الفرصة السانحة لها بسبب تخبط حلفاء أثينافى آسيا الصغرى، كما أن فارس كى تخضع بيوثنس أرسلت تيسافرنس Tissaphernes ،وهو رجل سياسى محنك مكير ، وهو الهدية المناسبة لمؤامرات أسبارطة . وسرعان مامنعت أموال تيسافرنس عن الستراب بيسوثنس الجنود المرتزقة الإغريق التى كانت تعتمد عليها قوته . فوقع فى الأسر وقتل كثائر . وامورجس [امورگس] Amorges ابن بيسوثنس باحتلاله الساحل الـكارى بمساعدة أثينا ، أمد الملك العظيم بالسبب اللازم ليدخل الحرب رسميا إلى جانب أسبارطة . وقد هزم امورجس وقبلت قواته الدخول فى خدمة تيسافرنس . وقبل أعضاء حلف دلفى المديدون القاطنون أرض القارة كل على حدة

حاميات فارسية ، وحول جزيته إليها . وبهذا نجح ، فارنابازوس ستراب داسيكيليوم ، وتيسافرنس ، الذى صار الآن يشغل منصب الحاكم العسكرى العام ، فى إخضاع كل الإغريق فى آسيا الصغرى للسلطان الفارسى ، وبطريقة غير مباشرة انتصرت فارس فى حرب البلوبونيز لحساب أسبارطة ، إلا أنه وكما هو الحال عادة فى تاريخ الفرس ، كانت انتصارات الفرس تجهضها دائما الثورات المصرية . وكانت قبرص فى مركز حرج ، لأن ثمة حاكم محلى فينيقى استطاع عام ٤١١ السيطرة على المستعمرات الفينيقية فى كتيوم وايداليوم Idalium وصار يهزأ بالفرس ويتبع سياسة موالية لأثينا . وكانت فينيقية قلقة بسبب هذا الموقف . بدأت الثورة فى مصر بثورة فيدارناج Vidarnag القائد العام فى ليبيا . وكانت المناسبة تغيب الستراب ارسامس فى زيارة رسمية إلى سوسة . وأسباب وترتيبات الثورة غير معلومة ، وفقط فى عام ٤٠٥ أنضم إليه أمرتى ، وهو مدع ثان للعرش ، قوى مركزه فى الدلتا ووادى النيل وقد أمدتنا مجموعتان من أوراق البردى الآرامية المعاصرة بأضواء عنها .

ومن الوثائق الآرامية من العصور الفارسية المراسلات الآرامية لمستعمرة اليهود المنفيين فى الفنتين (أبو (Jeb)) على النيل ، أكثر من ٩٠٠ ك . م . جنوبى القاهرة . ومعظم الوثائق الأرامية هى وثائق توارانية ، ولكن بعضها يلقى ضوءا قيما على الإدارة الفارسية فى مصر . والفنتين (التى إتخذ إسمها من تجارة العاج) كانت مركزاً أماميا ، جزيرة فى وسط النيل على حدود السودان [أثيوبيا] ، حيث لم يجرؤ ، قمبيز على التقدم . ويهود المستعمرة يخضعون لـ (دجل) degel على إسم الضابط الفارسى الذى يرأسهم . وكان معهم زوجاتهم وعائلات الموظفين الملحقين بالمستعمرة ، وكانوا يحصلون على طعامهم من الحكومة ويعيشون فى ثكنات وفرتها لهم الحكومة .

ورغم أن المستعمرة كانت راضية فى دورها العسكرى وبما يوفره لها السكان من تجارة مربحة إلا أنه كان هناك صدام مع كهان معبد الكبش — خنم البنى على الجزيرة قبل مجىء المستعمرين الجدد بزمن طويل . وكان لليهود معبدهم الخاص ، ومذبح التضحيات ليهوه « إله السموات » ، كما فى عزرا ونحميا وهو ، الوحيد الذى نعلم بوجوده خارج أورشليم . وتخبرنا أوراق البردى كيف أن كهان خنوم هدموا المعبد اليهودى أبان ثورة ٤١٠ ق . م . وكيف حاول اليهود أن يعيد وابناءه بارسال خطابات إلى كبار المسئولين الفرس فى مصر وفلسطين ، ومنهم باجوهى Bagohi الحاكم الفارسى ليهوذا ، خليفة نحميا ومن بين الوثائق وخطابات الأعمال ، ووثائق الزواج ووثائق العبيد ، توجد ترجمة أرامية كاملة لنقش دارا على صخرة بهيستون .

ولما كان أرسامس متغيبا فى ذلك الوقت ، أرسل اليهود رسالات إلى باجوهى فى أورشليم وإلى أولاد سانبالات Sanballat ، حاكم إسرائيل والسامرة ويوحنا، الحاخام الأكبر فى أورشليم إلا أن أحدا منهم لم يرد عليها، يشتكون ، ثم أتصلوا بارسامس نفسه وأرسلوا له تظلم جديد . وفى النسخة المحفوظة لنا ، يتعهد حاخامات الفئتين بأنه لن تقدم أية ذبائح فى المعبد بل ، فقط الغذاء والشراب . فهل كان اليهود يراعون الشعور الزرادشتى لارسامس بتذكيره بتلويثهم للنار عند أحراق أجزاء الحيوانات ، أم أنهم أرادوا تهدئة يهود أورشليم منذ أن التطهير والمركزية اللذان قررهما القانون الدينى اليهودى الذى أحضره عزرا ونحميا ، لا يسمحان بالخروج عن التقاليد فى عدم إعتبار أى مكان خارج معبد أورشليم مكانا صالحا لتقديم قرابين محروقة فى النار إلى يهوه . ومما يعكس أيضا المركزية فى

القانون اليهودى فى العهد الفارسى وعلى تفهم أرسامس للمسائل اليهودية خطاب منه قبل دمار معبد الفنتين ، أمر فيه المستعمرين بالاحتفال بعيد الفصح حسب قانون أسفار موسى الخمسة . وليس فقط غياب أرسامس وحالة الأضطراب قد تأيدت من هذه الخطابات ، ولكن ظهور إمرتى قد ذكر فى البردية د٣٥ التى تشير إليه بصفته ملكا .

وتسير مجموعة أخرى من البردى الآرامى من الفنتين ، والمحفوظة بمتحف بروكلين ، بتاريخ المستعمرة مدة أطول ، وتبين أن الحكم الفارسى قد أستمر فى مصر بصورة ما حتى نهاية ٤٠٢ ق . م فى عهد إرتخشاشتا الثانى [أرتوزركسيس] أى الشتاء السابق لثورة قورش الأصغر . ويبدو أنه من المحتمل أن مصر تخلصت من الحكم الفارسى عندما حدثت ثورة قورش ، منذ أن برديات بروكلين توضح أن الفنتين كانت لا تزال ملتزمة بالخضوع لارتخشاشتا حتى لشتاء السابق للثورة فى ٤٠١ ق . م ومن الاشياء الهامة التى وصلنا من مستعمرة الفنتين خطاب كتبه شوابار زكريا من مكان ما فى مصر إلى زميله ييسلاه Yislah فى الفنتين يذكر فيه القبض على الملك أمرتى وأعتلاء نف حوت رع الأول [٣٩٨ ؟] ، مؤسس الأسرة التاسعة والعشرين المصرية والتى كانت من إتباع الآله الكبش خنوم الذى كان معبده فى الفنتين شوكة فى جنب عباد يهواه . وقد حاول المستعمرون اليهود التخلص منه دون جدوى . فكان إرتقاء الأسرة الجديدة إيذانا بنهايتهم ، ومنذ ذلك التاريخ لا نسمع عنهم شيئا .

كان إهتمام أرسامس بمصر أعمق من مجرد السياسية ، فمعظم نقوده كانت فى مصر . ومن الصدف الفريدة أن بعض الرسائل الخاصة بأعماله قد

عثر عليها فى مصر فى حقيبة جلد دبلوماسية مختومة وقدم إسهخوذت عليها مكتبة بودليان ، أو كسفورد ، فى ١٩٤٤ . وهى أثنتا عشر رسالة وجذاذه مكتوبة بالآرامية الرسمية على أشرطة من الرق ، منها رسائل من أرشام (أرسامس) إلى نق حور ،وهو موظف مصرى مكلف بالإشراف على ضيعة أرسامس الشخصية الكبيرة التى فى الدلتا . وهى تدور حول مسائل مادية : جمع إيرادات ، أنتقال إيرادات الأب إلى الأبن الذى حل محله فى الوظيفة ، إستدعاءات للمثول أمام الستراب ، إطلاق صراح عسكرى قبض عليها خطأ، واحداها جواز مرور لنق حور ، وبعضها عن الحالة الداخلية . هذه الخطابات لا بد أنها كتبت من أرسامس أثناء غيابه عن مصر فى ٤١١ — ٤١٠ ق.م وواحدة منها تتحدث عن عودته الثانية خاصة بالاضطرابات « عندما كنا فى الخارج » بالإضافة إلى ذلك فالعبارة الواردة فى أحد بردیات الفنتين من أن « الفصيلة المحلية من القوات المصرية قد ثارت » فى السنة الرابعة عشر للملك دارا عندما ذهب حا كمنا أرشام إلى الملك » وهى تمدنا بدليل قوى على ثورة مصر فى ٤١٠ ق . م .

والتحركات المعقدة التى قام بها تيسافرنس والأسبرطيون فى متابعة الحرب الأغريقية فى المنطقة الأيجية سرعان ما قضت عليها محركات الملكة باريساتس . وعند إعتلاء دارا العرش أعلن رسميا تنصيب أبنه الأكبر أرشاك [أرساكس] وليا للعهد ولكن باريساتس كانت تكرهه وتآمرت بكل قواها لتقدم أبنها الثانى قورش ، الأخ الأصغر . و فى ٤٠٧ ما كاد قورش يبلغ السادسة عشر ، حتى نجحت فى عزل تيسافرنس من القيادة العامة فى آسيا الصغرى وتعيين قورش مكانه وكانت حجتها إن معظم قوات الجيش الفارسى كانت متمركزة فى الغرب فالذى يستطيع السيطرة عليها ؛

يمكن أن يصبح ملكا . وصار قورش يتصرف فى آسيا الصغرى كملك ، وأهمل قورش التكتيكات الكبيرة لتيسافرنس الذى أستمر يستعمل الأسبرطيين ويساعدهم سراً ، أما قورش فصار يساعدهم علنا . والأموال التى دفعها للاسبرطيين ساعدتهم على الأنتصار فى معركة إيجوسبوتامى Aegospotami ، وبذلك قطعوا عن أثينا إمداداتها من القمح الروسى وفى ٤٠٤ أضطرت أثينا للاستسلام بسبب المجاعة .

ولم يعط دارا إهتماما كثيراً لهذه الأحداث؛ وفى نفس السنة حدثت ثورة فى ميديا وأستدعى قورش للانضمام للقوات المحلية فى فارس . ووقع دارا مريضاً أثناء المعركة ونقل إلى بابل حيث توفى. ورغم مؤامرات والدته، أعلن أرشاك نفسه ملكا متخذا لقب إرتخششتا الثانى [٤٠٤ — ٣٥٩] ولكن صار معروفاباسم منيمون Mnemon« رجل الذاكرة »عند الأغريق، وكان ضعيفا ، ودائما فى قبضة باريساتس أو فى قبضة زوجته ستاتايرا Stateira التى لا تقل عن أمه وقاحة . وإذاصدقنا مذكرات طبيبه الأغريقى الخاص فإن مؤامرات القصر لم تتركه لحظة يتمتع بالراحة

من الواضح أن قورش كان عليه أن يكافح من أجل العرش ، وقد أستطاع أستمالة كل من فارنا بازوس وتيسافرنس الذى أسند إليه حكم كاريا ، وبذلك أستطاع السيطرة على كل القوات العسكرية فى آسيا الصغرى . بالإضافة إلى ذلك كان بوجد عدد كبير من المرتزقة الأغريق الذين بات لاعمل لهم بعد أنتهاء الحرب البلبونيز)ة. وكان من بينهم زينوفون الأثينى . وقد أنضم إلى قورش أيضا سينسيس Syennesis ، ملك قيليقيا . وتجمعت جميع أجهزة الحرب بحجة مهاجمة مملكه بيسيديا الصغرى. وفى ٤٠١ تقدمت الجيوش نحو بابل ووصلت إلى مسافة ٩٠ كيلو مترا منها فقابلت عند

كوناخشا Cunaxa [خان إسكندرية] بالقرب من قلعة فالوجة ، قوات إرتخشيشتا وقوات إبروكوماس ستراب سوريا ، وهزم الثوار ، وقد هاجم قورش شخصيا أخيه وأصابه بجرح ولكن إرتخشيشتا قتله بضربة رمح ويقص علينا زينوفون قصة عودة العشرة آلاف أغريقى من المرتزقة إلى البحر عند طرابيزوس Trapezus . وأرسل ملك الفرس معهم قائدا فارسيا لمراقبتهم أثناء الطريق . وإقترح القائد الفارسى « تسافرنس » على قائد الأغريق عقد مؤتمر يحضره جميع الضباط الأغريق،وكانت مؤامرة قتل فيها جميع الضباط الأغريق. ولكن الجنود إنتخبوا واحدا منهم ، وهو زينوفون ، قائدا لهم . فعاد بهم إلى الوطن . وقد دون زينوفون ، بعد عودته ، جميع الأحداث ، وكتابه مصدر هام لدراسة بلاد المنطقة من الناحية الجغرافية ولمعرفة الشعوب التى كانت تسكن تلك المناطق فى القرن الخامس قبل الميلاد ومن الجدير بالملاحظة أن زينوفون قد مر على أطلال مدينة نينوى دون أن يلاحظ أى شىء من آثارها لأن الفرس كانوا قد خربوها تخريبا تاما قبل ذلك بقرنين من الزمان وقد مر المرتزقة أيضا فى طريقهم على بلاد [كردوجى] الأكراد ، قبل أن يصلوا إلى البحر الأسود . عند طرابزون .

كانت ثورة قورش أكبر ضربة للاسرة الأخمينية ، وهى لم تكشف فقط عن الأضطراب الداخلى فحسب بل وضعت فارس أيضا على طريق الهبوط فى المجتمع الدولى . كان قورش ثائرا حقيقيا ولكنه كان فى الوقت نفسه خبيرا بشئون الغرب والأغريق ، ومما يؤكد ذلك أن كل من فرنابازوس وتسافرنس قد إنضما إليه ، وربما لو أستطاع الأنتصار فى الحرب والاستمرار فى الاتفاق مع أخيه لغير وجه الشرق بما يدخله من تأثيرات يونانية ، فالثقافة اليونانية لم تمتد فقط إلى آسيا الصغرى ، إنما دخلت قبرص وفينيقية ومصر ،

وفى العصور التالية لم يستطع الملوك العظام بسط نفوذهم بصورة فعالة على أسيا الصغرى ، خاصة أن أسبارطة التى كانت تتعاون مع الفرس ، كانت فى الواقع بعيدة كل البعد عن المحيط الفارسى وإتصالها كان قاصرا على تسافرنس الذى كان ملما بشئون الغرب والذى وقع فريسة لمؤامرات باريساتيس . أضف إلى ذلك أن إرتخشتا كان مشغولا بحروبه مع قبائل كادوسى[1] التى بدأت فى عصر أبيه والتى أستنفذت كل موارد الدولة ، ولم يكن لديه من الوقت ما يسمح له بالاهتمام بآسيا الصغرى وعند موته فى ٣٥٨ ق . م . أخذت الأطراف الخارجية للامبراطورية فى التقلص . وقد حاول أبنه وخليفته إرتخشتا الثالث « أوخوس » (٣٥٨ — ٣٣٨ ق . م) فى إعادة مجد الامبراطورية وبدأ بسوريا وفلسطين التى كانتا تساندها مصر التى كانت قد أستقلت . وقد حارب الأغريق والمصريون جنبا إلى جنب دفاعا عن حكم نخت — حر — نب فى مصر ولم يستطيع إرتخشتا أخضاع مصر إلا فى ٣٤٣ وسام أهلها سوء عذاب .

بعد ذلك اتجه إلى آسيا الصغرى واستطاع بسط سلطانه عليها من جديد ، إلا أن الظهور الفاجىء لمملكة مقدونيا التى بزت بقدراتها السياسية والعسكرية كل من اليونان والفرس ، أدخل عنصرا جديدا وقويا فى الميدان الدولى . وكانت قدرة ارتخشتا على إكتساب الحروب لاتعتمد على مميزات تاريخية إنما ترجع إلى طبيعته الشرسة والمتطرفة ، ولكن لسوء حظ الإمبراطورية الفارسية أن أغا يدعى باجواس دس له السم فقتله وكان هذا بداية النهاية .

بينما كان باجواس يلعب دور [صانع الملوك] ، فوضع أرسيس بن اوخوس على العرش ، كان فيليب المقدونى [٣٥٩ — ٣٣٦ ق م] الذى

---

(١) كدوسى Cadussi Carduchti

قضى قضاء تاما على الاستقلال الإغريقى ووحد بذلك كل الممالك الإغريقية خلفه تحت قيادة كورنث ، كان يستعد للهجوم على فارس وفى عام ٣٣٦ تحرك جيش من عشرة آلاف رجل بقيادة المرشالين اتاللوس وبرمنيون ودخل آسيا الصغرى ليحرر الدول التى تتكلم اليونانية ، وكان هذا إيذانا بنشوب ثورة جديدة فى مصر ، وسرعان ما بدأت العلاقات بين باجواس وأرسيس فى الفتور مما أدى إلى قتل أرسيس وعائلته . وعوض باجواس العرش على دارا حفيد أخ ارتخشرشا الأول ، وهو الشخص الوحيد فى البيت الأخمينى الذى له أحقية العرش والذى نجا من حمامات دماء باجواس وارتخشيشتا الثالث .

دارا الثالث « كودوماتوس » [٣٣٦ — ٣٣٠] كان آخر الأخمينين وكان به شرارة من نار العائلة وكان شجاعا وقد نجح فى إخضاع مصر ولكنه تجاهل الخطر المقدونى . وفى سنة إعتلاء العرش ، أغتيل فيليب وأعتلى العرش المقدونى ابنه أسكندر وكان يبلغ من العمر إحدى وعشرين عاما . وفى صيف ٣٣٤ قضى الاسكندر على الجيوش الفارسية فى معركة نهر جرانيكوس . (الغرانيق ، كرانيك) .

وفى السنة التالية ٣٣٣ اتجه دارا غربا فقابل الاسكندر فى أسوس وهزمه الاسكندر ففر دارا وترك أهل بيته .

نظام الإدارة فى الامبراطورية الفارسية الأخمينية :

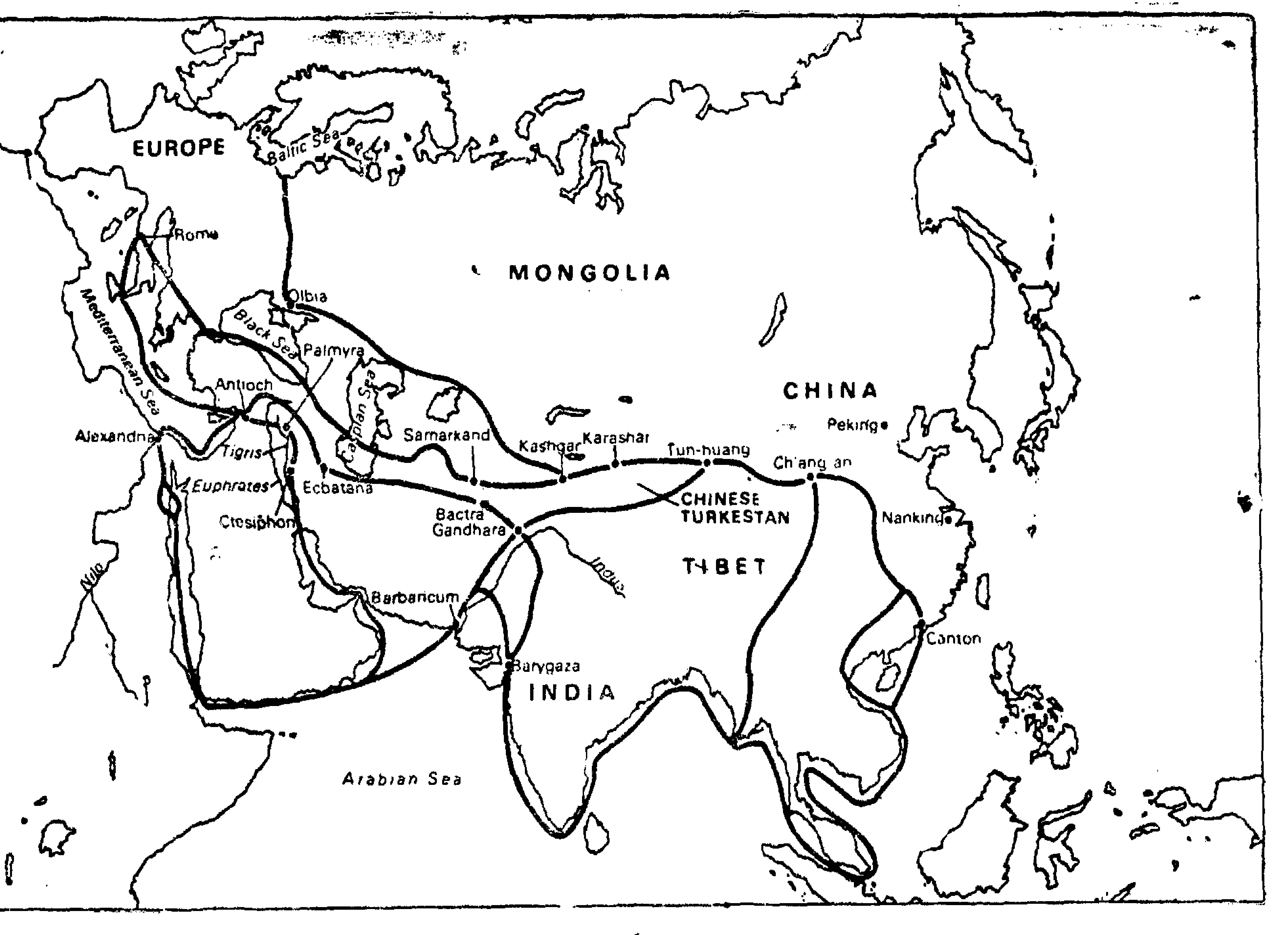
نظراً لإنساع رقعة الإمبراطورية الفارسية تمتد من الهند حتى البسفور شمالا ووادى النيل جنوبا ولكون الفرس أقلية فيها بل وأحدثهم حضارة فقد كان من الأفضل لهم أن يحتفظ كل إقليم بلغته وشخصيته ونظمه وديانته ، وأن يتمتع فوق ذلك بحقوق الدولة التى ينتمى إليها على أن يعين على كل إقليم

والبيا فارسيا . وقد قسمت الإمبراطورية إلى عشرين ولاية أو [ستراببة] وكلمة ستراببة Satrapy كلمة يونانية محرفة من الكلمة الفارسية خشاترابفان ـ Khshathrapavan وأهم الولايات الفارسية هى : مصر وفارس والهند ، بابل وآشور وأرمينية — فلسطين — سوريا وفينيقية وآسيا الصغرى

ومن المؤكد أن قورش وقمبيز من بعده هما اللذان أسسا ستر بيات ، ولكن دارا هو الذى قسم الإمبراطورية كلها إلى ستراببيات . وليضمن عدم قيام نزعات إنفصالية ، أعاد تنظيمها على أسس جديدة . فعين إلى جانب كل ستراب (أو حاكم إقليم) قائدا عسكريا كان مسئولا مسئولية مباشرة أمام الملك ، وليس هذا نظاما جديدا ، إنما اتبعه الحكام الحيثيون من قبل والمصريون من قبلهم: وإلى جانب هاتين الوظيفتين ، كما عين موظفا ملكيا يكون هو المسؤول عن جمع الضرائب .

وإلى جانب الوالى عين أيضا سكرتيرا يشرف على كل تحركات الوالى ويقوم بمهام ضابط الاتصال بينه وبين الإدارة المركزية . ولم يتوقف التأمين عند هذا الحد ، بل كان يعين مفتشين لتتبعهم : « آذان الملك » الذين كانوا مستقلين تمام الاستقلال ، وكان لهم فى بعض الأحيان قواتهم الخاصة وأول من أتبع نظام هذا التفتيش هم المصريون . وكان عليهم السياحة فى جميع أنحاء الإمبراطورية ويقوم بزيارات مفاجئة للادارات والتفتيش على أعمالها . وقد اقتبس شارلمان هذا النظام عن الفرس .

ولإيجاد اتصال دائم بين العواصم المختلفة للامبراطورية الفارسية وولاياتها أنشأ دارا شبكة كبيرة من الطرق ازدادت أهميتها واستمرت حتى بعد سقوط الإمبراطورية . وكان الهدف الأساسى من هذه الطرق أن تكون وسيلة



خريطة : ٢٩ ـ الطرق التجارية الكبرى في العالم القديم ومنها طريق الحرير المشهور الممتد من الصين حتى الشرق الأوسط ثم إلى مصر أو أوربا.

إدارية وعسكرية ، وقد كان هناك اهتمام كبير بإدارتها والإشراف عليها إشرافا دقيقا والطرق الجديدة نشطت الحركة التجارية فازدادت قوافل التجارة وكبر حجمها فى جميع أنحاء الإمبراطورية ومن الممكن تتبع الطريق الملكى شاه راه الذى كان يبدأ من سوسة جنوب إيران مخترقا وادى الدجلة جنوب أربل وينتهى عند ساردیس ثم يمتد إلى أفسس (آسيا الصغرى) يبلغ طوله ١٦٧٧ ميلا أو ٢٦٨٣ كيلو مترا . وكان مقسما إلى ١١١ محطة ، كل محطة مزودة بخيول جديدة للرسل الملكيين . وحسب المؤرخين القدامى كانت القوافل تقطع هذا الطريق فى تسعين يوما من بدايته إلى نهايته ، بينما كان يستطيع الرسول الملكى قطعه فى أسبوع . والطريق القديم الذى كان يربط بابل بمصر مارا بقرقميش أدخلت عليه تحسينات وربط مع طريق آخر كان يخرج من بابل إلى حلون ثم بهيستون وهمذان . ولما حدثت فتوحات جديدة فى الجبهة الشرقية للامبراطورية ، أمتد هذا الطريق إلى وادى كابول الأعلى ، حيث منبع النهر حتى يصل إلى وادى السغد . وإلى جانب هذه الطرق الرئيسية الكبرى كانت توجد طرق فرعية هامة أيضا لشئون الإدارة ولتسهيل الرحلات الملكية ، خاصة أن الإمبراطور كان دائم التنقل ، ومن هذه الطرق يجب أن نذكر الطريق الذى يربط سوسة مع برسيبوليس (اصطخر ، تخت جمشيد) والذى لا يزال يمكن رؤية جزء من سطحه المبلط بالحجر بالقرب من بيبهان ، على هذا الطريق من فهلان يوجد آثار قصر خيمة ملكية وقواعد الأعمدة من الحجر على نمط سوس أو اصطخر . وبين فهلان وبيشابور يتفرع الطريق يسارا ويدخل الهضبة عند «البوابات الفارسية» وطريق آخر يخترق لورستان ويربط سوسة مع اكباتانا حيث كان البلاط الملكى يقضى فصول الصيف الحار .

ومع ازدياد حجم التجارة والقوافل واتساع رقعة الإمبراطورية ، كانت المحافظة على هذه الطرق ضرورة حيوية .

ورغم أن الفضل فى اختراع النقود يرجع إلى الليديين ، كان دارا هو أول من وضع اقتصاد إمبراطوريته على أساس نقدى وليس على أساس المقايضة . ويستدل أيضا من نصوص دارا الأول على صخرة بهيستون ومن نقوش عديدة غيرها أنه قد وضع نظاما قانونيا لشعوبه . كما اتخذ الملوك الاكمينيين الخط المسماوى فى كتابة النقوش الملكية . كما استعملوا اللغة الآرامية لأعمال الدولة ثم أضحت اللغة العالمية للامبراطورية الأكمينية .

وقد كانت الدولة الهخامانشية (الأخمينية) فى الواقع استمرارا للدول الآشورية والبابلية والعيلامية . والأساليب الاخمينية هى نفس أساليب البابليين والميديين مع بعض تعديلات أدخلها عليها قورش الأول بفضل عبقريته .

وكانت الجزية على كل إقليم تصدر بمرسوم ملكى كما كان متبعا فى النظام الرومانى . ويبلغ مجموع الجزية السنوية ١٤،٥٠٠ طالنت من الفضة والطالنت أو الرطل هى وزنة ٦٠ ميفا (والميفا = ٦٠ شاقلا) والوزنة تساوى تقريبا رطلا إنجليزيا أو ما يقرب من نصف كيلوجرام ، وكانت ولاية الهند تدفع ما يساوى تقريبا ثلث الجزية العامة = ٤٦٨ وزنة فضة سنويا ، وتليها بلاد الرافدين (بابل وآشور) وكانت تدفع ١٠٠٠ وزنة ، وكان نصيب مصر ٧٠٠ وزنة بالإضافة إلى كمية من القمح ترسلها سنويا تكفى لإطعام ١٢٠،٠٠٠ شخصا . وكانت الجزية المفروضة على سوريا وفلسطين ٣٦٠ وزنة . إما ولايات آسيا الصغرى الأربع فكانت تدفع ١٧٦٠ وزنة . وكانت بلاد الماديين ترسل كل

عام ۱۰۰،۰۰۰ رأسا من الغنم وبلاد أرمينية ۳۰،۰۰۰ من الطيور . وكان الملوك يحصلون أيضا على ثروات طائلة عن طريق سك النقود .

ولكى ندرك قيمة ما كان لدى ملوك الفرس من ثروة يكفى أن نعرف أنه فى آخر أيام الامبراطورية الاكيمينية التى انهكتها الحروب والمؤامرات عندما فر الملك دارا الثالث أمام الاسكندر أخذ معه نحو ۸۰۰۰ وزنة . وبلغ ما استولى عليه الاسكندر من خزانته نحو ۱۸۰،۰۰۰ وزنة قدرها المؤرخ . ديورانت بما يقرب بـ ۲،۷۰۰،۰۰۰ دولا أمريكيا فى عصره منذ حوالى ثلاثين عاما أى مايساوى الآن ۲۷۰۰،۰۰۰ دولارا .

هذا باضافة إلى الضرائب العينية والتموينية .

فكانت سترابية بابل وأشور تدفع إلى جانب ۱۰۰۰ طالنت هدية من ٥٠٠ فتى لجعلهم أغاوات [خصى] . بالإضافة إلى مواد تموينية للقصر تكفيه أربع أشهر فى السنة . وكان يقدم يوميا إلى [تريتانتا خمس] ابن [ارتابازوس] ، حاكم الولاية ، ارتابا من الفضة . وعلى الفلاحين توفير غذاء للخيل الحربية ، وثمنمائة فحل خيل و ١٦٠٠٠ فرس وكان البابليون كى يحولون بين بناتهم وبين إرسالهم بالقوة إلى البلاد الأجنبية ، كانوا يقدموهن غانيات .

وكانت اثيوبيا تدفع كميات من الذهب الخام و ۲۰۰ كتلة أبنوس وخمسة أولاد وعشرين ناب فيل ، وإقليم ميديا يدفع بالإضافة إلى الجزية ۱۰۰،۰۰۰ رأس غنم واسترعاء ٥٠،۰۰۰ حصان للملك ، وكذلك سترابية أرمينيا كانت ترسل ۲۰،۰۰۰ مهرا سنويا لعيد ميترا ، وكان الكوشان يقدمون هدية من مائة فتى ومائة فتاة ، وهن سلفات الجراكسة الجميلات من

العصر التركى . وكانت كبدوكيا تقدم أيضاً ١٥٠٠ حصانا ، و ٥٠٠٠٠ رأس غنم و ٢٠٠٠ بغلا و ٢٦٠ حصانا أبيضا من قيلقية

وكل هذه الجزية والهدايا المفروضة على الولايات المحكومة كان يؤدى إلى فقرها ويدفعها إلى الثورة ومحا لة التخلص من نير الفرس وكان من الطبيعى أن يرحبون بالاسكندر ويعتبرونه منقذا من هذا الاستعباد .

جيش الفرس :

يتضح مما وصل إلينا من وصف لمعركة جاوجا ميلا أن الجيس الفارسى كان يتكون كله من عناصر غير فارسية باستثناء فرقة الخالدين الفارسية ثم فرق أخرى من فرس غير ، أخمينيين ، من باكتريا ومن سوسة ومن ميديا وبارثيا ومن فرق ساسانية . أما الفرق غير الفارسية أصلا فهى كثيرة منهما اليونان المرتزقة وسوريون وبابليون وأرميفية وقبائل من الخليج العربى وفرق كبدوكية وكارية ومارديه والبانية وأوخيانية وهندية وصغدية وأوخيانية وأراخوسية وكادوسية وسيستانية وتابورية وهيركانية والسكيت .

وهذا يوضح أن التفوق الحربى الذى كان للفرس لا يرجع إلى قدرتهم الحربية . بل إلى قدرتهم على جمع عدد كبير من الجيوش المرتزقة من عناصر مختلفة غير مخلصة وغير راضية ، وربما كان هذا من الأسباب الرئيسية فى عدم قدرتهم على الاستيلاء على بلاد اليونان المكونة من عناصر يونانية بحته. وهزيمتهم مرارا رغم ضخامة جيوشهم أمام الجيوش المصرية الأقل عدداً ، ثم هزيمتهم النهائية أمام جيوش الاسكندر واندحارهم التام .

عواصم الفرس الأخمينيين :

إتخذ الملوك الفرس عواصم عديدة من المدن القديمة الشهيرة .

١ — فقد إتخذ كورش مدينة سوس مركزاً إداريا له حينما كان حاكم إنشان وتابعا للماديين (الميديين) .

٢ — ثم إتخذ أكباتانا عاصمة الماديين بعد قضائه عليهم .

٣ — ثم إتخذ بابل بعد فتحها عام ٥٣٨ ق . م .

٤ — ثم شيد بزرجادة — فى موضع المعركة الحاسمة التى إنتصر فيها على أستياجيس آخر ملوك الماديين بين ٥٥٩ر٥٥٠ ق . م . وقد إستمرت هذه العواصم فى عهد أسلافه أيضاً .

٥ — ثم بنى دارا عاصمة جديدة هى برسيبوليس [مدينة الفرس] أو أصطخر أى الحصن ، تخت جمشيد ، ولم يتم بناءها إلا فى عهد إرتخششتا الأول .

الديانة :

أهورا مازدا هو الآله العظيم ، هو أعظم من كل الآلهة ، هو الذى خلق السموات والأرض هو الذى خلق الإنسان وهو الذى أنعم بالنعم على الإنسان الذى يعيش على الأرض ، هو الذى وهب الملك والسلطان لدارا على كل البلاد التى تحوى شعوبا عديدة خاصة فارس وميديا والشعوب الأخرى ذات اللغات المختلفة والجبال والسهول .

أهورا مازدا هو الآله العظيم الذى خلق كل شىء ، وهو الذى وجه بمشيئته أعمال الملك والذى أنعم عليه بالسلطان وباسم الاله فتح السلطان جميع

البلاد . وفى تنفيذ أوامره كان الملك يحظى ببركة الآله ، وكان خضوعا تاما . ورغم أن الملك كان يستمد سلطانه من الاله إلا أنه لم يكن محكوما بعقيدة دينية . ولم يكن للملك عبادة خاصة ، ولكن مجرد أن أهورا مازدا قد وضعه على العرش ، أعطيت له سلطة قدسية فى أنحاء الإمبراطورية .

لم يكن أهورامازدا هو الاله الوحيد ، فمن هوردوت نعلم أن الفرس عبدوا الشمس (ميتراً ، مهر) . والقمر (ماه) والأرض (زام) ، والنار (أتار / آذر) والمادة (أبام نابات) وأنه كان ثمة تمييز بين الآله الرسمى للدولة وبين الآلهة الشعبية . ولكن منذ عصر إرتخششتا الثانى أتسع البنثيون الرسمى ليشمل آلهة أخرى بانضمام ميتراً إله العدل والأنقاذ (النجاة) أو التوبة والالهة أناهيتا آلهة الماء والأخصاب وإستمرار الخلق . وهما تأثيرات غير آرية على الديانة الفارسية وقد إنتشرت عبادة ميتراً أناهيتا فيما بعد إنتشاراً كبيراً فى أرجاء العالم وظلتا قرونا عديدة بعد ذهاب الأخمينيين والساسانيين من صفحات التاريخ . وقد وصلت عبادة ميتراً إلى بريطانيا وكشف عن معبد له فى لندن .

وكان الفرس يقدسون آلهتهم بأضحية دموية وقد وصفها هيردوت بكل دقة (وكانت توجد طبقة من الكهنة تعرف باسم ماجى (مجوس) للقيام بهذه الطقوس وهم الذين كانوا يتوجون الملك كما كانوا مسئولين عن تعليم الشباب وكانوا يكونون طبقة خاصة . وكانت تعتمد فلسفتهم الدينية على وجود عنصرى الخير والشر . وعلى عكس الفرس الذين كانوا يدفنون موتاهم كان (الماجى) المجوس يعرضون موتاهم لتلتهمها الحيوانات والطيور الجارحة .

ونحن نعلم عن مقبرة قورش حيث زارها الاسكندر ، ورأى جثمان

الملك العظيم راقدا فوق سرير من الذهب . ومنذ عصر دارا كانت مقابر الأباطرة تنحت فى صخور نقش — رستم والمثل الوحيد لدفنه هى التى عثرت عليها بعثة فرنسية . والرفاة يعتقد أنها لسيدة وضعت داخل تابوت برونز وكانت تزدان بعقد من الذهب ويصحبها آثاث جنازى فاخر منها طبق فضة وأوانى من المرمر .

وكان للفرس معابد للنار . ونحن نعلم عن ثلاثة منها من العصر الأكمينى: أحدها فى بزرجادة بناه كيروش والثانى فى نقش — رستم أقامه دارا أمام مقبرته فى الغالب ، والثالث فى سوسة ويظهر أنه من عصر إرتخششتا . كل منها عبارة عن برج يحتوى على غرفة واحدة . يؤدى إليها درج وهناك يغذى الماجى النار المقدسة . ويظهر أن الشعائر الدينية كانت تجرى فى العراء لأن المذابح التى عثر عليها كلها كانت فى العراء ، على مسافة من المعبد . وكان المذبح مزدوج . وحسب ماذكر أكسنوفون كانت المناطق التى كانت تساق إليها الحيوانات الضحية والعربات التى تجرها الخيل مقدسة لدى اله الشمس وكانت التضحية تتم فى حضرة الملك .

كما صنع الفرس تماثيل لألهتهم فقد أقام إرتخششتا تماثيل للالهة أناهيتا فى سوسة وأكباتانا وبابل وفى المراكز الهامة للامبراطورية . وتصور لنا النقوش الفارسية الأمير يقدم التضحيات أمام النار المقدسة وفوقه القرص المجنح يرتفع منه رأس أهورامازدا وأكتافه .

هذه الصورة توجد على نقش بهيستون وعلى النقوش التذكارية الأخرى . وهذه الصورة فى الواقع هى رمز مصرى قديم جداً يرجع إلى بداية الملكية المصرية وهو يصور السماء بأجنحة المنتشرة للاله حورس ، الآله



شكل ٣٠ : الإله ميترا يذبح ثورا فى غار . الإله ميترا هو إله فارسى ذكر فى الأوستا . ولكن لم يعثر على معابد هامة له فى بلاد فارس . بل توجد أشهر معابده فى أوربا . وقد صوره أحد مثالى مدرسة برجاموم على جدار شرفة فى معبد آلهة تيكه فى اكروبوليس أثينا منتصراً على الشر . فقد كان ميترا إلها نجميا وصديقا للآله أهورا مزدا وعدوا لإله الشر أهريمن . وقد صور ميترا هنا وقد أخضع الثور وسحبه من أرجله الخلفية إلى الغار ثم ضربه بخنجر عريض بناء على أمر إله الشمس الذى أرسل رسوله وهو غراب اسحم بهذا الأمر . وعندئذ نبتت من جسم الثور كل أنواع النباتات . ويرى أيضا ثعبان وكلب يلعقان الدم السائل من جسم الحيوان ، فهذا الدم هو مصدر الحياة . ويحاول عقرب . رمز الشر ، مهاجمة الأجزاء الحيوية من الحيوان . ويعتبر ميترا « رب الضوء ، ورب الحق ، المخلص من الموت ، معطى البركة ، المحارب والمنتصر » .

الأعظم . وكان العالم مقسما : أهوراامازدا : العالم العاقل . أو الحكيم : يحكم فى السماء ويحتضن ويحمى بجناحية الأرض وحاكمها الأكمينى نائبه الذى يحكم على الأرض،أهوراامازدا كان الآله المطلق ، يعلوفوق كل اله ، ولكن الدين الأكمينى لم يكن دين توحيد ولكن حركة قوية نحو التوحيد ويرى بعض العلماء أن فكرة التوحيد هذه لم تكن أصيلة فى الديانة الفارسية ، إنما إنتقلت إليها من الاسلام .

وعلى العموم فمشكلة الديانة الأخمينية ، وخاصة فيما يختص بعقيدة دارا نفسه الذى وصلنا من عصره عدد كبير من النقوش ، مشكلة عويصة لم يمكن حلها حتى الآن ، وتوضح النقوش بجلاء أن دارا نفسه والجنس الأخمينى كان من عبدة أهورا مازدا «الرب الحكيم» أو حسب تفسير باجليارو Pagliaro «الرب المفكر» .

وكان اهورا مازدا فى ذات الوقت هو الإله الأعلى عند الزرادشت Zarathustro (حوالى ٥٨٨ ق.م) ولكن بينما الجزء الأقدم من (الأوستا) وهو (جاثاس) Gathas خالى من أى إشارة إلى امبراطورية مركزية ضخمة إذ تقتصر معلوماته فقط على أقصى الشرق من البلاد الإيرانية ، إلا أن نقوش برسيس Persis خالية من أى إشارة إلى زرادشت . وقد بذل العلماء مجهودات كبيرة لمحاولة تفسير هذا الوضع . منها أن زرادشت ربما قد عاش قبل تأسيس الإمبراطورية الأخمينية .

وهيستاسبس (ويشتاسبا Vishtaspa) الذى حمى زرادشت ربما كان هو نفسه هيستاسبس أبو داريوس . وربما لم يكن اهورا مازدا من اختراع زرادشت ، بل سابقا عليه وكان الإله الخاص للأسرة الأخمينية .

والماجى ، وهم قبيلة ميدية حسب قول هردوت، وربما كانوا يتبعون نمطا آخر من المعتقدات الدينية ثم اعتنقوا ديانة زرادشت . ولا ريب أن كثيرا من نقوش دارا تهتم بالأخلاق ، وبالكفاح بين الخير والشر وهى لذلك مطابقة لمذهب زرادشت كما نعلم ذلك من النصوص المتأخرة . ولكن من الصحيح أيضا أن زرادشت كما يظهر من الصورة الدقيقة لأقوال الكهان يتعارض تعارضا واضحا مع بعض العادات الأخمينية (مثل التسامح مع الآلهة الأجنبية ، والدفن فى المقابر بدلا من ترك الجثث فى العراء ليأكلها الطير . وربما بقيت هذه المشكلة دون حل لفترة طويلة .

وربما نجد حلا فى النظرية القائلة بأنه كان لدى الميديين والفرس ثلاث ديانات للطبقات المختلفة من المجتمع : ديانة الملك ، التى تشهد بها النقوش الأخمينية ؛ ديانة الشعب التى تحدث عنها هردوت ؛ ثم ديانة المجوس (ماجى) التى وصفت فى (جاثاس) من الأوستا . بالإضافة إن الثقافة الدينية الإيرانية ليست أصيلة ، بل تعكس سمات عديدة من الأصل الميزوبوتامى القديم .

وصور اهورامازدا التى تظهر فى النقوش الأخمينية هى من بلاد الرافدين (ميزوبوتاميا) بينما الرأى المازدى القائل بـ « النماذج السماوية » للأشياء ، والتناقض بين النور والظلام هو فى الغالب رأى سومرى الخ . وعلى العموم فإن الجديد فى هذه الديانة كما يرى بعض العلماء هو إدخال نوع من الأخلاق فى هذه الديانات العامة العتيقة . ولكن هذا المبدأ الأخلاقى ليس أيضا جديدا ، فالمصريون القدماء منذ الدولة القديمة وأيضا فى الدولة الحديثة قد وضعوا معايير أخلاقية قوية حتى يضمن الناس دخول الجنة ، وكان دارا الذى فتح مصر على علم تام بها ، كما كان على علم بتعاليم الدين اليهودى .

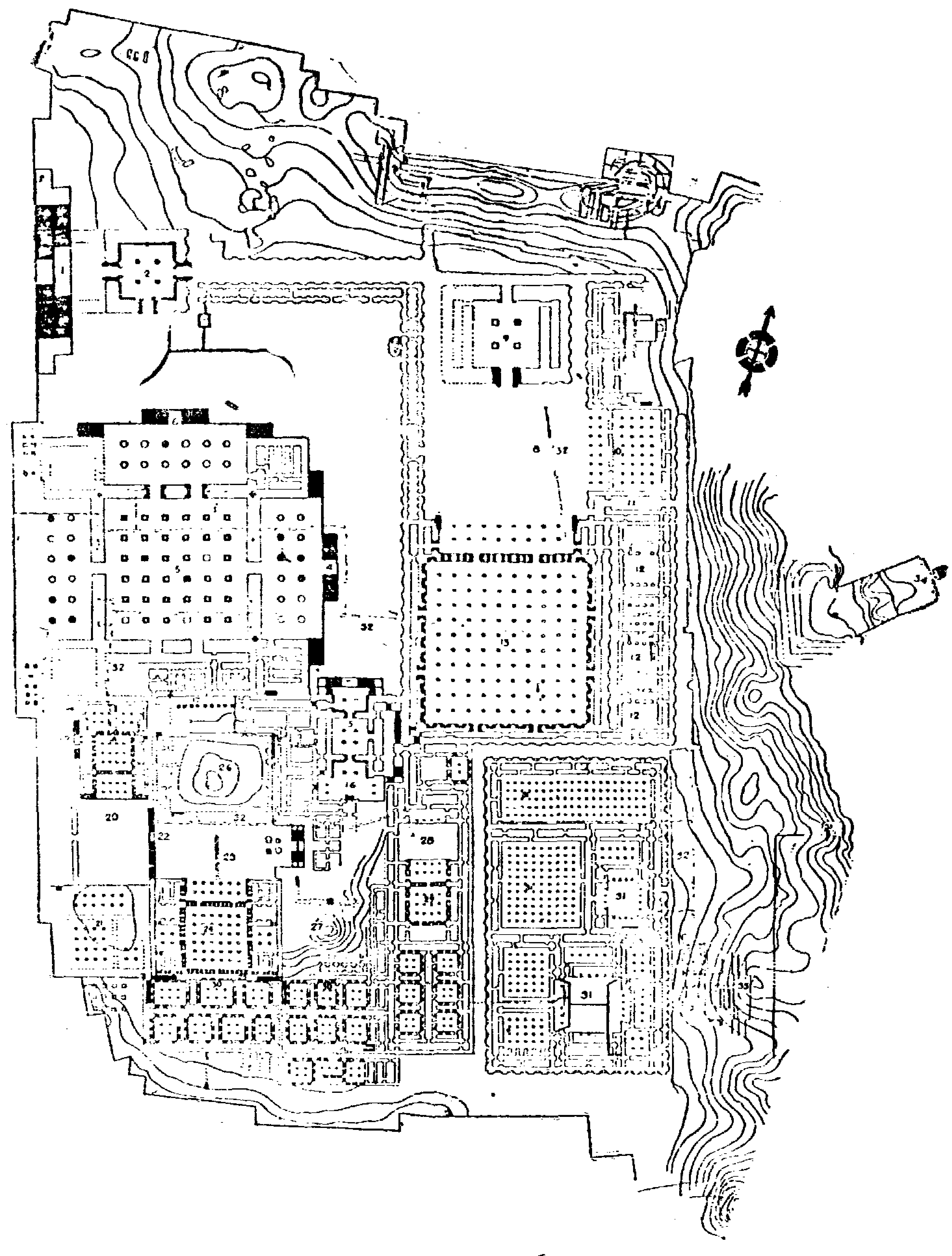
الفن

كان الميد والفرس جزءا من التيار الارى الذى اقتهز فرصة ما أحدثه الهنود — الأوربيون من اضطراب عبر العالم القديم بأسره ، واستقروا على الهضبة الإيرانية . وللميد ، مثل السكيمريون — الذين جاءوا من تراقيا وفريجيا — والاسكيد ، كانوا جنسا من الفرسان لا يمتلكون أى ثروة سوى ما يمكن حمله من سلاح وأوانى نحاسية وحلى . والفن الميدى ، الذى يعتبر كنز ساكيز هو المثل الرئيسى له ، جمع بين تأثير جيران الميد الشماليين ، السكيذ ، وبين تأثيرات نقلوها عن أعدائهم الأشوريين كما سبق أن أوضحنا .

أما الفرس ، الذى استقروا فى الجنوب ، فقد أمضوا بعض الوقت أيضاً فى شمال إيران حيث وقعوا تحت السيطرة الميدية .

وعلى ذلك كان فنهم منذ الوقت الذى استقروا فيه إستقرارا قويا على الهضبة الفارسية يمثل ازدواجية مستمرة نابعة من اختلاط التأثيرات الآتية من الشمال ومن الجنوب مع مؤثرات من التقاليد الميزوبوتامية .

ومما قوى اتحاد هذين العاملين زواج الملك الفارسى قمبيز من ابنة الملك الميدى ، وقد اشتمل الفن الفارسى أيضا على عناصر من فنون أجنبية أثناء توسع هذه الإمبراطورية الشاسعة التى امتدت من السند حتى النيل ، ونتج بالتالى فن مركب كان هو الفن الأكيفى الأمثل ولكن لم يتبق منه إلا بعض أعمال فنية قليلة خاصة بالبلاط .



شكل ٣١
الرسم المعمارى لقصر ملوك فارس
مدينة فارس القديمة (تخت جمشيد)

الملوك بناة القصور :

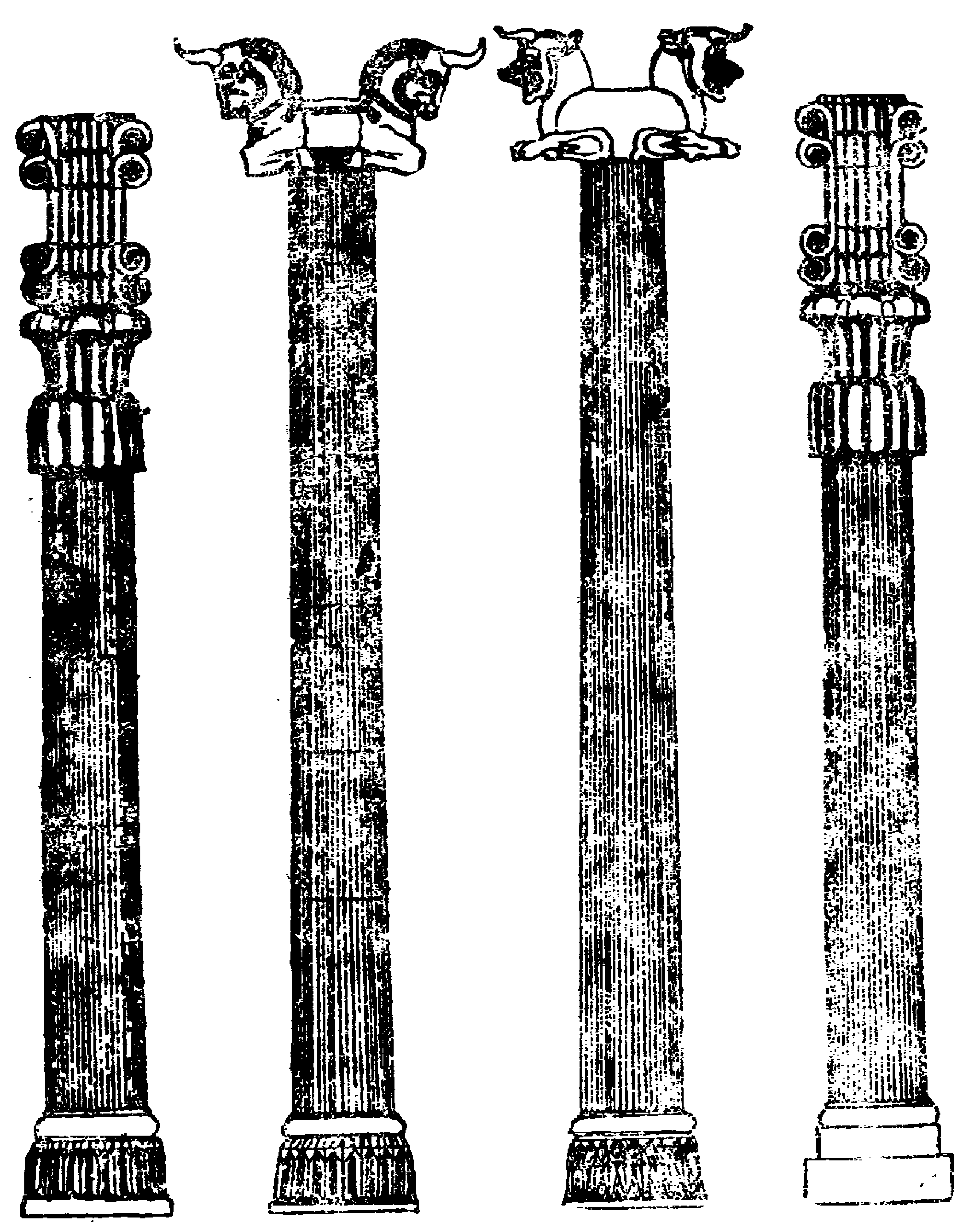
عندما استولى قورش على بابل عام ٥٣٨ق.م . وحلت الأسرة الاكمينية محل السلطان البابلى ، نقلت عواصم الإمبراطورية الجديدة إلى الشرق أى الهضبة الفارسية وإلى سوسة ، التى تلاصق سهول بلاد الرافدين السفلى،وبهذا أصبحت المدن الكبرى فى حوض الدجلة والفرات وحولتها إلى مجرد مراكز ولايات . هذا النوع من الاضطراب استتبع بالضرورة نقل فن هذا الإقليم إلى جهات جديدة .

ويجب أن نأخذ فى الاعتبار الأسباب التى تعمل على خلق كل فن . فمن ناحية عالم الواقع ، ومن ناحية أخرى عالم الإلهام ، فعالم الواقع يخضع للبيئة والأحوال الطبيعية : المناخ وللمواد المتوفرة ، أما عالم الالهام فيرتبط بالمجتمع والدين والقيم الاجتماعية ، وطبيعة الإقليم عامل حاسم فى تأثيرها على فن ناشىء . ونظراً لأن بلاد سومر كانت خالية من أى أحجار أو أخشاب صالحة فعلا للبناء . استعاضت عن ذلك باستعمال اللبن على نطاق واسع مما أعطى عمارتها ضخامة كان لها تأثير عميق على كل فن له وشائج معها ، ولكن الهضبة الفارسية ظروفها مغايرة تماما ، فالأحجار متوفرة .

وقد كان هذا سبباً فى تغيير أسلوب العمارة تغييراً شاملا ، فالبناء باللبن صعب فى هذه المنطقة مثلما كان البناء بالحجر صعبافى بلاد الرافدين . وعندما كان الفرس فى الشمال فى أو رارتو ، تعلموا كيف يبنون جدرانا دفاعية لحماية المدن، ومساكن لزعمائهم ضد غزوات شعوب الجبال الذين كانوا قطاع طرق ، والمدرج الذى صنعه الإنسان على سفح الجبل بالقرب من مسجد سليمان يمثل مرحلة أولية فى التطور الفنى أكثر مما نتبين من عمارة بزرجاده

وبهذه المناسبة ، لا يزال يوجد جدل حول معنى كلمة بزرجاده Pasargadae والتى ينطقها البعض « فارسجاده » الذى يعنى معسكر الفرس والذى يتفق تماما مع هذا النمط من البناء .

وكان على المعماريين الاكيمنيين ،بناء [مدن ملكية] (شكل ٣١)مثل ملوك الأشوريين ، مثلما فعل من قبل سرجون الثانى فى خرسباد . ولكن المدن



(شكل ٣٢) : أعمدة من القصر الملكى فى مدينة فارس القديمه

الاكيمنيه كانت عظيمة وجديرة بملك كان يحكم من السند حتى النيل ، والفنانون التشكيليون بدورهم ، كان عليهم أن يضعون لها الإطار المناسب .

وبرسيبوليس [مدينة الفرس] هى النمط الأمثل لمدينة ملكية أكيفية .
وهنا نواجه حقيقة فن الدولة الذى خلق من أجل البلاط .

ومن الأمور الشاذة فى هـذا الفن ، كما يعتقد البعض ، هو ما قام به المعماريون الفرس من بناء غابة من الأعمدة بجانب سفح الجبل حتى ظهر عليه. وهذه العمارة بأعمدتها المستديرة التى يبلغ ارتفاع الواحد منها سبعين قدما يعلوها تيجان ضخمة (شكل ٣٢،٣٣)،عمارة لا تمت بصلة إلى النسب الإنسانية بل يدور حولها الناس وكأنهم أقزام فلم يكن فنا على المستوى البشرى ولا يوجد أى مكان آخر فى العالم ازدحمت فيه الأعمدة بهذه الصورة المنفرة . وفى الأيام الأولى الامبراطورية صار التخطيط المعمارى مستقرا وصار العمود ، السمة الأساسية فى البناء ، فهو العنصر المميز لحجرة الاستقبال او عابادانا ، وصار هو المتسلط ، على العصر الفارسى ، وكان فى نفس الوقت هو ملك العمارة من اليونان إلى آسيا . ولـكن الاكيفيين تطرفوا فى استعماله حتى أنهم نقلوه أيضا إلى ديلوس فى تسموفوريوم التى قارنها شارل بيسكار بتخطيط تاخارا داريوش Tacharia [التى تتكون من حجرة رئيسية بها ثلاثة أصفف من أربع أعمدة وحجرتان متماثلتان بها صفان من أربع أعمدة . وفى برسيبوليس كل القاعات والحجرات بها أعمدة [مثل حجرة الاستقبال أو عبدان][1] ، وعندما نتذكر العدد الرهيب من الاعمدة الذى يزيد عن ٥٠٠ القامة داخل هذا الحيز المحدد ، يحدث رد فعل مضاد لهذا الإسراف ورغم أن هذا لايتفق مع الإحساس الغربى إلا أنه كان مقبولا ومرغوبا فى فارس . فالفنان الفارسى أراد أن يعبر عن عظمة الملك ولم يجد

---

(١) عبدان = عابادانا .

وسيلة تمكنه من ذلك إلا بتكرار وحدة معمارية واحدة (شكل ٣٣) ، وهذا ماسنلاحظه أيضا فى النحت الزخرفى .



(شكل ٣٣) : تاج عامود على هيئة رأس إنسان
مدينة فارس القديمة

الفن والرمزية

وليس ثمة شك فى أن العمارة الفارسية وما تتميز به من قاعاتها ذات العمد هو تقليد للفن المصرى فعندما جاء الفرس إلى مصر ورأوا معابد طيبة

وما تحويه من الأف الأعمدة ، وجمال إمعبد الدير البحرى ومدرجاته ذات الأعمده المنحوتة فى سفح الجبل ، وقاعه الأعمدة الكبرى بمعبد الكرنك التى تحوى ١٣٤ عمودا يبلغ إرتفاع بعضها ٢٤ متراً ، وشاهدوا قاعات الاستقبال فى القصور الملكية لفراعنة مصر العظام ، لم يترددا فى محاولة نقل هذا الأعجاز المعمارى إلى بلادهم ، ولا ريب أن مهندسين وحرفيين وفنانين من مصر هم الذين قاموا بهذه المعجزات فى بلاد فارس . فهؤلاء الفرس الأجلاف الذين جاءوا من الجبال ما كانوا يستطيعون القيام بهذه الأعمال الخارقة بأنفسهم دون الأستعانة بخبراء من الخارج . ورغم أن القصر الملكى فى فارس يحتوى على ٥٥٠ عموداً إلا أن معبد الكرنك بمصر يحتوى على أكثر من ٦٠٠ عموداً بالإضافة إلى المسلات التى عجز العالم القديم بأسرة عن تقليدها وأكتفوا بسرقتها من مصر . وقد كان بالأقصر وحدها الأف من هذه الأعمدة .

وكان الفرس يستخدمون أيضاً اليونانيين كحرفيين فى سوسة واصطخر ، ولكن لم يكن لهم تأثير يذكر . ورغم إبراز أهمية العامود فى كل من العمارة اليونانية والفارسية المعاصرة لها ، إلا أن الأسلوب الأخمينى للاعمدة كان أقرب للاسلوب المصرى . ففى المعبد المصرى الذى بناه دارا فى واحة الخارجة بمصر أستعمل الأعمدة فى قاعة الأعمدة ، وهى أصيلة فى العمارة المصرية . بل حسب ما ذكره ديودور الصقلى إستخدم قمبيز بنائين من مصر . والتاج الذى على هيئة اللوتس فى الاعمدة أصله مصرى كما أن الكورنيش المصرى كان يزين الاعتاب العليا للأبواب ، وأيضاً الضخامة فى البوابات نفسها كلها عناصر قد نقلها الفرس عن مصر . وأن كانت العمارة الفارسية قد تأثرت أيضا بالعامود اليونانى .



(شكل ٣٤) : نقش أخمينى يصور حارس بوابة قصر قورش فى بزرجادة ، يلاحظ عليه تأثير الحضارتين المصرية والأشورية على الفن الفارسى وخاصة التاج الفرعونى المصرى ، وليس صحيحا أن هذه الصوره تمثل ذى القرنين ، فالقرنان رمز مصرى للاله آمون بخاصة ، كما يزدان بها تاج الفرعون المصرى .

ولم يكن التأثير الاجنبى على الفرس قاصراً على العمارة فقط ، بل يظهر أيضاً فى الاعمال الاخرى مثل شغل العاج ، وفى نقوش البناء ذكر أن اليونانيين والمصريين كانوا هم الذين يعملون بشغل العاج . وأن كانت اليونان أيضا ضعيفة فى تلك المهنة . وأما عن العاج الاخمينى فلم تصل إلينا إلا نماذج فقيرة ، والنوع الذى كان منتشراً هو لويحات مربعة من العاج صور عليها حيوانات تأكل من الشجرة المقدسة ، وقد عثر على نماذج منها فى تل دايم وبرسيبوليس وسوسة . وعاج سوسة واضح به التأثير المصرى ، وهناك تأثير ميدى سكيذى أيضا على الفن الاخمينى واضح فى ١٥ قطعة من غمود السيوف الفارسية القصيرة من النوع المعروف باسم (أكيناكس) .

ويرى التأثير المصرى واضحا أيضا فى فن النقش وفى زخرفة الرداء الفارسى . فعلى كتف البوابة (ر) فى بزرجادة نقش حارس البوابة الجنى على هيئة مصرية ، له جناح حورس الآله المصرى القديم وعلى رأسه تاج فرعونى مزدان بقرنين ، مما دفع بعض الناس للاعتقاد بأنه ذو القرنين [شكل ٣٤] . وهذا ليس صحيحا البته . والآله الفارسى أهوراً مازدا نفسه قد إتخذ لنفسه أيضاً أجنحة قرص الشمس المجنحة . أو أجنحة حورس من الرمزية المصرية . والأصول البابلية — الأشورية للحضارة والفن الفارسى كثيرة أيضاً .

ولاريب أن التأثير الاوربى يمكن التعرف عليه أيضاً فى أكثر من موضوع ، ويمكن أدراك ذلك من بعض الموضوعات مثل الملك يحارب حيوانا مفترسا خرافيا ولكن كان هذا موضوعا منتشراً فى الفن الاشورى

أيضا : الملك يعارك شيطانا طاعنا جسده بحنجرة . أما الآن فقد صار كفاحا بين الخير والشر [أهر مزد و أهر من] ويبدو أن هذا الموضوع يصور أنتصار اله النور الآرى الذى كان يرسم فى صورة قاتل التنين . ولكن يبدو أن الفارس راكب الحصان — الذى صار مقبولا فى الايقونات ، وقد ظهر فى مصر فى الفن القبطى مع الآله حورس على ظهر جواد [فى الايقونات المسيحيه يمثل القديس جورج يسحق التمساح] . هذه الفكرة عن الكفاح بين الخير والشر قد طور ها الفرس ونشروها قبل ذلك ، ويبدو أنها قد وجدت قبل ذلك فى الفن البابلى فى إنتصار ماردوك على طيمات Taimat — إنتصار النظام على الفوضى ، فكرة من الممكن أن نكون قد إنبثقت من أصل قديم

والفكر الدينى الفارسى ، الذى يسيطر عليه مبدأ الخير والشر ، كانت منبثقة من الفكر الدينى القديم الشائع ومن أشهرها قصة حورس وست : ومعظم الفنانين أخذوا موضوعاتهم من تصوير الآلهة المحلية والجن الخيرة أو الشريرة .

والفنان الفارسى أستعمل موضوعات معروفة وطور أسلوبها حسب الهدف المراد . وكانت معالجتهم للموضوع باردة ومتباعدة . ولم يبد الملوك والامراء وكانوا أميين أى مفهومية للعمل الفنى . ولكن إذا بحثنا هذه الموضوعات من زاوية أخرى نجد أن الفنان كان يخرج مجموعة من الموضوعات للزخرفة المعمارية ، مثل موضوع الاسد بها جم ثورا ، الذى ربما أختير لانه يمثل زاوية دينية معينة : آله الشمس ميترا يذبح الثور [شكل ٣٠] .

وفى هذا الوقت فكرة الحياة بعد الموت وتوسط روح أو اله ليهدى

الأرواح،هذه الفكرة سيطرت على العقول والمقابر الملكية،بدلا من أختفائها كما كان الحال في من مصر أبان الدولة الحديثة ، وفى بلاد الرافدين ، ظهرت متنظرسة تحت السماء مثل الضريح الذى يعتقد أنه قبر قورش ؛ والمقابر الصخرية الملكية فى نقش رستم وبرسيبو ليس كانت ظاهرة معروفة مما سهل سرقتها . وعلى مقبرة نقش رستم صور الملك واقفا على قاعدة مرتفعة، تعلو الواجهة [المنحوته في الصخر] ، وهو الوحيد أمام مذبح النار تحت حماية « اهرمزد » الذى يحيط وجهه ، المطل من أعلى بدائرة أو هالة . وقد رأينا أن الفرس أخذوا بسرعة النظم الدينية للشعوب المجاورة ، ولكن يبدو أن إله الشمس المجنح المصرى ، قد انتشر فى الشرق الأدنى إبان الألف الثانى وقد بدل شكله فى فارس ، وصار عبارة عن قرص — موضوع داخل دائرة ، وهذا الشعار كان معروفا لدى الفرس ، كما كان مستعملا فى بلاد أشور رمزا للاله أشور .

ولذلك يبدو أن الفرس لم يفكروا فى تصوير إلههم على هيئة مجسمة إلا بعد أن اتصلوا بالأقوام المحيطة بهم .

روائع الفن الفارسى :

كان الفنان الفارسى ملتزما أن يقدم للعالم بعض الانطباعات عن هذه الدولة الفارسية الشاسعة وعن عشرات الألوف من البشر الذين يعيشون تحت سلطانها . وقد حاول إبراز هذا بالنحت البارز المجسم الذين يزين القصور ، مستغلا إلى أقصى حد عظمة وروعة البلاط الذى يعيش فيه الملك .

وقد أحاط الملوك الاشوريين أنفسهم بمناظر بربرية وحشية ، مثل منظر مأدبة يحتفل فيها أشور بانيبال وملكته أمام رأس عدو مهزوم معلقة

بهلب ، وتصور النقوش البارزة أكواما من رؤوس الأعداء مذبوحة يدونها الكتبة بدقة ، والاجسام المسلوخة (وهو إنذار للعالم كله بالمعاملة الوحشية التي تنتظر العدو) ومناظر معارك والاجسام المقتولة المتلاحمة، والقسوة المخيفة ، ثم أخيرا ، مناظر الصيد التي تعلن عن شجاعة الملك .

لم يصور الفرس شيئا من هذا على جدران قصورهم ، وجدران السلالم ، فمثلا قاعات القصر ، كانت محلاة بإفريز زخرفي كان موضوعه المختار هو الاحتفال حيث يحيط جموع الأمراء والاشراف بالملك وتقدم له التحية بينما يتقدم نحوه حملة الهدايا والجزية .

وقد استطاع الفنان أن ينتج سلسلة من التابلوهات المليئة بالحيوية والملفتة للنظر بما بها من أجناس مختلفة يحملون الجزية . وقد صور بعض الأشخاص يمسك كل منهم بيد الآخر ، وبعضهم يلتفت إلى الوراء ليحدث زميله ، أو يمسك بكتف شخص أمامه ، مثلا هذا الاحتفال الخرافي الذي يجرى بالليل تحت ضوء الشموع الخفاقة التي تبعث الحياة في الصور الجدارية . وفي النهاية يستولى علينا شعور من التعب والملل من كثرة مشاهدة هذه المناظر المتكررة في كل ركن من أركان قصورهم .

الضوء واللون :

عندما نأتى إلى سوسة (شوش) عاصمة عيلام القديمة ، التى صارت مدينة فارسية ملكية ندرك أهمية البيئة الطبيعية والمؤثرات العامة فى تشكيل الفن . فانعدام الحجر فى هذا المكان والذى كان نقله يتكلف نفقات باهظة ، بالإضافة إلى قرب المدينة من بلاد الرافدين ، هذان العاملان أعطى سوسة طبيعتها الفريدة وشخصيتها المتميزة .

فى سوسة لاتواجهنا هـذه المواكب المهيبة الموجودة فى مدينة فارس القديمة ؛ إنما نرى هنا دنيا الخيال التى يخلقها الضوء واللون . فجدران القصر (حيث سجلت أحـداث قصة استير اليهودية الذى تزوجها اخشويروش



(شكل د ٣) : ثور مجنح مجسم فى بوابة مدينة فارس القديمة . وهو مأخوذعن الفن الآشورى عن الفن المصرى .

وأستطاعت أن تستصدر منه عفوا لأبناء شعبها) — المزدانة باللبن المزجج ، (الطوب النى) وبالرماة والحيوانات الخرافية تنبت من نفس البذرة مثل تلك الأفكار الخاصة بالطبيعة التى هى من أسس الديانات الآسيوية . فالفنانون منذ بابل ، فى وقت قديم ، قد نبغوا فى خلق أسلوب استطاعوا به تكوين أشكال متناسقة من هذه المخلوقات المختلفة التى تطورت عبر آلاف السنين عن ملامح أجناس عديدة .

والألوان الخيالية التى استعملها الفنان لأجساد الجان وأجنحتها والتى لها معنى سحرى أيضا ، يبدو أنها نابعة من عالم الأحلام حيث يسيطر الخيال سيطرة كاملة : فمثلا اللوحات المزججة حيث وسمت صورتان لابو الهول تلتفتان للخلف

لمراقبة الابواب (لانهما وضعا عند المداخل حتى لا يستطيع الداخل المرور متخفيا عن وجهيهما المخيفين).

وبالمثل، الرماة الذين لا حصر لهم الواقفون بجانب الملك لهم معنى سحرى، فهم صمام الامن عند هروب الحراس الحقيقيين الذين كانوا فعلا غير صالحين لهذه المهمة العسيرة.

وفى سوسة، كما فى برسيبوليس، يوجد أفاريز مخصصة بالكامل للحرس، ولكن بالابن المزجج (موزايكو)، وهى حية تلمع بقوة فى هذا الضوء بكل ألوانه من الاحمر والاصفر، كما تبرز فى بابل، من خلفية زرقاء وهى تبشر بالأزرق المستعمل فى جوامع أصفهان الذى لا يضاهى.

وقد وجه الفنان عنايته إلى الاختلافات الجنسية بين الرماة ففرق بين الجنوبيين ذوى البشرة الداكنة وبين رجال الشمال البيض. ولا شك أن هذا مأخوذ عن الفن المصرى، فقد تفوق الفنان المصرى فى دقة تصوير شعوب البحر الابيض وشعوب أفريقيا كما نرى ذلك واضحا فى المقابر الملكية ومقابر الاشراف فى الدولة الحديثة بل وقبل ذلك فى مقابر الدولة الوسطى والدولة القديمة. وروعة وجمال الملابس الحريرية المشغولة لا يعادلها فى العظمة إلا الوصف المدون عن عبور الفرس للدردنيل بواسطة كوبرى من المراكب متوجة بالزهور بينما تحت الاقدام أغصان الريحان، ونستطيع أن نتفهم كيف أن هؤلاء الرماة رغم براعتهم الحربية كانت ملابسهم الثقيلة تعوقهم عن الحركة أثناء الاشتباك بالايدى مع مشاة الإغريق المسلحين تسليحا جيدا.

وليس من الصعب إدراك مقدار الحسد والحقد الذى يدب فى نفوس

الإغريق وهم شعب فقير ناشيء عندما يشاهدون روعة آسيا وثراءها الفاحش مما شدد من عزائمهم فى القتال للحصول على ثرواتها .

ففى فارس تمركز كل أنواع النشاط : ففى ٥١٢ أمر الملك الفارسى القائد سكيلاكس الكارى من كاريوندا بالإبحار إلى السند، كما أن الطبيب المصرى اوجاحورسنت كان يعمل طبيبا خاصا لدارا ، والطبيب الإغريقى سقياس عاش فى بلاط دارا الثانى ، وتليفانيس من فوكايا عمل للملك الملوك معظم حياته . وهذا يوضح أسباب تسلل المؤثرات الاجنبية ، هذا بالإضافة إلى استعمال العمالة الأجنبية التى تقررت فى مرسوم التأسيس الخاص بقصر دارا فى سوسة . ويعتبر هذا المرسوم واحد من أقيم المصادر إذ فيه يسجل الملك كل المواد المطلوبة ، من الهند حتى بلاد الإغريق ، اللازمة لبناء قصره : وقد جاءت هذه الاشياء ومعها حرفيون مدربون فى العمل بهذه المواد .

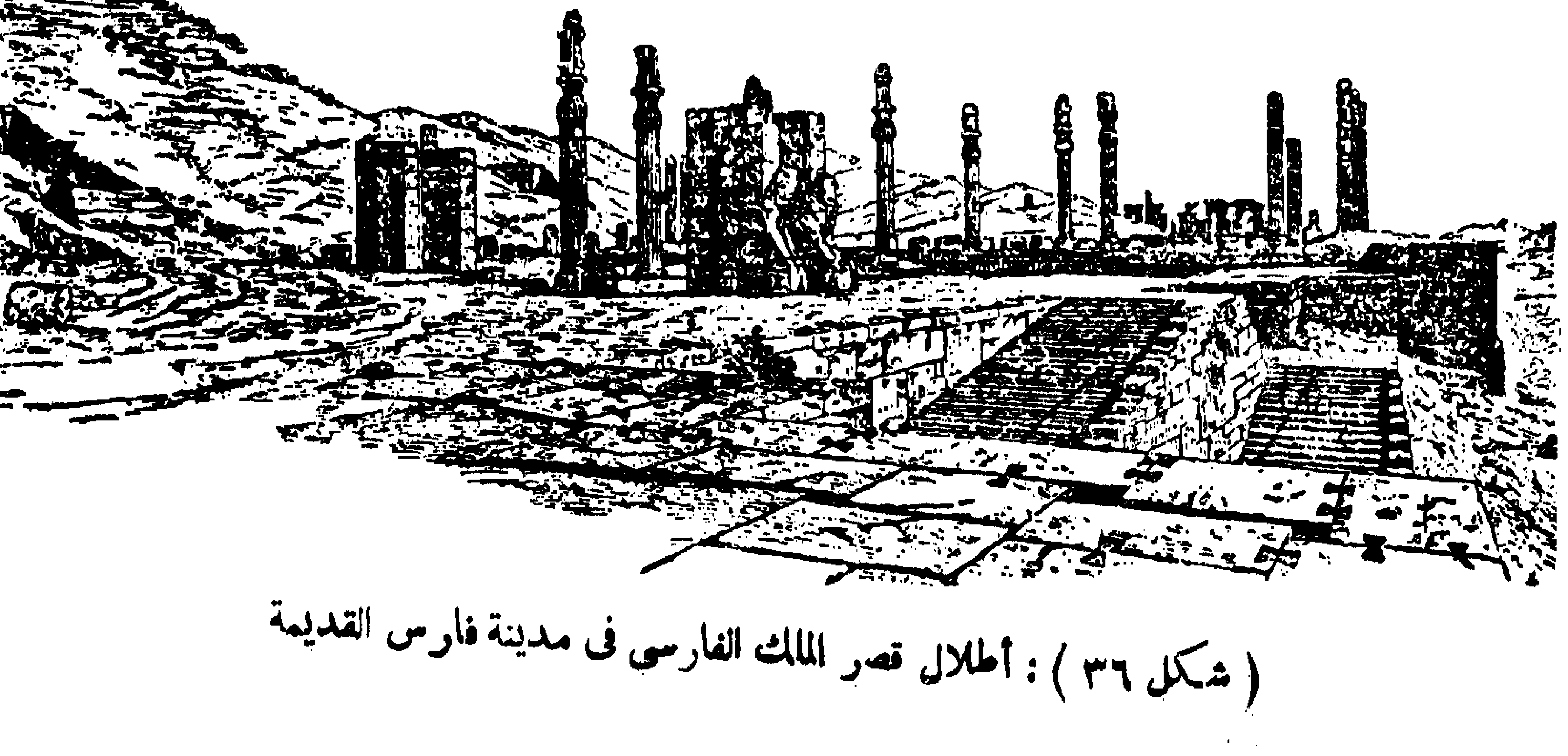
فخشب الارز كان يجلب من لبنان ، أما الجدران فقد بناها البابليون من اللبن . وقد كان ثمة اتصال مستمر بين كل ولايات الإمبراطورية هذه وبين البلدان المجاورة ،وقد رحل سفراء ، وعلماء ، وفنانون من بلد إلى آخر. وذاعت شهرة الشرق ، الذى كان يمثله الفرس ، فى جميع أنحاء العالم. وهكذا تعلم الإغريق علوم بلاد بابل القديمة (كان تورث فى احتفال القبول) وقد قيل أن غطاء رأس فيثاغورس كان فى الحقيقة هو نفس غطاء الرأس الذى يلبسه الطالب المستجد . ولكن هذه التغييرات المتشابكة كانت تسبب صداما. وقد سهلت التجارة بدرجة كبيرة باتخاذ عملة موحدة داريك (التى أمكن تتبعها إلى كوسوس) وساندتها البنوك الكبرى التى أسسها فى بابل موراشو وأولاده . والطريق الكبير القديم — طريق سمراميس القديم — امتد حتى سوسة ، وعلى مسافات فى الطريق أقيمت القصب التذكارية ،

تمجيدا لملك الملوك ، مثل صخره بهيستون التي هي عمل جرىء من الفنانين الذين خاطروا بالصعود إلى أعلى الجبل ، لنحت النقوش البارزة تعظيما لدارا ولنقش حديثه من العرش في ثلاث لغات (بابلية ، عيلامية ، والفارسية) . واضطر الا كمينيون لاستعمال لغات أخرى إلى جانب لغتهم الفارسية للاتصال بالشعوب المختلفة التي تحت سلطانهم . وقد ساعد هذا العلماء على فك الخط المسمارى — ومما أسهم في فك هذا الخط أيضا قراءة صحيحة لخرطوش مصرى على قارورة زيت كان مسجلا عليها اسم اخشويرش .

وعندما وصل الفرس إلى السلطان ، كانوا آنذاك معروفين في العالم القديم ، وقبل ذلك ، أخبر الإله مردوك الملك نبونيد بسقوط استياجيس الميدى وبمجىء كوروش . ولدينا مثل نمطى على تسلل المؤثرات الميدية — الفارسية إلى بابل ، حيث بنى نبوخذ نصر الثانى الحدائق المعلقة ليسعد زوجته اميتس Amytis ، حفيدة استياجس التي كانت تحن باشتياق إلى الحدائق أو (الجنات) التي كانت تكون جزءا من كل قصر اكمينى ، تلك الحدائق التي هي جزء من سحر إيران اليوم حتى في بلاد بابل كان يوجد مبان يطلق عليها الاصطلاح (عبادانا) منها قصر في صيدا (وكانت عاصمة فارسية) احترق أثناء اضطرابات حكام الولايات الفارسية (٣٦٢) وهى تثبت بدرجة كافية أن الأسلوب الفارسى في الرداء وفي العمارة قد تأصل في كل أنحاء الشرق .

ابهة ملك الملوك :

ظهرت سمات مميزة جديدة عديدة تحت الحكم الفارسى فبعد الملوك السومريين ، والبابليين (نواب الإله) وملوك « كل ماهو موجود » ، ظهر



(شكل ٣٦) : أطلال قصر الملك الفارسى فى مدينة فارس القديمة

الملك الفارسى فى صورة مختلفة . فمنذ هذا التاريخ كان البرتوكول الملكى ينعم عليه بلقب « ملك الملوك » .

لقد خلقه اهورا مازدا ليحكم هذا العالم الشاسع ، وعهد إليه بهذه المملكة العظمى بمحاربيها الأشداء وخيولها الممتازة إعترافا بأن أجداده كانوا شعبا يركب الخيل .

ويختلف هذا الفن الفارسى عن الفن الآشورى والفن البابلى ، فالفن الآشوى يشيد بشجاعة الملك العسكرى ويثنى عليه والفن البابلى يصور الملك العادل المخلص فى عبادة الإله ، أما الفن الفارسى فهو يخلد « السوبرمان » الرجل الخارق وسيادة الملك وعلوه عن كل البشر . وهى فكرة سابقة لآراء نيتشه والنازية الهتلرية والآرية . وإن كان بعض فراعنة مصر قد سبقوهم إلى هذا النمط من الفكر الدينى الملحد .

وقد ازدحمت قصور الملوك الاكمينيين بالكنوز ويقص علينا بلوتارخ أن الإغريق استعملو فى نهب مدينة الفرس القديمة عشرة آلاف بغل وخمسمائة جمل وحمل المقدونيون من سوسة ما مقداره ٤٩ ألف طالنت من الذهب والفضة .

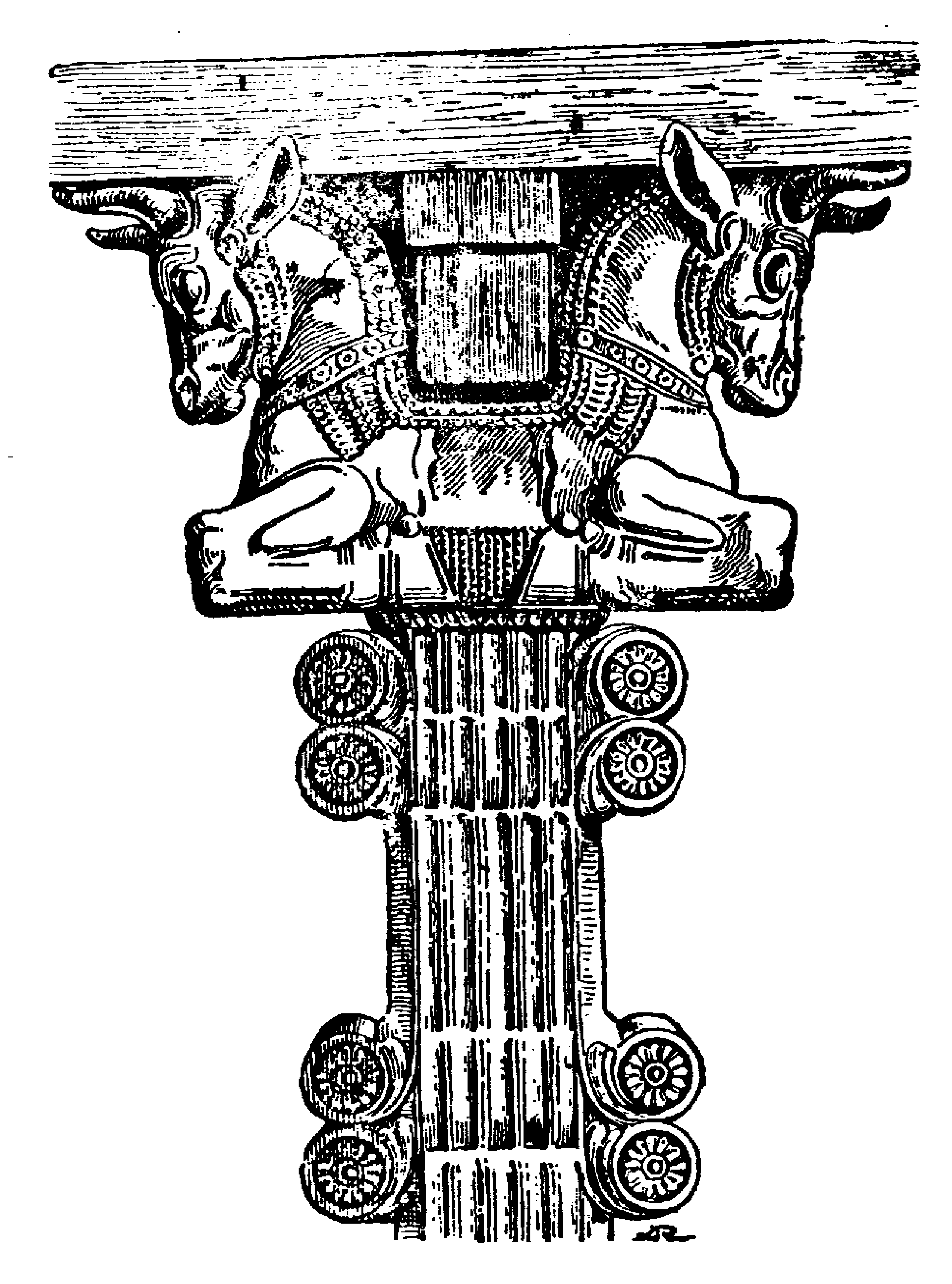
مدينة فارس (برسيبوليس — اصطخر تخت جمشيد) :

فى هــذه المدينة يظهر مدى التقدم الاخمينى الرائع فى فن المعمار . فالمعسكرات والقلعة التى بنيت فوق جبل يطل على سهل واسع فى اتجاه شيراز . والتليلات السفلى قد سويت لتكون مسطحا أقيمت عليه مدينة حقيقية من القصور .

ورغم أنه قد تم الآن الكشف عن آثار هذه المبانى ، إلا أنه لم يمكن تكوين فكرة واضحة عن الغرض الذى بنى من أجله كل جزء. وغالبا أنها كانت مبانى خاصة بالدولة والاحتفالات . ومن سطح قاعدة المبانى يؤدى سلمان إلى السهل. وأمام باسطة النزول يوجد مدخل اخشويرش ، وهو بناء ضخم مربع مفتوح من جميع الجوانب ويزينه ثيران مجنحة ضخمة برؤوس آدمية ، وحول المدخل توجد مساحات بها فراغات منحوتة من الصخر لتكون حدائق مدرجة . (شكل ٣٦)

ولم يبق من القصر إلا هيكل من أبواب ونوافذ منحوتة من قطع ضخمة من الحجارة تكون دعامات ساندة للجدران التى اختفت منذ القدم . وقد استعمل هذا الحلق المصرى . وقد صور الملك على السطوح الداخلية لجدران البوابة وفى الجانب الأيمن يؤدى سلم مزدان بالنقوش البارزة إلى عبادانا الخاصة بدارا اخشويرش . وعبادانا هى حجرة استقبال ونظامها أخمينى بحت . ويحمل سقفها أعمدة ويبلغ ارتفاع العمود سبعين قدما (حوالى ٢١ ½ مترا) والعمود مستدير ومخدد . وله قاعدة على شكل جرس وله تاج أخمينى نمطى مثل تاج سوسة الموجود الآن فى اللوفر . والتاج ويبلغ ارتفاعه ١٨ قدما يميل نحو التبسيط البنائى والدقة الجمالية . والجزء الأسفل من التاج واضح به التأثير المصرى، فهو يصور حزمة من سعف النخيل الذى تعلو الجذع، والجزء الصليبى الأوسط المحلى بحلزونيات هو همزة وصل بين القاعدة والتاج الأسفل المستدير والقاعدة المربعة العليا التى تحمل تمثال حيوانين متدابرين وبينهما فراغ سفلى به تثبت فيه الدعامة الأساسية (شكل ٣٧) .

ومن المحتمل أن هذا التصميم قد نقل عن مبنى خشبى من الشمال كانت فيه ألواح السقف تثبت بواسطة جذع شجرة على شكل شوكة .



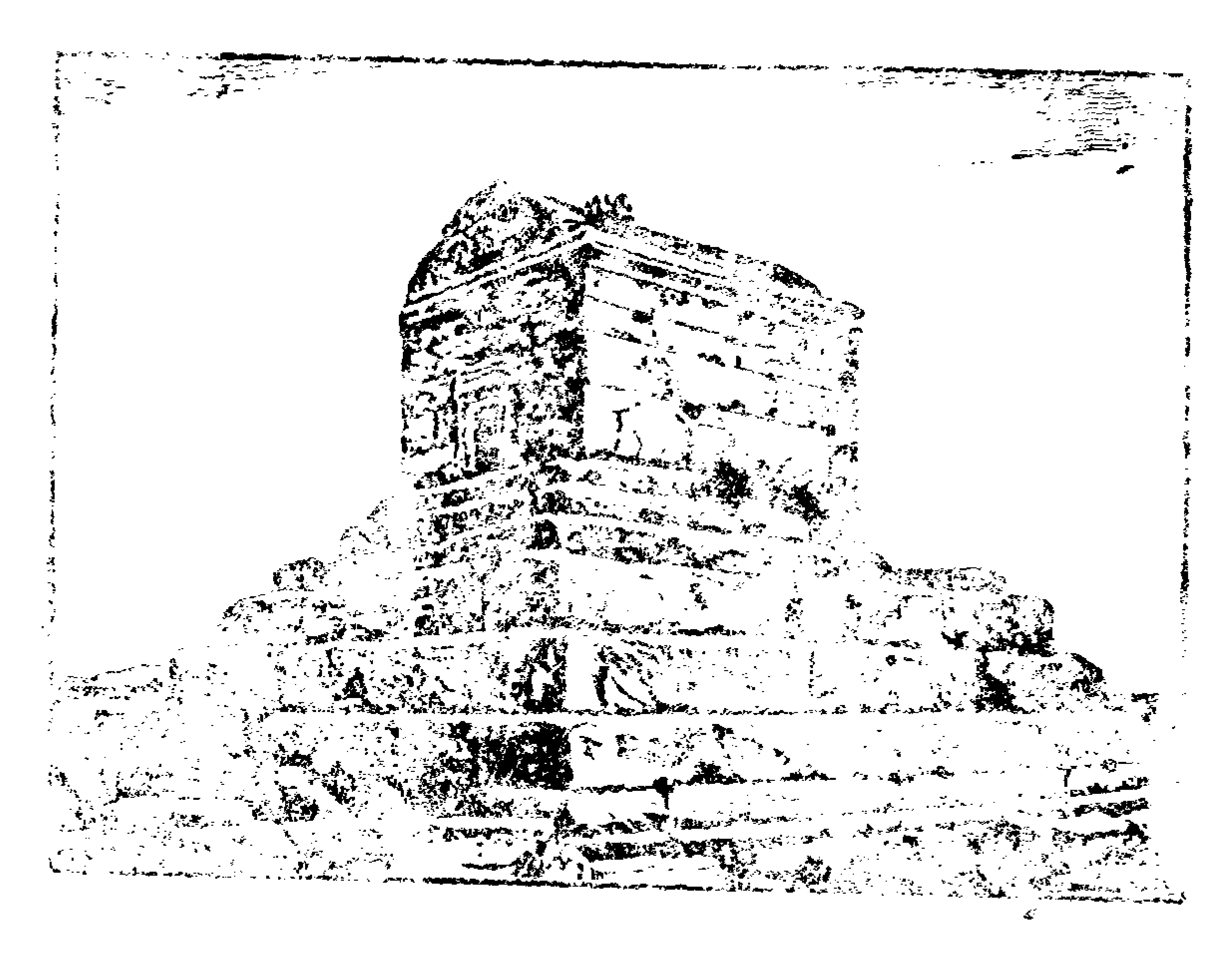
شكل ٣٧ : تاج عمود من سوسة . متحف اللوفر

ولا يمكن التقليل من أهمية النقل عن الحضارات الأخرى . فلم يمكن بوسع الفرس تطوير حضاراتهم بأنفسهم بل سرعان ما أخذوا عن المصريين والعيلاميين والبابليين والاورارتين والآشوريين . . إلخ . كما كان الفرس على علم أيضا بفنون اليونان .

مقابر :

على مسافة قريبة من بزرجاده فى مشهد مرغاب Meshed-Murgad توجد مقبرة قورش ، وهى عبارة عن بناء مستطيل يشبه التابوت له غطاء مقبي

مكون من كتل حجرية ملساء . وله باب فى أحد جانبيه يؤدى إلى داخل التابوت . وقد وضع هذا التابوت على قاعدة هرمية مدرجة مكونة من سبعة مداميك مبنية بالحجر وهو يشبه بعض مبانى آسيا الصغرى[1] . (شكل ٣٨)

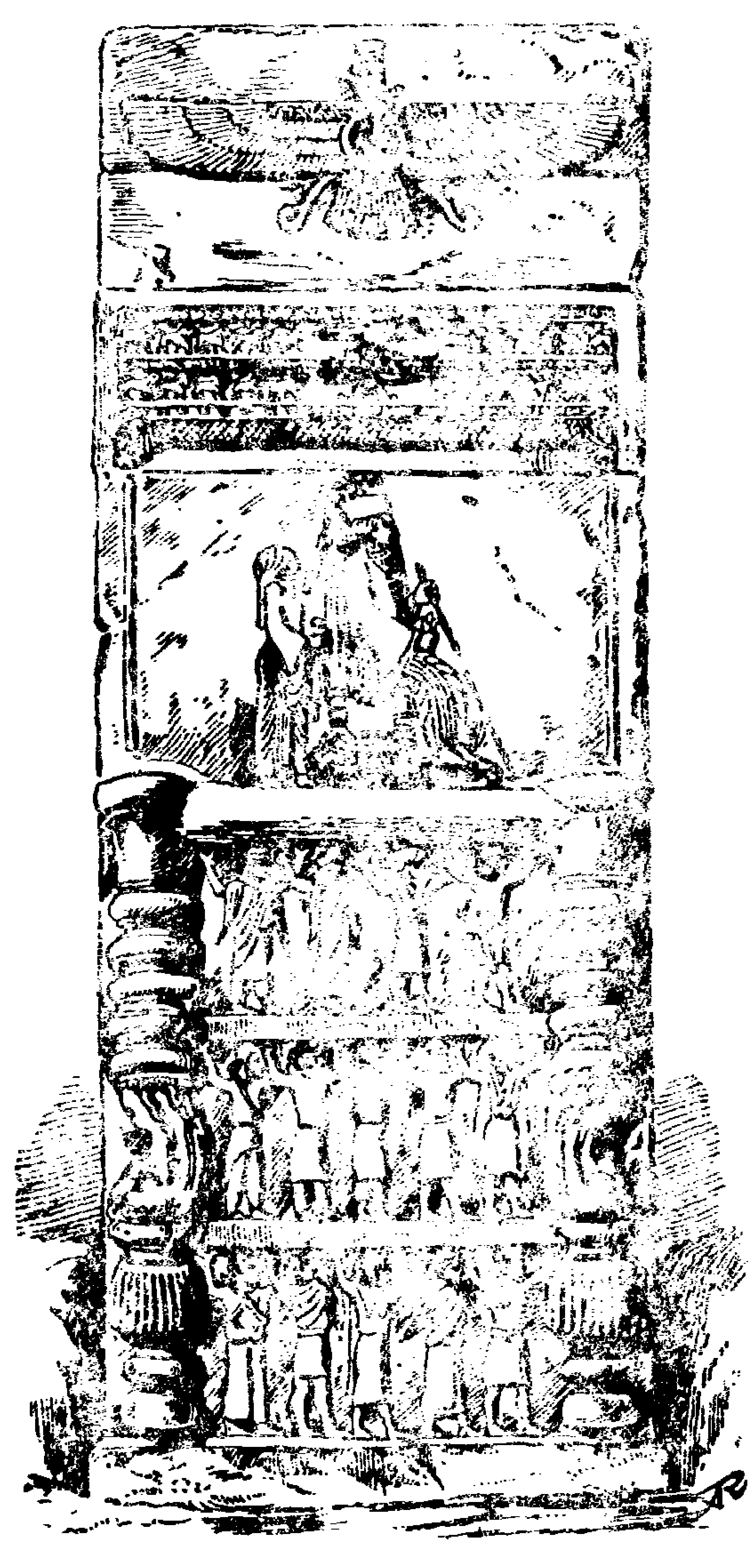


شكل ٣٨ : قبر قورش فى بزرجاده (مشهد مرغاب)

وفى نقش رستم بالقرب من مدينة فارس القديمة يوجد صف من المقابر الملكية المنحوتة فى الصخر . ومقبرة دارا الثالث فى مدينة فارس القديمة لم تتم . والمقابر الملكية لها واجهات منحوتة ومخلقة على شكل واجهة القصر فى صخر الجبل . ويبرز من الحائط أربع أعمدة نصفية ، ويعلو العامود تاج مشكل على هيئة ثور راكع ، ويعلو التاج تكنة (طبلة) مشكلة بأسلوب إغريقى ، يعلو هذا كورنيش مصرى به صف من الثيران والأسود يرتكز عليه عرش يحمله الإله أطلانطيس من كل جانب .

(١) مساحة القاعدة ١٣٫٥٠ × ١٢٫٢٠ مترا واقبر نفسه ٥٫٢٤ × ٥٫٣٠ مترا وارتفاعه ٦ أمتار . وارتفاع الضريح كله حوالى ١١ متراً .

وفوق العرش الـكبير صور الملك متجها نحو مذبح النار وواقفا على الدرج تحت حماية اهورا مازدا المجنح وتحيط بجسمه دائرة الخلود (شكل ٣٩).



شكل ٣٩ : عرش دارا فى مدينة فارس القديمة

وقد عثر أيضا على مقابر أفراد (مثل تلك التى فى سوسة) وكانت لامرأة من الطبقة الراقية مزدانة بالجواهر ، والتابوت كان من البرنز .

معابد النار

ويوجد فى يزرجاده معبد للنار . ومعابد النار عبارة عن أبراج مربعة مبنية بالحجارة ومربوطة ربطا محكما وبها فتحات وشبابيك وهمية مطلية باللون الأسود ؛ وبداخلها موقد النار المقدسة التى يحافظ السكهنة على إبقائها مشتعلة دون إنقطاع ، وكهنتها هم الماجى أو المجوس وهم ينتمون إلى قبيلة ميدية مدربة تدريبا خاصا فى علم شعائر الدين وتطبيقاته وكان يعتقد يوما ما أن هذه الأبراج هى « أبراج السكون » . ويوجد مبان مماثلة لها فى مدينة فارس القديمة . وفى نقش رستم ، يوجد معها مذابح عبارة عن قواعد مربعة كبيرة من كتلة واحدة من الحجر ، فى أحد جانبيها سلم يصعد عليه الناس لوضع القرابين فوق سطح المذبح وقد ازدانت جوانب المذبح برسومات بارزة .

الفنون التشكيلية

كانت قاصرة على تزيين القصور بالنقوش البارزة التى كانت تسكون العنصر الأساسى فى زخرفة مدينة فارس . فعلى سبيل المثال نجد السلم المزدوج المؤدى إلى شرفة واسعة ومنها إلى حجرات القصر كان مزخرفا بنوعين من النقوش البارزة أحدهما موضوع الأسد يهاجم ثورا ، وهو عنصر زخرفى معروف منذ المراحل الأولى لفن بلاد الرافدين ، ومقصور على اللوحات المستطيلة فى جدار السلم . والنوع الثانى من النقش البارز يصور موكب

الحرس والحاشية وحملة الضرائب والجزية . وقد بذل الفنانون قصارى جهدهم فى توضيح الخصائص المميزة للملابس كل من ممثلى الولايات الفارسية فيلبس الفرس عامة مضلعة أو غير مضلعة وأثواب طويلة لها أكمام طويلة مثناة . وفوق الكتف يحملون جعبة بها قوس وسهام . أما الميديون فيغطون رؤوسهم بطاقية ، وقميص قصير وسروال خالى من الثنيات . ويحمل كل منهم خنجرا ، داخل غمد ويشبه الغمد السكيذى . أما حملة الجزية ، فيتميز كل منهم بما يحمل من أنواع الجزية وإن كانت ملابسهم أيضا مختلفة .

وعلى جوانب الطرق الكبرى للامبراطورية ، حتى فى المناطق النائية البعيدة عن العمران ، صور الفنانون الملك العظيم ، ومن أمثلة ذلك نقش بهيستون الذى سجل عليه مرسوم دارا السابق الذكر . وقد كشف عن نقوش فارسية إغريقية قبيل القرن الخامس الميلادى فى داسكيليوم فى بيثنيا يصور موكبة من رجال ونساء فوق الخيل ، وفارس يصحبه قساوسة مجوس يقدمون الاضاحى . والجزء الأسفل من الوجه ملثم ، ويحملون دبوس قتال فى أيديهم ، يقتربون من المذبح ومعهما رأس كبش وثور على حطب .

وفى سوسة استعمل الطوب المزجج ، المنقول عن فن بابل ، بدلا من زخارف الرخام التى فى مدينة فارس . ولكن الاكمينيون استخدموا أسلوبا مختلفا عن الأسلوب البابلى . فبدلا من الطين استعملوا الطباشير والرمل .

وكان الآجر يسوى أولا على نار هادئة ثم ترسم خطوط الأشكال بواسطة عجينة زجاجية زرقاء ثم يعاد الآجر إلى الفرن ، ثم بعد ذلك تملأ المساحات التى تحددت باللون الأزرق وبالألوان المطلوبة ثم تسوى داخل الفرن للمرة الأخيرة لاستكمال العملية .

وزخرفة درابزين السلالم فى سوسة كانت مستمدة من مقابر طيبة وخاصة زهرة اللوتس التى تعلوها ، وأيضا الحلزونيان من الفن الإيجى .

البوابات :

كانت مزدانة بتماثيل أسود ، وملونة باللون الأخضر الرمادى أو الأزرق ، موضوعة داخل إطار من خطوط متعرجة ونخيل يفصل بينها مراوح وزهور . وحيطان القصر زينت بوحوش خرافية ترجع أصولها إلى فن بلاد بابل ، ولهذه الوحوش أجنحة شكلت أطرافها على هيئة مروحة ، ولها ثُدىّ تلون بلون أصفر ثم أخضر على التوالى . وفى كل مكان كما فى مدينة فارس القديمة كان الرداء غنيا بالتطريز على قماش أبيض أو أصفر ، ومزدانا بقلاع ذات ثلاثة أبراج ، وثمان نجوم مدببة ، والثنيات مبينة باللون القاتم ، والثوب له أكمام واسعة لونها أصفر أو بنى محمر . وأحذية الحراس صفراء اللون ، وجعبة السلاح مصنوعة من جلد الفهد الأسود ، ويربطون شعرهم إلى الخلف بواسطة شريط . وعلى البوابات يجلس تمثالان على هيئة أبواهول على رأس كل منهما تاج ملكى ، والتمثالان متقابلان ولكن كل منهما قد أدار رأسه إلى الخلف . وقد رسم على خاتم مالية دارا مثل هذا الموضوع ولكن الأسدان متقابلان .

الفنون الزخرفية :

والمشغولات المعدنية نظرا لما لها من أهمية لدى شعوب الخيل ، كانت متقدمة . وقد استعمل البرونز فى تزيين بعض أجزاء المبانى مثل الأبواب .

ولإشغال الذهب والفضة استعمل فن متقدم فى الصناعة مثل صحاف من

الفضة مزخرفة بالنقوش البارزة بواسطة الطرق العكسى (مبشرة بالصحاف الساسانية المزخرفة بالزهور المستديرة والخرس الدائرى) وكؤوس لها قاعدة جانبية على هيئة رأس ماعز أو وعل ، أو أسد . وجرة لها مقبضان مسور كل منهما على شكل حيوان ، أو رأس حيوان ويوجد مثل لها محفوظ فى برلين وآخر فى اللوفر (باريس) والمقبض مصنوع من الفضة المذهبة على شكل وعل . كما عثر على حامل ذى ثلاثة أرجل كل منها على هيئة أسد يزأر ، تشبه فى دقتها أسد من البرونز عثر عليه فى سوسة .

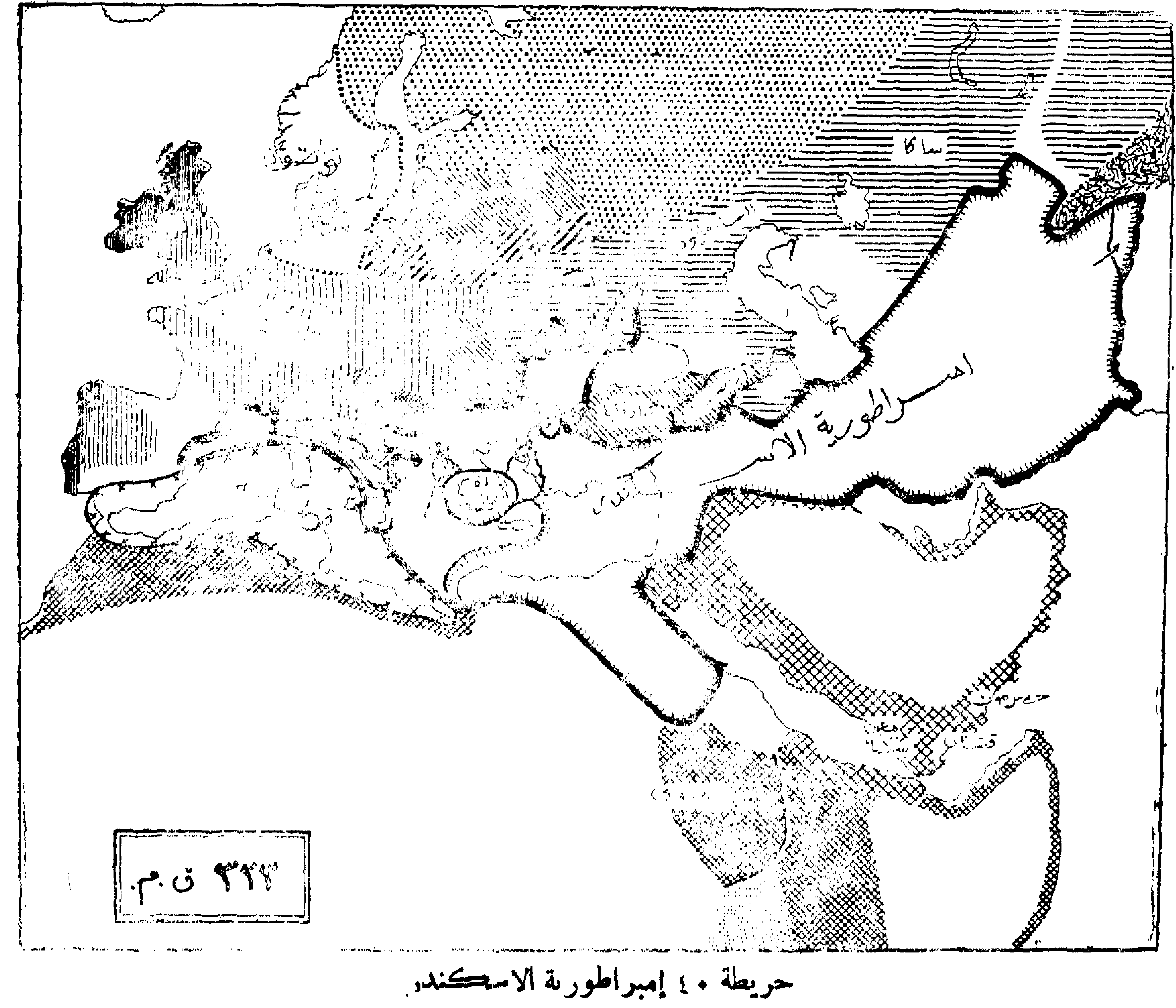
ويشبه من ناحية الوضع الرابض أسد خورسباد ، ولكن أيضا يذكرنا بالحيوانات الشرسة من شرق آسيا .

أما الجواهر فتبين مؤثرات أجنبية متعددة ، فالحلى من كنز أوخوس (جيجون) فى المتحف البريطانى ، لويحات ذهب ، أساور وخواتم تدل على التأثير السكيذى الذى كان له صدى واسعا فى غيره من الكنوز وجواهر من ضريح سوسة — أقراط على شكل الهلال محلاة بأحجار مركبة فى ذهب . وأساور تنتهى برأس أسد مرصعة بالفيروز واللازورد

وقد تقدم فن نقش الجواهر فى العصر الاكمينى على كل ما سبقه فى آسيا ، أما فى مصر فكانت متقدمة جدا تشهد بذلك جواهر توت عنخ آمون التى بهرت عقول العالم قديما وحديثا . ومما يدل على ذلك ما عثر عليه فى طيبة على قطعة من الجواهر تعد من أروع القطع تصور الملك دارا الأول فى عربته خارجا للصيد والقوس والسهم ليصطاد الأسود وقد أندفعت الخيل بأقصى سرعة . وهذه تذكرنا بنقوش امنحتب الثانى ورمسيس الثانى وتوت عنخ آمون . وقطعة دارا محفوظة بالمتحف البريطانى . وقد عثر أيضاً على

لويحة مستعملة قالبا لورق الذهب الموصع . وأيضا على رأس صغيرة وهى جزء من تمثال . وقد اختفت كنوز فارس جميعا ، فهؤلاء الفرس الذين نهبوا كنوز العالم القديم دفعوا الثمن بدورهم إذ جاء الاسكندر ونهب كل هذه الكنوز .

وقد عثر أيضاً على بعض النقود الذهبية من العصر الاكميني المعروفة باسم (داريك) صور الملك الاكميني راكعا حاملا القوس والسهم .



خريطة ١٠ : إمبراطورية الاسكندر

إسكندر الأكبر

بعد ما أعتلى عرش مقدونيا عام ٣٣٦ ق ٠ م ٠ بعد مقتل والده ، نجح في إخضاع الثورات التى قامت فى بلاد اليونان ، ثم ترك وراءه أنتيباتر ليحكم بلاد اليونان وعبر الهلسبونت فى ربيع عام ٣٣٤ ق ٠ م ٠ بجيش يتألف من ٣٢٠٠٠ من المشاة و ٥٠٠٠ من الفرسان يساعده أسطول مكون من ١٦٠ سفينة. دخل الأسكندر آسيا الصغرى وهزم الجيش الفارسى على نهر جرانيكوس (الغرانيق) هزيمة ساحقة سنة ٣٣٤ ق ٠ م ٠ ، وأخضع كاريا وقليقية وتقدم إلى أسوس حيث قابل جيش الفرس بقيادة دارا الثالث وهزمه هزيمة حاسمة وكان جيش الفرس يتألف من حرس دارا وقواته الخاصة ونفر من اليونانيين ولم يكن كبيراً بل ربما أصغر من جيش الاسكندر ٠ وتقدم الاسكندر بعد ذلك نحو فينيقية فاستسلمت له وحاصر صور حتى سقطت بعد سبعة أشهر عام ٣٣٢ ٠ وأتجه بعد ذلك إلى مصر ولم يجد أية مقاومة . وأثناء إقامته بمصر بنى مدينة الاسكندرية (٣٣١ ق ٠ م) وزار مهبط وحى آمون ، حيث أهدى إليه تاج آمون ذو القرنين ٠ وغادر الاسكندر مصر فى الربيع متجها شرقا لأستكمال فتح بلاد فارس وقابل جيش الفرس فى جاوجاميلا (گاو كاميلا) [1] شرقى الدجلة على الطريق الملكى . فى هذه المعركة) كان جيش الاسكندر يبلغ ٧٠٠٠ق [2] ولم يعرف عدد جيش
٤٧٠٠٠

(١) محل تل جومل على الخاجير ٠
(٢) الاسكندر الأكبر : تأليف تارن.

الفرس وأن كان أكبر من جيش الاسكندر إلا أن سلاح الفرسان والعربات كان أضعف ، والمشاة غير مدربة ، والأعداد التى جاءت عن الكتاب الأغريق لا يمكن أن تكون دقيقة وأن كانوا قد أعطوا وصفا دقيقا للمعركة . وأسماء الفرس التى إشتركت فيها . وقد فر دارا من المعركة مع فرقة الخالدين وأقاربه وفرسان باكتريا وإعتبر بذلك متخليا عن العرش ، وقتل بعد بضعة أيام عند بحر قزوين . بعد ذلك دخل الاسكندر بابل ونثرت الزهور علامة النصر . وأبقى الاسكندر الحاكم الفارسى وأعاد بناء معبدى بعل ومردوك . وأستسلمت سوسه بدون مقاومة. وعثر على كنز ضخم داخل القصر الملكى حيث كانت تقيم أسرة دارا ويبلغ قيمة هذا الكنز ٤٠٫٠٠٠ طالنت من الفضة و ٩٠٠٠ طالنت من الذهب حسب ما ذكره ديودور . ويقدر مجموع ما حصل عليه الاسكندر من سوسه وبرسبوليس وبزرجاده بما يعادل ٤٤٫٠٠٠٫٠٠٠ أربعة وأربعين مليونا من الجنيهات الأسترليني قبل سنة ١٩٠٠ م . هذا غير غنائم ضخمة مثل أدوات ذهبية وفضية وأصباغ أرجوانيه وقد أبقى الستراب فى منصبه ولكن أستبدل كل من قائد القلعة ومدير الخزانه بمقدونيين.وقد أدرك الاسكندر منذ البداية أن من المستحيل حكم الامبراطورية الضخمة بواسطة عصبة من المقدونيين ، لذلك عمد منذ البداية على الاستعانة بالعناصر الإيرانية وعلى مزج الشعوب داخل الجيش ويؤدى هذا بالتالى إلى إمتزاج الشعوب الإمبراطوريه وبعضها مع بعض . وقد أستدعى الاسكندر ٣٠٠٠٠ من الشباب الإيرانى ليدربهم ويربيهم تربية عسكرية طبقا للنظم الغربية . وكان قد تزوج بزوجة فارسية (روكسانا) وهى أبنة أحد الأمراء ، ثم أبنة دار وتزوج معه ٩٠٠٠ مقدونى بزوجات فارسيات .

ثم اتجه الاسكندر بعد ذلك إلى سوسه التى رحبت به ، وبلغت ثروة الخزينة الملكية فى سوسة خمسين ألف طالنت وهى تعادل الثروة التى تقدمها المناجم المقدونية فى مدة خمسين سنة . ثم أسرع الاسكندر شرقا عبر الجبال متجها إلى عاصمة الفرس حيث قاومه رجال القبائل والبقية من جيش الفرس ولكنهم دحروا فى النهاية وأستولى الاسكندر على برسيبوليس (مدينة الفرس) وهى العاصمة الوحيدة التى بناها ملوك الفرس ودخلها أو فبراير ٣٣٠ ق . م وقد نهبت فارس وقتل سكانها وأحرقت قصورها وسقوفها المتألقة بصفائح الفضة والأبواب المطلية بالذهب والستائر المزخرفة بالذهب .

ويذكر المؤرخون أنه أستولى منها على غنيمة قدرها ١٢٠٫٠٠٠ طالنت من الفضة و٨٠٠٠ من الذهب وعلى مجموعة ضخمة من الجوهرات والحلى والذهب .

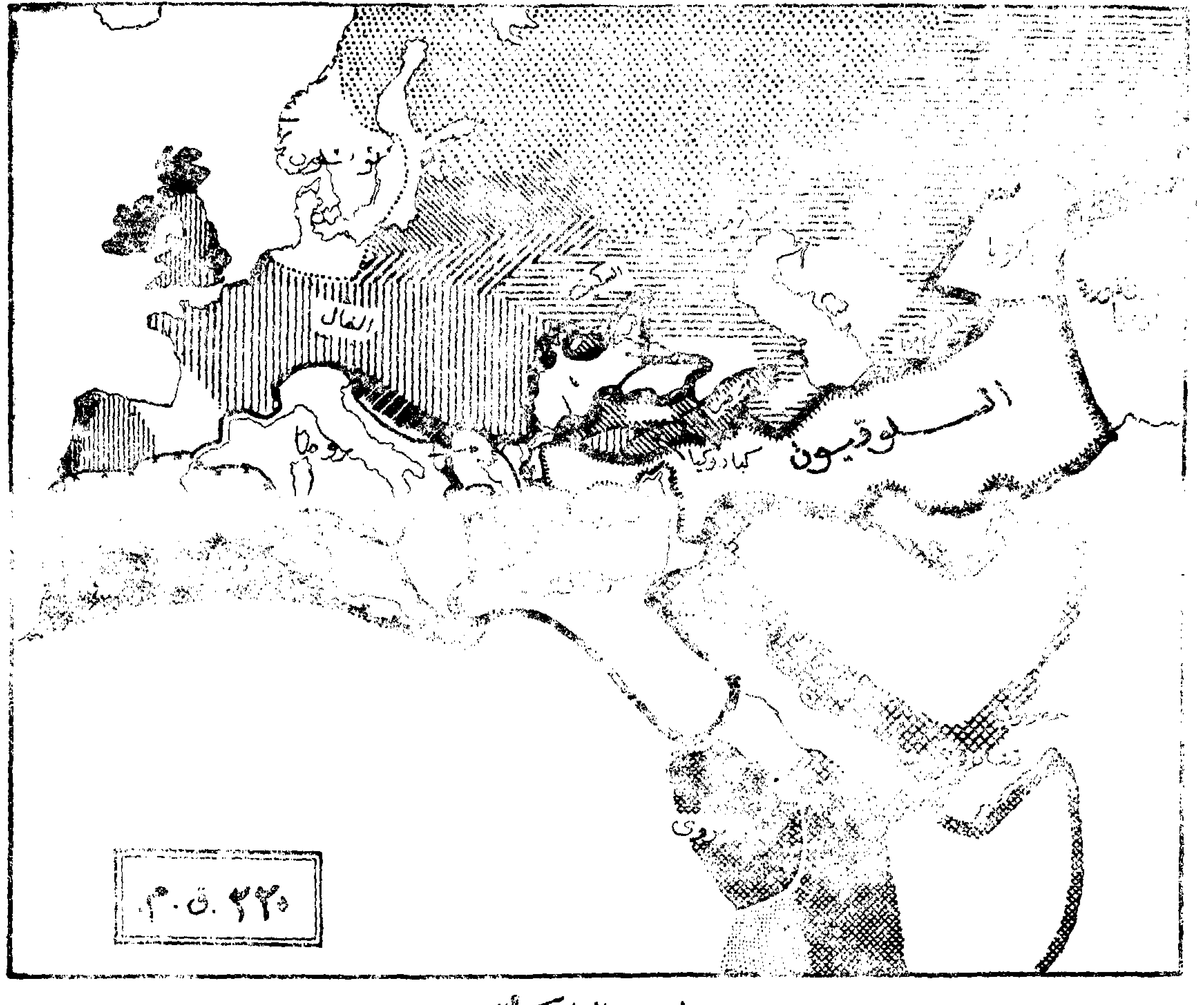
كانت الغنيمة ضخمة جداً — برسيبوليس — كما جاء فى الأخبار كانت أغنى مدينة (فى عصرها) تحت الشمس — حتى البيوت الخاصة كانت مليئة بكل الأنواع من البضائع الثمينة التى تجمعت لدى أهلها على مدى سنوات طويلة . وقد قتل جميع الرجال دون رحمة ، باستثناء الأسرى الأغريق المشوهين ، بل تقاتل الجند المقدونى فيما بينهم على الغنيمة . وإذا كانت برسيبوليس قد فتحت عنوة ، ولم تستسلم حاميتها كما حدث ، لما صادفت معاملة اسوأ مما حل بها . وليضيف الاسكندر إلى شهرته السيئة ، كان يفتخر فى كل خطاباته بأنه أمر بقتل كل الأسرى الفرس .

وخلال أقامته فى برسيبوليس قام بنزهة قصيرة إلى بزرجادة (٤٥ ميلا إلى الشمال) — للاستيلاء على كنوز قورش فى هذه المدينة وقد كان حريق

برسيبوليس بأمر الاسكندر عقاباً للفرس على ما فعلوه عند غزوهم لبلاد الأغريق ومن تدمير أثينا وأحراق المعابد وذبح الأغريق .

وقد حاول بعض المؤرخين تبرير فعلة الاسكندر والقاء تبعتها على تائيس ، خليلة القائد بطليموس ، التى أغرت الاسكندر بعد ليلة من المجون على حرق المدينة .

تابع الاسكندر تقدمه فى أواسط آسيا نحو الشمس ووصل شمال الهند وبلغ هيفاسيس (بياس) . وأراد أن يسير حتى حدود الأرض إلا أن جنده أمتنعوا عن التقدم أكثر من ذلك ، فعاد الاسكندر عن طريق هيداسبيس [السند] إلى المحيط الهندى سنة ٣٢٥ ق . م ومن هنا أبحر قائد الأسطول لاستكشاف المحيط الهندى وعاد الاسكندر مخترقاً صحراء جيدروسيا (جنوب إيران) إلى سوس ٣٢٤ ثم ترك سوس ماراً باكباتانا ووصل بابل حيث سقط مريضاً ومات ١٣ يونيو ٣٢٣ ق . م وكان يستعد لغزوة جديدة . ولا ريب أن من العوامل الرئيسية فى نجاح الاسكندر فى التغلغل داخل الهضبة الإيرانية وأواسط آسيا كان المرتزقة من الأغريق الذين كانوا يعملون فى الجيش الفارسى والذين كانوا على علم تام بمسالك هذه البلاد الجبلية والقبائل التى تعيش فيها والممالك القائمة بها وأحوال سكانها . وقد أنشأ الاسكندر عدداً من المدن داخل بلاد فارس تحمل أسمه ولكنها أختفت من التاريخ .



حريطة ٤١ المملكة السلوقية

مملكة السلوقيين

(٣١٢ ق . م إنتهى سلطانها فى إيران ٢١٧ ق. م)

لم تعمر طويلا تلك الإمبراطورية الضخمة التى أسسها الاسكندر إذ بعد وفاته لم يكن ثمة وريث للعرش ، ورغم أن روكسانا وضعت طفلا بعد بضعة أشهر ولكن لم يكن ثمة وصية خاصة فى حالة وفاة الاسكندر أو عجزه . ولم يدم الأمر طويلا حتى تقاتل قواده للاستيلاء على إمبراطورية أو على على الأحتفاظ بأكبر جزء منها ، أما زوجته روكسانا التى كانت قد قتلت أبنه دارا ، فقد قتلت هى أيضاً مع أبنها .

ونجح ثلاثة من قواده فى تقسيم الإمبراطورية ، وكان أحدهم بطليموس الماكر الذى أدرك ثروة مصر وقوة تحصيناتها الطبيعية براً وبحراً فاستولى على مصر وأحتفظ بها ، كما أستولى على جثة الاسكندر المحنطة ووضعها فى الموزوليوم فى الاسكندرية . وكانت بلاد اليونان من نصيب أنتيجوس (أنتيكوس) ، أما آسيا الصغرى وبلاد الشام والعراق وإيران فكانت من نصيب القائد سلوقس قائد مشاة الاسكندر . وقد تنازل سلوقس ، نظراً لضخامة إمبراطوريته ، عن مقاطعات الهند إلى الفاتح الهندى الكبير (شاندرا جوبتا) فى مقابل ٥٠٠ فيل أستفاد منها فى القضاء على أعدائه . بعد ذلك قسم سلوقس إمبراطوريته إلى قسمين : القسم الشرقى وشيد له عاصمة جديدة فى سلوقية على دجلة فى العراق . والقسم الغربى وأسس له العاصمة أنطاكية

على نهر العاص، وسماها باسم أبيه أنطيوخس (أنطاكيا) وكانت من أهم مراكز الحضارة الهلينيه ، كما عين أبنه أنطيوخس الأول حاكما على القسم الشرقى من مملكته الذى كان مقر سلوقية .

وتوالى على العرش السلوقى بعد مؤسس المملكة السلوقية ثمانية عشر ملكا ، وكان أكثرهم ملوكا ضعافا ، فأخذت أجزاء الإمبراطورية تستقل الواحد تلو الأخرى ، حتى فقدت أراضيها فى الشرق بعد قرن ونصف من تأسيسها ، فقد أستقلت بلاد فارس منذ البداية فى عهد أنطيوخس الأول بن سلوقس ثم أنسلخت بعد ذلك مملكة باكتريا التى أسسها الأغريق شرقى بلاد إيران (وهى تشمل أفغانستان الحالية) . ثم أستقلت بلاد البرثيين (الفرثيين ٢٠٩ — ٢٠٨ ق . م) إذ دعم أرشك أرساكس الأول مركزه فى ولاية باوثيا . وكان أرشك هذا ينتمى إلى قبائل البارنى الرحل .

وقد أستمر الخلاف بين أفراد الاسرة السلوقية ونشبت الحرب بينهم وأستمرت هذه الحال حتى قتل أنطيوخس الثالث عشر آخر ملوكهم ، وصارت سوريه التى كان يحكمها ولاية رومانية عام ٦٠ ق . م .

البرثيون (بارثيا)

٢٤٩ ق . م — ٢٢٦ م

بدأ نفوذ البرثيون (الفرثيون) يشتد منذ عصر ارشك الأول عام ٢٤٩ ق . م الذى أسس مملكة بارثيا التى كانت لا تضم أولا سوى بارثيه وهيركانيا . وكانت تقع بين مملكة السلوقين غربا ومملكة باكتريا شرقا. وقد نجح خلفاءه فى الصمود أمام هجمات السلوقيين ثم استطاع أحد ملوكهم ميتراداتس الأول (١٧١ — ١٣٧ ق م) الإستيلاء على بابل وميديا من السلوقيين ، وعلى عيلام وفارس وأجزاء من باكتريا ، وهكذا أسس الإمبراطورية البارثية التى امتدت من الفرات إلى هراة وأصبحت طيسفون — سلوقية هى العاصمة ، واستمروا فى انتصاراتهم على السلوقيين حتى انتصر فراتس الثاني (١٣٧ — ١٢٧) على انطيوخس السابع فى ميديا (١٢٩) ونتيجة لذلك أقصى السلوقيين عن الإقليم الواقعة شرقى الفرات ولكن البرثيون لم يستمروا فترة طويلة كقوة حاكمة ، إذ بدأ ملوك أرمينية ينازعونهم السلطان فبدأت تضعف منذ عام ٨٨ ق . م . بسبب نشاط ملك أرمينية تيجراتس الأول (٨٨ — ٧٠) الذى استطاع أن يضم ولاية ما بين النهرين إلى أملاكه وانكمشت بارثيا إلى حد كبير .

وبعد عام ٣٦ ق م . سادت الفوضى البلاد إلى أقصى حد وكان يتولى الحكم فيها ملكان أو أكثر فى وقت واحد . ولا يعرف إلا القليل عن هؤلاء الملوك .

وقد نشأ بين الفرثيين وبين الرومان نزاع حاد بعد تزايد قوة روما إذ

نشأ لها مصالح مهمة فى بلاد الشرق وقد بدأ هـذا منذ العصر السلوقى . وكانت الطرق التجارية المهمة المارة بإقاليم الهلال الخصيب من أبرز عوامل النزاع بين الرومان والفرثيين وقد استمر مدة طويلة . وقد نجح كراكاله فى خديعة الفرثيين ، وطلب زواج ابنة الملك وعندما خرج الناس من طيسفون احتفالا بهذا الزواج أعمل فيهم السيف وانتهك قبور الملوك الفرثيين . لـكن كراكالا اغتاله ضباطه (٨ أبريل ٢١٧ م .) وحدثت آخر الحروب فىعهد الملك الفرثى أرطبان خامس (اردوان — أرطبانوس) آخر ملوك الفرثيين والإمبراطور الرومانى مكرينوس (٢١٧ — ٢١٧ م) حيث وقعت معركة شديدة عند نصيبين انتهت بمعاهدة صلح بموجبها أرجع الرومان جميع الغنائم والأسرى التى كان قد أخذها كراكالا كما دفع الرومان مبلغا كبيراً من المال للملك الفرثى .

ولم ينجح الرومان فى إخضاع بلاد إيران فى هذا العصر أو العصور التالية بسبب الطبيعة الجغرافية الجبلية والصحراوية التى تتميز بها بلادهم ، رغم أن الجيوش الرومانية قد دمرت عواصمهم أكثر من مرة كما أن الأباطرة الرومان التى كانت إمبراطوريتهم تمتد غرباً حتى المحيط الأطلسى لم يكن لديهم الرغبة فى التوغل شرقا فى بلاد جبلية ليست على درجة كبيرة من الثراء .

وقد استمرت دولة بارثيا من ٢٤٩ ق . م — ٢٢٦ م . ثم حل مكانها الملوك الساسانيون .

والأسرة التى كونت دولة البارثية تعرف باسم أرساسيد (Arsacid) عند الغربيين — ويطلق عليها مؤرخو العرب والفرس دولة الأشكانيين (أو الاشغانيين) ويسمون أول ملوكهم باسم أرشك، وكتاب الفرس وينسبونه فى

وصل الأسر الحديثة بالقديمة إلى كيقباد او كيـكاوس . وكان معظم النبلاء الفرثيين أميين وتركت الـكتابة إلى كعاب آراميين ولذا فمعظم ما وصلنا عنهم كتابات مدونة باللغة الآرامية ، ولا يوجد إلا القليل المدون باللغة الفارثية .

وكان يعتمد اقتصاد هذه الدولة على التجارة وخاصة تجارة الحرير التي كانت تمر على الطرق التجارية الممتدة من الصين والهند ثم تمر عبر بلاد البارثيين إلى الإمبراطورية الرومانية فى الغرب . أما فى ميدان الزراعة ، فقد اختفت المزارع الصغيرة وحل محلها ملاك كبار إقطاعيين ، وتحول الفلاحون تبعا لذلك إلى رقيق وفى النهاية أدى هذا إلى ظهور نظام عنصرى للطبقات المميزة ، كل منها مرتبط بنظام إقتصادى معين وهو النظام الذى نلاحظه بوضوح فى الدولة الساسانية التالية .



شكل ٤٢ : دورا ـ يوربا . فارس بارثى مدرع .

التأثير الهلليني

توصف الحضارة الإغريقية عادة بأنها مدنية [المدينة] polis وكان الإغريق هم الذين أعطوا بلاد إيران أول مدن حقيقية . والأسكندر وخلفاؤه لم يبنوا مدنا فى المناطق التى لم تكن متحضرة من قبل ، بل كانوا يفضلون تطوير البلاد التى كانت مأهولة فعلا ، فيحيطونها بجدران قوية ويقيمون داخلها مبان جديدة ضخمة . ولما صار الآن للعاصمة مركزا قانونيا ، فقد منحت حقوق المدينة واتخذت اسما جديدا ، أطلقه عليها مؤسسها . وعلى هذا فالعاصمة المستقبلة للفرثيين لها اسمان طيسفون وسلوقية . والبلدة القديمة دورا Dura على الفرات قد تحولت إلى قلعة وأطلق عليها الإغريق اسم « أوروبوس Europos » . والنظام الاجتماعى لهذه المدن كان جديداً كل الجدة فى إيران ، لأن كل المواطنين فى المدينة كانوا أحرارا — كما كان الحال فى بلاد الإغريق بصفة المدينة مستعمرة إغريقية مقدونية ، ولم يكن للأجانب أو للعبيد أى دور فيه . فمثلا ، فى سلوقية ، فالقطاع الإغريقى فى المدينة كان هو المسيطر على كل من مجلس الثلثمائة وعلى مجلس الشيوخ المكون من ٢٨ عضوا — وهى النظم الخاصة المميزة للمدن الإغريقية . أما الفرس والسوريون فكانوا مستقلين عن المدينة وكانوا يكونون مجتمعاتهم الخاصة بهم ، وسلوقية ، التى كانت عاصمة ولاية كان لها قائد عسكرى للولاية وحاكم مدنى ، اللذان كانا على قيادة الحامية .

عامل هام جدا سواء من الناحية الحضارية أو من الناحية السياسية كانا توزيع المعسكرات عبر المناطق الشرقية ، فالمستعمرات المقدونية والإغريقية فى آسيا الصغرى المعروفة باسم المستوطنات كان لها أرضها الخاصة بها ، والمعروفة



(شكل ٤٣) : صورة جدارية من دورا يوروبا تصور الإله ميترا يطارد حيوانات .

باسم إقطاع عسكرى Kleros والتى كانت خاضعة للضرائب، والتى كانت تسكون فى مجموعها أرباب الاقطاعات . والأرض اقطاع عسكرى كانت مختلفة تماما عن الأرض المعتبرة أملاكا ملكية،ولكن إذا ما حدث لسبب من الأسباب أن ملكيتها انتقلت تصبح مرة أخرى من أملاك الملك أو الدولة ، والمستوطنات تلحق بمدينة، وفى بعض الحالات منحت حقوق المدينة. ويوجد سجل للمستعمرة كاتويكيا المقدونية فى حران فى أعالى بلاد الرافدين فى ٣١٢ ق . م . ومن المعلوم أنه كان يوجد عدد من المستعمرات العسكرية الإغريقية فى الرها (سوريا) ، وتاكسيلا (الهند) ، واكباتانا (ميديا) .

وتطوير المدن صار وسيلة لأغرقة أماكن جديدة وامتصاصها ، وللملك وسيلة بارعة لتدعيم سيطرته الاقتصادية وسلطانه السياسى . فكل مدينة كانت تدفع ضرائب للملك الذى يملك الأرض التى منحت للمدينة على أساس

حق ممنوح . وكان الأسكندر وخلفاؤه يعمرون المدن الصغيرة بأسرى حرب — مع اتخاذ الاحتياط اللازم لإرسالهم إلى مسافات بعيدة عن أوطانهم — بينما الجرحى والمرضى كانوا يدمجون فى المستعمرات الإغريقية القائمة فعلا .

وكان غالبية سكان المدن من الشرقيين — وفى المدن شرق الدجلة كانوا فرسا فى الأعم . والزواج المختلط بين الإغريق والسكان المحليين أسرع بعملية الامتزاج الحضارى . فمنذ وقت مبكر من ٣٢٤ ق . م . ، شجع الأسكندر علنا قواته المقدونية بالزواج من سيدات فارسية فى سوسة كاضرب بنفسه مثلا . وبينما كانت اللغة اليونانية الإغريقية هى اللغة الأساسية فى تلك المدن ، إلا أنه فى المقاطعات والمناطق الزراعية كانت الفارسية والآرامية (فى سوريا وبلاد الرافدين) — ولهجات دارجة أخرى تستعمل فى الحديث كما كانت فى الماضى ، كما استمرت التقاليد القديمة . وفى بلاد الرافدين والأطراف الغربية من إيران كانت الثروة تعتمد على مقدار ما يملك الفرد من عبيد والألواح البابلية المؤرخة من القرن الرابع قبل الميلاد تذكر أن العبيد وأسرى الحرب كانوا يعملون فى بناء الجدران والقلاع والقصور .

وتوحيد هذا الإقليم الشاسع الممتد من البحر الأبيض المتوسط حتى سيرداريا والسعد كان له أهمية حضارية كبرى . وسلوقية — طيسفون العاصمة الجديدة للامبراطورية ، كانت مركز التقاء الطرق المديدة التى تربط أواسط آسيا بالبحر الأبيض المتوسط ، والقوقاز مع سواحل الخليج الفارسى . والطريق الملكى القديم الذى يخرج من شرق إيران إلى سلوقية ومنها إلى سارديس وإنطاكية ظل مفتوحا ، مما ساعد على تطوير العلاقات التجارية وعلى إنتاج كل أنواع البضائع وتبادلها . وعبادة إله الشمس ميترا قوى من مركزها فى آسيا الصغرى ، بينما صار مجمع الآلهة (البنثيون) الإغريقى معلوما فى باكتريا .

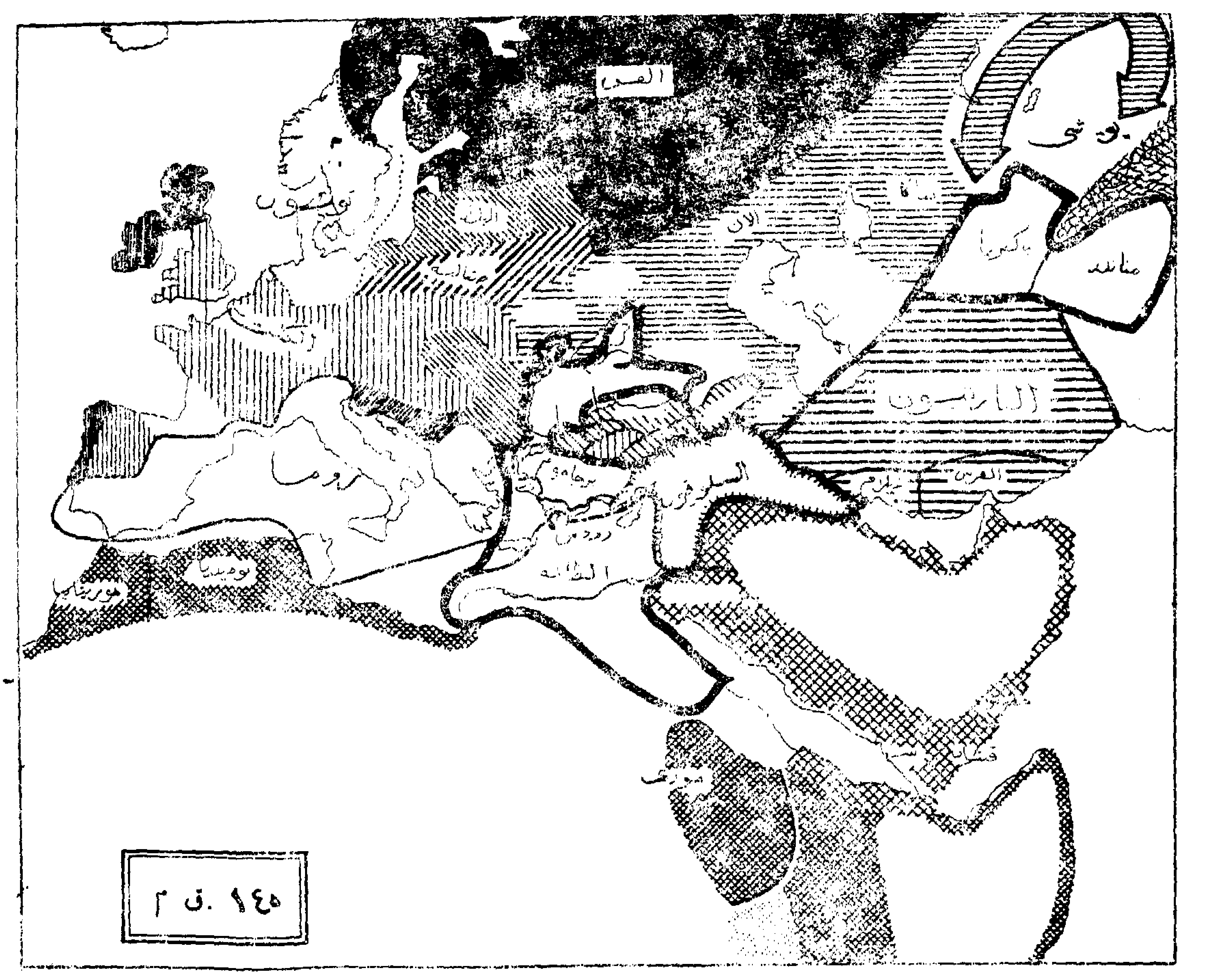
ـ ويبدو أن أقدم تماثيل بوذا كانت من صناعة إغريقية . ومما له أهمية أيضا النقود المسكوكة على أساس النماذج الإغريقية حتى فى الأماكن الإيرانية الصرف — مثلا فى المملكة الباكترية — الإغريقية — وقد استمر تأثيرها قرونا عديدة على نقود أواسط آسيا . وهنا ارتبطت الرمزية لكل من الآلهة الإغريقية والعبادات الإيرانية بطريقة فريدة ـ فأغرقة المناطق الإيرانية سار جنبا إلى جنب مع استشراق مواز للسكان الإغريق المقدونيين الذين كانوا على اتصال بالمدينة الشرقية وخاصة الفرس. وتوسع إيران نحو الغرب فى عصر قمبيز ودارا نحو الشرق فى عصر الأسكندر كان له أثره على كل من الجانبين، وترك بصماته على كل مظهر من مظاهر الحكم والحياة الثقافيه فى الشرق الأدنى . وكان لهذا نتائج لا تحصى لم يقتصر فقط على تاريخ آسيا فحسب ، بل على تاريخ أوروبا أيضا ، يتمثل فى أهمية عبادة ميترا فى الإمبراطورية الرومانية وعلى تاريخ المسيحية المبكرة نفسها .

والكفاح على الخلافة بعد موت الأسكندر وجد له حلا مؤقتا عام ٣٢٣ق.م عندما أعتلى بطليموس عرش مصر وصارت سلوقية ولاية بابلية. وقد احتفظ بهذا الوضع حتى ٣١٦ ق . م . وفى ٣١٢ ق . م أسس سلوقس نيكاتور الأسرة السلوقية ، وقد استعمل هذا التاريخ كأساس لتاريخ الشرق الأوسط على مدى قرون عديدة . كانت عاصمة الدولة السلوقية بابل فى بادىء الأمر ، ثم سلوقية على الدجلة وأخيرا إنطاكية على نهر العاص ، فى سوريا . وقد توفى سلوقس نفسه فى ٢٨١ ، بعد توحيد سوريا وبلاد الرافدين وإيران أعظم وأهم أجزاء الإمبراطورية الاخمينية .

والتنافس بين السلوقيين والبطالمة فى مصر ـ الذى كان استمرارا تحت حكام من جنس مختلف للعداء القديم بين، أولا، المصريين والإمبراطوريات

الآشورية — البابلية ، ثم بين مصر والفرس ، إستمر حتى هزم الرومان البطالمة . كانت هذه الحروب سببا فى جعل السلوقيين يركزون كل جهودهم على الحدود ويهملون الشئون الداخلية . ففى بلاد فارس ازدادت قوة المعارضة الفارسية ، وبدأ البارثيون يبنون إمبراطوريتهم . اضطر انطيوخس سوتر (٢٨١ — ٢٦١ ق. م) للدخول فى حرب ضد برجاموس (برغامة) التى ثارت عليه والتى نجح فى إخضاعها ، وقد هاجمه أيضا بطليموس فيلادلفوس (٢٨٥ — ٢٤٧ ق . م) ومنذ القرن الثالث قبل الميلاد صار من المستحيل السيطرة من إنطاكيا (انطيوخ) ، على المقاطعات البعيدة ، مثل باكتريا وسوجدانيا . فسوجدانيا التى منذ ٢٥٠ كان يحكمها ديودوتوس ، واحد من قواد انطيوخ ، كانت تتمتع باستقلال كامل تقريبا ، وحتى ٢٧٧ كان يحكمها ابنه الذى اتخذ لقب ديودوتوس الثانى .

وقد بدأت تظهر الآن فى إيران قوى جديدة . ارشك (ارساسكس) زعيم واحدة من القبائل البدوية فى شرق إيران التى تعرف باسم داهاى Dahae أو داى Dai وبدأت عملية توحيد بارثيا واستطاع القضاء على أندروجوروس قائد القوات السلوقية فى المنطقة ، وفى الوقت نفسه نجح أخو ارشك تيرداتس فى الإستيلاء على هيركانيا (جرجان Gurgan) وبارثيا . ومن ثم ولدت الدولة البرثية وأسرة ارشك (ارساسيد) ٢٥٠ ق . م — ٢٢٤ م) . وقد جهز سلوقس الثانى جيشا فى بابل ، ولكن اضطر إلى إرجاء حملته المقررة ضد [تيريداتس] فى ٢٢٨ بسبب أنباء وصلته عن ثورة فى إنطاكية . وقد احتفظ تيردات بسلطانه على الأقاليم الواقعة على سواحل بحر قزوين حتى وقت موته فى ٢٦١ . وإبان حكم إبنه أرطبان الأول (حوالى ١٩١ ق . م ، بذل السلوقيون محاولات عديدة للقضاء على الفرثيين ،



خريطة ٤٤: السلوقيون والبارثيون فى عام ١٤٥ ق.م

ولكن دون جدوى وتحت حكم ميثرداتس Mithridates (١٧١ — ١١٨ ق . م) ، صارت بارثيا واحدة من أقوى دول غرب آسيا التى لم يستطيع حتى انطيوخس الرابع ، الذى بذل مجهودات جديدة لاغرقة الأقاليم الشرقية ، القضاء عليها . وعند نهاية القرن الثالث وبداية القرن الثانى قبل الميلاد ، كان للاغريق المقدنيين ، الذين كان لهم امتيازات خاصة ، السلطان الأعلى . ولكن بدأ الآن الشرق يزحف عليهم تدريجيا حتى فى الشئون الاقتصادية . وكانت سياسة انطيوخس للاغرقة تهدف لاستعادة الأرض الضائعة وتقوية المركز الاقتصادى للتجار الغربيين . إلا أن بارثيا كانت قوية . وبالتدريج نجح متردات فى الإستيلاء على جدروسيا ، ودرانجيانا (سجستان الحديثة) ، وآريا (إقليم حرات) . والإستيلاء على عيلام وميديا وبذلك فتح الطريق إلى بلاد الرافدين وسقطت بابل فى يد ميتردات فى ١٤٢ ، وفى يوليو استولى على سلوقية على الدجلة . وفى ١٤٠ تجدد اللقب الملكى الأخمينى وصارت النقوش المسمارية البابلية تشير إلى السلطان الفارثى بـ « ملك الملوك » .

بفتح بلاد الرافدين صار الصدام مع الغرب أشد حدة . هزم انطيوخس السابع (وكنيته سيداتس Sidetes ١٣٩ — ١٢٩ ق . م) الجيش الفرثى الذى دعم بمرتزقة من الساكا (الساقاى Sacae) ، فى ثلاث معارك ، واستولى على سلوقية وولاية بابل (١٣٠ ق . م) (إذ كان الفرسان الفارثيون لا يستطيعون مقاومة جيش رومانى مدرب) ثم قضى الشتاء فى اكباتانا . ولكن طرده منهم فراتس الثانى ، ابن ترادات فقد وزع انطيوخس السابع حينئذ قواته وأسكنهم فى المدن والقرى المحيطة فترة الشتاء . وقد اقترح فراتس المفاوضات ، ولكن الشروط الإغريقيــة كانت مستحيلة إذ

كان على البارثيين إطلاق سراح دمتريوس وإخلاء جميع المقاطعات التى احتلوها باستثناء بارثيا ودفع الجزية ؛ إلا أن المملكة الجديدة قد نجت من هذا الموقف بفضل غرور الإغريق وإهمالهم وعدم كفاءتهم . فالسكان المحليون المتذمرون من الجند المعسكرة على حسابهم وفى بيوتهم كانوا على استعداد للثورة ، وعمل العملاء البرثيون على إشعال الثورة ، وسرعان ما أنقض فراتس فجأة على انطيوخس ، وقد قضى قضاء تاما على الجيش السلوقى وقتل انطيوخس نفسه وأسر جزء من جيشه وأنضم إلى الجيش البارثى . وفى مدى شهور قليلة كانت الانتصارات الضخمة التى قام بها السلوقيون قد تحولت إلى كارثة كبرى ، بل لم يكن ثمة أى قوة عسكرية لحماية سوريا ضد أى غزو بارثى . وصار عام ١٢٩ تاريخ مصيرى للهلينية التى لم تستطع أن تسترد سلطانها مرة أخرى . ورغم أن الإمبراطورية السلوقية استمرت بضع أجيال فى الغرب إلا أنها اندحرت تماما أمام إيران ، وانكمشت حدود أوروبا حتى الفرات .

على العموم فقد غزا الساقاى (الساكا) الولايات الشمالية الشرقية من الإمبراطورية الغربية ، وهزموا جيوش فرارتس الذى قتل فى المعركة فى نفس السنة ١٢٩ .

كما قتل خليفته أرطبان الثانى ، أيضا فى ١٢٤ أثناء محاربته لقوات الساكا الغازية الذين احتلوا أريا ودرانجيانا والتى صارت تعرف منذ هذا التاريخ باسم ساكاستان (بلاد الساكا) الاسم الحديث سجستان (سكستان أو سيستان — Sistan) المعروفة به اليوم . وعين أرطبان هيمار Himar

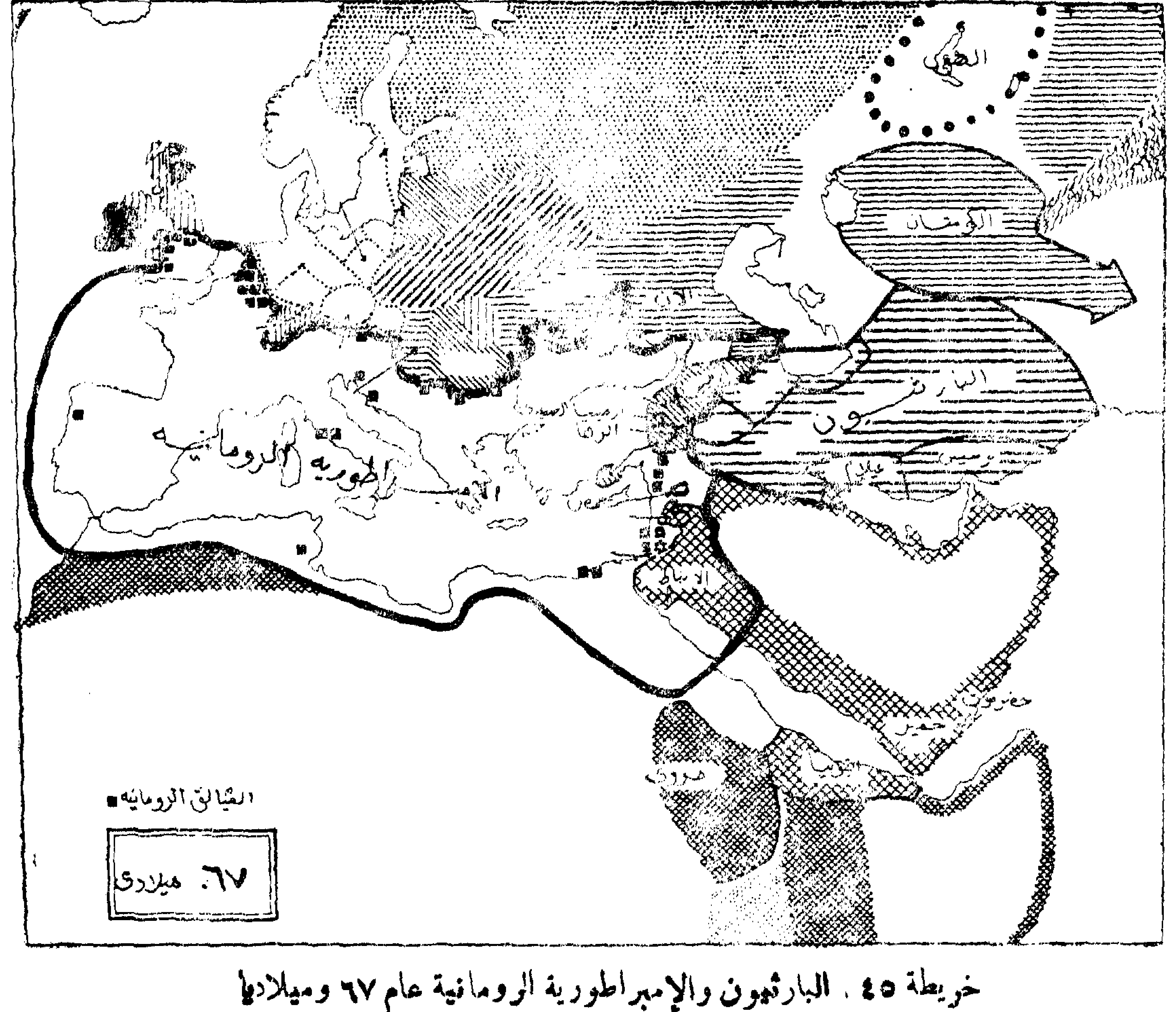
واليا على بلاد الرافدين ، ولـكن حكمه القاسى سبب ثورة فى سلوقية ومدن أخرى . وقد باع أهالى بابل فى سوق الرقيق فى ميديا عقابا على ثورتهم

بالقرب من الخليج الفارسى ظهرت بعد عام١٢٩ المملكة العربية الجديدة الشراقنة Characene ، وتعرف من النقود أن حاكمها كان المدعو Hispation الذى احتل سلوقية وبابل فى سنوات ١٢٨ ، ١٢٧ ، ولـكن هيمار أعاد فتح البلاد المستولى عليها واتخذ لنفسه لقب الملك ، وكان ذلك بسبب الحالة الخطيرة التى وصلت إليها المقاطعات الشرقية البارثية التى كان يهددها الساكا . ثم أن مترادات الثانى ، بن أرطبان ، قضى على الشراقنة وأعاد بابل إلى سلطانه (١٢٢ — ١٢١ ق . م) وحوالى ١١٥ نجح البارثيون فى هزيمة الماساجاتاى Massagetae وبذلك امتد سلطانهم حتى نهر أوخوس (سيحون) .

صارت الآن بارثيا ثابتة الدعائم وقائمـــة على ملتقى الطرق التى تؤدى إلى الهنـد والصين ، وكان طريق البحر يمر عبر الأملاك البارثية . واستقبل مترادانس سفارات من إمبراطور الصين ووتى من أسرة هان الذى أراد أن يحسن علاقته بدولة الفرثيين حتى يستطيع التجارة مع الغرب درن اضطراب . وقد أدرك أيضا الرومان أهمية موقع البارثيين . وأرسل أيضا مترا دانس سفارة إلى سوللا لتحسين العلاقات معهم . كما أخضع القبائل العربية التى كانت تثير الاضطرابات فى بلاد الرافدين بمساعدة انطيوخس التاسع ونظمهم فى ثلاث مقاطعات ؛ وكانت أديابين Adiabene وجوردين Gordyene ، وكل منهما كانت تسكنها قبائل قادوسى (Kadussi) الثورية، قد استقلت عند ضعف الإمبراطورية السلوقية .

وفى ١٣٢ تسكون إقليم خسروين التى كونها الحاكم السلوقى الذى من أصل إيرانى المعروف باسم خسرو Osrhoes (Chosroes, Khusrau) ، ثم بعد ذلك صار يحكمها العرب حتى دخلت تحت سلطان الرومان . ولا يعرف مدى اتساع سلطان مملكة مترادتس الثانى ، ولكنه بالتأكيد كان يشتمل على الضفة الغربية للفرات . ومعظم المعلومات عن هذا الموضوع مستمد من النقود فمثلا ، نعلم من قوائم الألقاب الرسمية [المكتوبة بالإغريقية حتى عصر فولوجاش Vologases الأول ، ٥١ — ٧٧ م .) أنه فى عام ١٠٨ ق . م . كان مترادات يحمل لقب ملك الملوك ولكن فى ٨٩ على العموم اعتبر جوتارز Gotarzes الأول نفسه « ملك بابل » وبعد موت تجران احتل آديابين (أديب) وكوردبين . وحوالى ٨٠ ق . م ، كان ملك بابل ، أورودس الأول ، ولكن منذ ٤٦ كان يحمل هـذا اللقب الملك الأرشكى فرات (فراتس) الثالث الذى اعتبر بابل عاصمة له . والحرب بين تجران الأرمينية وفراتس الأرشكى على شمال بلاد الرافدين سواها يومئ بأن جعل جوردين ونصيبين من نصيب تجران وأديابين من نصيب فراتس . وقد فقد فراتس أقاليم قزوين وسلطانه على ماساجاتاى ولكنه احتفظ بمرو ، وجعل نهر أوخوس الحد الفاصل بين ساكاى أواسط آسيا وبين البارثيين . وفقدت سجستان واراخوسيا فى حوض نهر هيلموند ، وفيها ظهرت المملكة الهندية — السكيذية المعروفة لدى الكتاب الصينيين من القرن الأول قبل الميلاد ، وفراتس قتله فى ٥٨ — ٥٧ إبناه مترادات الثالث وأورودس Orodes ثم تقاتل الولدان حول العرش ، ولفترة ما كان متردات يحظى بتأييد قنصل سوريا ، جبنيوس Gabinius ، ولكن أورودس طرده من إيران ثم قتله عندما احتمى ببابل .

صارت الآن بارثيا تواجه عدوا جديدا وقويا ، هم الرومان وإبان حكم اورودس ، هزم البارثيون كراسوس ، عضو الثالوث الروماني الحاكم ، وقنصل سوريا في المعركة المشهورة حران (قارهاى) (Carrhae) في ٥٣ ق.م. وبناء على نصيحة ابسكار الثاني ، المدعو اريامنس ، أمير خسروين وتابع للفارثيين ، اندفع كراسوس في سهول بلاد الرافدين حيث استطاع الفرسان الفارثيين التحرك بكل قوتهم . وقتل في هذه المعركة أكثر من عشرين ألف روماني وأسر عشرة آلاف نقلوا إلى مرو في أواسط آسيا ، بينما القائد البارثي المنتصر ، سورناس (سورن) (سورنا) ، احتفل بانتصار روماني مزيف في سلوقية . ويبدو أن أورودس اتخذ سلوقية على الدجلة عاصمة له ، وقد بقيت مقرا للحكومة حتى الساسانيين وعقدت أرمينية معاهدة مع الفرس الذين ارتفع شأنهم نتيجة لهذا الانتصار والأقاليم الشمالية من بلاد الرافدين نصيبين وأديب أعيدت مرة أخرى للإمبراطورية . وعلى العموم فإن محاولة الفرس الإستيلاء على سوريا ٥٢ — ٥١ ق . م لم تكلل بالنجاح . واعتبر أورودس أن سورن قد صار قائدا منتصرا إنتصارا كبيرا يجعله خطرا عليه فأعدمه ، ثم أن إبنه ، باكوروس "Pacorus" لم يستطع سوى إرسال فرسانه في قليقية وحدود كبدوكية الأمامية في غزوات سريعة ، ولكن أمام جدران إنطاكية وإستحكاماتها كانوا عديمي الجدوى . ومن الممكن أن الحملة كان هدفها غزو أرض العدو ونهبها . وفي عام ٥٠ ق . م عاد الفرسان البرثيون أدراجهم عبر الفرات . وفي عام ٣٨ — ٣٧ عين أورودس ابنه وليا للعهد فقتل أبيه وصار ملكا باسم فراتس الرابع . وهذا يوضح بجلاء وحشية العناصر الفارسية منذ القدم .



خريطة ٤٥ . البارثيون والإمبراطورية الرومانية عام ٦٧ ميلاديا

كان مركز مارك أنطونى ، العضو الثالث من الثالوث الرومانى الحاكم والذى أخذ على عاتقه تدعيم السلطان الرومانى فى الشرق صعبا . فقد فشلت خطته فى إنتزاع بابل من الفرثيين . وفى عام ٣٦ قبل الميلاد غادر زوجما (زوكا) Zeugma واتجه شمالا على ضفاف الفرات مارا عبر ملطية على الطريق إلى قرينه Carina أرضروم Erzerum . . ومن قربها اتجه شرقا ، ولكنه وجد أنه من الصعب حماية أمتعته الكبيرة التى أصر على أصتحابها مع الجيش ، وقد هاجمه الفرثيون الذين أستولوا على عربات تمينة محملة بالامدادات . وقد بقى أنطونى فى مدينة فراسبا[1] Phraespa حتى أكتوبر ، ثم بدأ البرد القاسى والانسحاب غير المشرف — وبصعوبة بالغة أستطاع الرومان الوصول إلى آرمينية . وقد توفى أكثر من ٨٠٠٠ من المشاه من البرد والأجهاد . . ثم بعث من أرمينية فى طلب النجدة من ملكة مصر ، كيلوباترا . وقد وصلته من مصر الامدادات والملابس الثقيلة فى الوقت المناسب ، ولكن هذه المساعدات لم تكن لتعوض خسائر الجيوش الرومانية .

وفى عام ٣٠ قبل الميلاد وصل أوغسطس إلى سوريا وأعاد تطوير سياسة روما فى الشرق على نسق جديد . وكانت خطته تعتمد أساسا على تقوية الحدود التى مع بارثيا ، وفى نفس الوقت دفعها شرقا بقدر المستطاع . وكان من السهل التدخل فى الشئون الداخلية لأرمينية وبارثيا ، لأن العائلات النبيلة الكبرى كانت دائما فى نزاع مع بعضها ، وأحيانا تكون دولة داخلة دولة . وكانت أرمينية دائما مصدر نزاع بين روما وبارثيا ، لأنها كانت أسميا تابعة للبارثين ، ثم ثارت تحت القيادة الحازمة للملك تجران وربما كان من

---

(١) فراسبا ، پراسپا ، فرادسبة بالفارسية القديمة .

المستحيل على الرومان أن يحققوا حلم السيطرة على طرق التجارة مع باكتريا والهند . فإن الصدام مع بارثيا أبان القرون التالية كان مقتصراً على التركيز على تدعيم الحدود الأمامية عند الفرات ، وكل المحاولات الرومانية لعبور الفرات فشلت ، وأن كانت الفرق الرومانية قد نجحت أحيانا فى التقدم داخل المناطق التى تعتبر بارثية بحق .

وفى عام ٥٨ ميلادية بدأت الفيالق الرومانية بقيادة كوربولو دوميتيوس حملة طويلة ضد أرمينية ، وفشلت الجيوش البارثية المتجمعة فى هيركانيا فى الوصول لمساعدة القوات الأرمينية فى الوقت المناسب وأحتلت أرتاشات (Artaxata-Artashat) العاصمة الأرمينية القديمة ودمرت تحصيناتها . وحوالى ٦٠ م . كانت أرمينية جميعها قد فتحت.. ونتيجة لهذا عقدت معاهدة جديدة بين الرومان والبارثيين فى عام ٦٣ م وعين فرد من عائلة أرشك ينتمى إلى الأسرة الفارثيه ملكدمية، ثم توّجه نيرون فى روما. وبذلك بدأ يحكم أرمينية فرع من الأسرة الأرشكية لفترة طويلة إستمرت من ٦٣ حتى ٤٢٨ م. وأبان هذه الفترة قامت أرمينية بدور الدولة المحايدة بين الامبراطورية الرومانية والفرس . وفروع أخرى من أسرة أرشك كانت تحكم إيبريا القوقازيه (جورجيا الغربية) والبانيا (إذربيجان الشمالية) .

وكان على الفرثيين حينئذ أن يحمون حدودهم الغربية بالإضافة إلى إضطرارهم للحذر بصفة دائمة من جهة الشمال والشمال الشرقى بسبب التهديد الدائم والمستمر الناتج من القبائل البدوية الآتية من هذا الأتجاه وفى عام ٧٢ عبر الـ (الآنى) Alani ، بمساعدة ملك هيركانيا [قزوين حاليا] والآلانى قبيلة من أصل إيرانى أسكيذى سارماتى من أطراف إيران [ونسلهم الجدد

م أوساتس Ossetes فى القوقاز]، عبروا البوابات الحديدية فى القوقاز وخربوا [أتروباتين Atropatene تخريبا تاما . وقد أصمت روما أذنيها عن طلبات المساعدة التى تلقتها من الملك فولوجاش الأول [فالكاش][بلاش] (٥١ — ٧٧) . وأدت حملات تراجان ، إمبراطور المستقبل ، فى أرمينية وخسروين إلى تحويل خسروين إلى ولاية رومانية ودفعت إلى درجة كبيرة الحدود الأمامية . وفى ١١٥ ، بعد ما صار تراجان أمبراطورا إنحدر على الدجلة بأسطول من القوارب وأستعمل ما كينات حصار ونجح فى الاستيلاء على سلوقية — طيسفون . وهرب الملك البارثى أوسروس Osrhoes (خسرو Khusrau) تاركا أبنته وعرشه الذهبى ليقعان فى أيدى الرومان . ولكن فى شرق وشمال شرق إيران التى كانت دائما مسرحا للاضطرابات والقلاقل ، تجمعت القوى المعادية لروما وأستطاعت بمرور الوقت أن تجبر القوات الرومانية على التراجع غربا . وفى أغسطس ١١٧ توفى تراجان .

حاول فولجاش الثانى (٩ / ١٢٨ — ١٤٧) أن يحتفظ بعلاقات طيبة مع روما . هاجم الآلانى إقليم بارثيا (١٣٦) ولكنهم ردوا على أعقابهم . وبقيادة فولجاش الثالث جمع البرثيون مرة أخرى قواتهم وتقدموا غربا وأستولوا فى طريقهم على الرها Edessa وإلى الجنوب من ذلك عبروا الفرات ودخلوا سوريا على أمل أن تحدث ثورة ضد الحكام الرومان ، وقد كان الرومان يتوقعون هذا وأرسلوا الفيالق الغربية إلى سوريا ، وإتخذ الإمبراطور

لوكيوس فيروس ، إنطاكية مركز لعملياته وأعاد تنظيم الجيش وفى ١٦٣ هاجم أرتاشات Artashat فى أرمينية ، وقد قاوم الرومان الهجوم البارثى ثم إنجهوا غربا وفى ١٦٥ أستولوا على طيسفون مرة أخرى ، ولكن الوباء أنتشر فى المدينة وأضطروا الانسحاب . وأستجمع البارثيون قواتهم للقيام بهجوم مضاد ولكن ردوا مرة أخرى على أعقابهم (١٦٦) ونتيجة لهذه الحملة تنازل البارثيون عن الأقاليم غربى نهر الخابور إلى روما وحظى الرومان بالسيطرة السياسية على الرها وحران (Carrhae) وكان ضعف السلطان الملكى فى بارثيا والصدام المستمر حول أعتلاء العرش قد أضعف المقاومة تجاه روما .

وقد كان هذا هو السبب الذى دفع الامبراطور سبتيموس سفروس للقيام بحملة بارثية أخرى فى ١٩٦ م . وفى تلك الأثناء كان عضوان من الأسرة الأرشكية كل منهما يدعى فولوجاش ، أحدها وهو فولوجاش الرابع (بلاش) كان مستقراً فى سلوقية ، كانا يتحاربان من أجل العرش . وحدث ثورة فى الولايات الشمالية الشرقية ، ولكن فولوجاش هاجم أحدها وطارد الثوار لمسافة بعيدة وطردهم نحو بحر قزوين . ثم أن فولوجاش هاجم نارست Nasetes ملك أديابين (أديب) الذى لم يهب لمساعدته وطرده ثم قام سبتيموس سفروس بحملة أخرى فى ١٩٩ وأستولى على طيسفون وبابل مرة أخرى ، ولكنه لم يستطع الأستيلاء على الحضرة .

وأخيراً فى ٢١١ هزم الامبراطور كارا كالا فرصة النزاع بين الاخوين فولجاش الخامس فى سلوقية وأرطبان الخامس فى أكباتانا ونجح فى الاستيلاء على بلاد ما بين النهرين أربل وجزء من ميديا . وجمع أرطبان الخامس الجيوش البارثية وعبر دجلة ٢١٧ . وتقابل الرومان والبارثيون فى نصيبين

التى تمكن سبتيموس سيفروس من جعلها ترسانة له فى المنطقة ، وهزم الرومان مرتين وأضطروا لشراء الصلح بثمن باهظ .

وفى هذه الأثناء كانت ثمة أحداث حرجة تجرى فى إيران . فالفرس وهم أهل فارس وجنوب إيران — كانوا يحاولون التخلص من السيطرة البارثية . أردشير بن بابك ، الذى كان من أسرة نبيلة من الساسانيين (سلالة ساسان ، الذى بدوره كان يدعى أنه من سلالة الأخمينيين) لعب دوراً بارزاً فى الثورة التى حدثت فى ٢١٢ . وبابك نفسه قد وحد عدداً من الأقاليم تحت سلطانه ، ونال من أرطبان لقب « ملك فارس » ، وطالب الملك البارثى بأعطاء نفس اللقب إلى أبنه سابور (شاهبور) . وعند موت شاهبور شغل العرش أردشير . وصار سلطان الأسرة الارشاكية ضعيفا ، وقتل فولوجاش الخامس فى ٢٢٢ — ٢٢٣ . ووقع أرطبان الخامس قتيلا فى المعركه ضد المدعى الساسانى فى ٢٢٤ ، وأبنه أرطاورد Artavad لم يستطع أن يقاوم إلا لفترة قصيرة . وبأردشير ، بن بابك الساسانى ، بدأت فترة جديدة وهامة فى تاريخ إيران — تلك هى العصر الساسانى .

تعتبر الفترة البارثية هامة فى تاريخ إيران لجملة أسباب فهى التى شاهدت تجمع كل العوامل التى ستشكل مستقبل إيران (فارس) . وهى توضح قدرة على الامتصاص دون الانحدار إلى الاستسلام وهى واحدة من الملامح الأساسية للفرس » . ولكننا لسوء الحظ لا نعلم ألا القليل جدا عن العصر البارثى ، وكثيرا من مشاكل تاريخه وحضارته غير معلوم . ونظام الإدارة كان لا يزال يتبع نظام السترابيات كما كان فى الماضى ، سوى أنها جزئت إلى مراكز eparchies يحكمها مديرون مدنيون أو عسكريون . وتخبرنا

المصادر الأغريقية بأن هذه قد قسمت أيضا إلى أحياء أصغر لاغراض مساحة الارض والضرائب . كما بدأ يظهر أيضا نوعا من الحكومة الاقطاعية . فالى جانب ملك الملوك الاشكى (شاهنشاه) كان يوجد طبقة أرستقراطية محلية ، أسرات صغيرة تحكم أقاليم مختلفة . ويبين نظام الحكم بأن هؤلاء كانوا مستقلين تمام الاستقلال . كان مركز الدولة ميديا Medea وكان المقر الصيفي للشاهنشاه أكباتنا وأن كان الملك يقضى الشتاء عادة فى مدينة بابل ذات المناخ الدافىء نسبيا . وكان ملك الملوك محاطا بعدد كبير من رجال البلاط رؤساء العائلات الارستقراطية الممتازة (عددهم سبعة) وحرسه الخاص . وكان ينصحه مجلس من النبلاء ومجلس ثان من الحكماء والمجوس ، أى من الكهنوت البارثى الذين كان لهم سلطان كبير ، وبعض المراكز ذات الالقاب كانت وراثية بحت وقاصرة على بعض الاسرات النبيلة مثل سورن وقارن . أما الجيش وعلى الأخص فرقة الفرسان ، فكان مكونا من النبلاء الفارثيين والرجال الأحرار . بالإضافة إلى ذلك كان الأمراء التابعون لهم جيوشهم الخاصة التى تشترك فى الحملات الامبراطورية تحت قيادتهم . وكان البارثيون مشهورين برماة السهام والمشاة . والفرسان كان يلبسون دروعا من زرد (سترة من الدروع) كما يشاهد ذلك فى صورهم فى دورا يوروبوس . والقوات الاحتياطية كانت تتكون من العبيد . ورغم أن نظام الرق لم يكن متطورا بالدرجة التى كان عليها فى الامبراطورية الرومانية ، إلا أن الرق كان عماد الإقتصاد . كما رأينا فقد باع هيمر Himer أهل بابل فى الرق .

وفى الأجزاء الشرقية من الإمبراطورية كان العمل الرئيسى هو تربية الماشية ، بينما فى الغرب كانت توجد إلى جانب ذلك الزراعة وخاصة فى بلاد

الرافدين . ومن الزراعات الهامة كذلك حدائق الأسواق والكروم والنبيذ وأهم الحبوب المزروعة هي الشعير والقمح

كانت بلاد الرافدين هي المركز الأساسي للاقتصاد والحضارة والتجارة في الإمبراطورية الإيرانية . ولذلك كان الإيرانيون خلال تاريخهم الطويل يسعون للاستيلاء عليها مراراً وتكراراً . وأصبحت بلاد المرتفعات الإيرانية نظراً لفقر بلادهم ولفقر حضارتهم أما بلاد الرافدين فكانت تقع على ملتقى الطرق التجارية التي تربط الشرق بالغرب ولم يختلف الحال عند نهاية القرن الثاني وبداية القرن الأول قبل الميلاد عندما حال الاضطراب السياسي المستمر عن حماية الطرق التجارية من غارات البدو العرب الذين كانوا يهاجمون بصورة منتظمة القوافل ويستولون عليها ، وكان من نتيجة ذلك إعادة استعمال الطريق البحري بين الخليج الفارسي العربي والساحل الهندي وبعدما فقد السلوقيون آسيا الشرقية بدأوا الحياة التجارية مرة أخرى في الساحل الفينيقي وفتحوا روابط تجارية مباشرة مع الإغريق . وواحدة من أهم الطرق التجارية كان يجرى من الخليج العربى إلى الدجلة إلى سلوقية . ومن ثم إلى دوراأيوروبا . ثم يتجه بعد ذلك إلى المدن التجارية السورية . ولم تبدأ الملاحة على بحر قزوين والبحر الأسود تتطور إلا إبان العصر الرومانى ، وكانت بارثيا تدافع عن سيطرتها على الطرق التجارية فى أواسط آسيا وكانت الحرب مع الرومان الذى استمر قرونا ، سببها الأساسى محاولة الرومان إنتزاع هذا الاحتكار . والطريق الذى تتبعه هذه الطرق التجارية كان معروفا تماماً إبان القرنين الثانى والأول قبل الميلاد ، فهى تجرى عبر تركستان الصينية حتى مرو ثم تمر عبر هكاتومبيلا (دمغان الحديثه) لتصل إلى سلوقية واكباتانا (همذان الحديثة) وفى بلاد الرافدين كانت توجد تجارة نشطة

عبر طريق آخر يجرى شمال سلوقية ويربط الحضرة مع نصيبين وزغمة Zeugma . ومما يوضح مدى هذا النشاط التجارى وجود الحرير فى سوريا ومصر ، وتدفق المنسوجات السورية إلى بلاد المغول ، والعثور على نقود باسم متردات الثانى فى باكستان .

والرحالة الصينى ، شايخ تشين الذى أرسله إمبراطور الهان المدعو ووتى فى حوالى ١٢٨ ق . ليعقد حلفا مع يويه — تشى (ساكا) ضد عدوهم المشترك ، الهون ، أدخل إلى الصين النبيذ (صينى (بو — داو ، وحسب لاوفر ، من الفارسى الوسيط بادك بالفارسى الحديث باد badè = خمرا .

ونصنص أرجــوانى muk-suk < mu-su من اصطلاح فارسى غير معروف ، والرومان كان يعرف فى الصين باسم الفاكهة الفارثية .

an – shih – liu – : anshih

وكانت تنطق قديما an – sheh من arshak الأسرة أرشكية .
وبالعكس الخوخ والمشمش أدخلت إلى إيران من الصين ثم انتقلت إلى الغرب ، كما يوضح ذلك الاتى Lat. persicum and Prunus Armeniaca

وإلى جانب الحرير كان للبارثيين تقدير كبير لنوع خاص من الصلب الصينى . ويعرف باسم صلب مرو حتى فى خارج إيران الذى يوضح مدى أهمية مرو على طريق الحرير . وكانت تستورد النعام من بابل إلى الصين حيث يعرف باسم « الطائر البارثى » .

ولعبت مدن بلاد الرافدين دورا كبيرا فى هذه التجارة فمن ناحية ، كان الطريق من برسيبوليس عبر كارمانيا إلى سيستان يربط إيران بالهند بينما الطريق البحرى عبر الخليج العربى يربط الفرات مباشرة بالسند . ومدينة بابل كانت لاتزال تحتفظ بأهميتها كمركز دولى ذى لغات متعددة للتجارة

والحضارة . أضف إلى ذلك ، فإن اغرقة المدينة جعلت الإغريق يتعلمون اللغة البابلية ثم الآرامية ، بينما تعلم الأهالى المحليون الإغريقية وقد بقيت الإغريقية مستعملة على النقود حتى عصر فولوجاش الأول (٥١ — ٧٧ م) . والألواح الطينية استعيض عنها بالرق (وبالبردى) ؛ واستبدل الخط السماوى الصعب ، بالأبجدية الآرامية .

أما الفلك ونظام التأريخ وهما من أصل بابلى ، فقد استمر فى التطور ويعتقد أن الصينيين قد أخذوا أبراجهم عن البابليين ، بينما وضع الأغريق النظريات الرياضية معتمدين جزئيا على العلم البابلى . وخلال الفترة السلوقية البارثية تطورت اللغة الفارسية من صورتها القديمة إلى أخرى قريبة من صورتها فى العصور الوسطى مع الفقدان التام للتصريف . ومعلوماتنا عن الصورة البارثية (أو بهلوية) من الفارسى الوسيط قاصرة عن بضع نقوش وبعض متون مانوية عثر عليها فى بداية هذا القرن فى تورفان Turfan ومؤرخة بعد سقوط المملكة البارثية . وقد عثر منذ ١٩٤٨ على أكثر من ألفين أوستراكا فى العاصمة البارثية القديمة نيسا Nysa (فى تركمنستان السوفيتية الحديثة) ويجرى الآن دراستها بمعرفة العلماء الروس . ويبدو أنها مؤرخة من القرن الأول قبل الميلاد ، ومكتوبة بالخط الآرامى (وحتى الآن ليس مؤكدا إذا كانت آرامية محتوية على كلمات بارثية مستعارة أو بارثية مكتوبة بايديوجرامات آرامية) . وهذا الخط قد أدهش شانج تشين الذى لاحظ أنها تجرى من اليمين إلى الشمال . وقد أدى التأثير الآرامى القوى إبان العصر البارثى والذى استمر أيضا فى عهد الساسانيين ، إلى ظهور نوع غريب من الكتابة كانت فيه كثير من الكلمات تكتب بالأيديوجرامات الآرامية وتنطق بالفاسية . ويبد أن السبب فى هذا أن معظم النبلاء البارثيين

كانوا أميين وكانت الكتابة متروكة لكتاب من الآراميين ، الذين كانوا ينظرون إلى المتن الآرامي ويقرأونه بصوت عالى بالترجمة البارثية .



شكل ٤٦ الحضرة . قصر بارثى .

لم يصل إلينا من الفن البارثى إلا قليل . ولم يبق إلا بعض أطلال معمارية قليلة ، منها قصر فى الحضرة (شكل ٤٦) وآخر فى أشور (شكل ٤٧) وتوابيت ونقوش التى تعكس المنتقى وتبشر ملامح عديدة من هذا العصر بالأسلوب الساسانى . والانتقاء يوجد فى الدين أيضا فجمع آلهة مدن بلاد الرافدين أبان هذه الفترة لم يشتمل فقط على المعبودات المحلية القديمة بل أيضا على آلهة أغريقية ومصرية ، وكان الملوك البارثيون من أتباع مزدك ، ولكن مذهبهم المزدكى تضمن ملامح عديدة من العبادات المحلية والأجنبية الأخرى ، بينما كانت فارس ، مهد الاسرة الساسانية ، تحتفظ بصورة أنقى .

وفى عهد فولجاش الأول كانت هناك محاولة نحو أحياء الإيرانية ، وأبان هذه الفترة إنتشرت بعض المعبودات الإيرانية وأشكال من العبادات الإيرانية خارج الحدود حتى إلى بنطس Pontus كوما جنى (قومس)، فيليقية وأرمينية . وفى هيرابوليس Hierapolis ومبهج Membij ودورا — يوروبا ، كانت توجد معابد مكرسة إلى اتارجاتيس Atargatis « أم الآلهة » وهى معبودة آرامية قديمة ، وفى دورا كانت تعبد الآلهة ، وناناىا وارتميس . وفى الوركاء ، فى قلب بارثيا ، كان يوجد معبد للاله البابلى أبو ، بينما فى اكباتانا وتدمر وكبدوكيا ، كان يعبد « بعل » إله الرافدين . وإبان القرن الأول الميلادى ، بدأ إله إيران ميترا يجد أتباعا له فى الغرب نتيجة لحملات بومبى فى الشرق الأوسط .



شكل ٤٧ أشور . قصر بارثى .

ووجود عدد كبير من الآلهة والعبادات المختلفة كان أحد نتائج أختلاط وإمتزج الإيرانيين والبابليين والسوريين واليونانيين . وكانت بلاد الرافدين على الأخص هى مركز هذا التوفيق بين العبادات المختلفة . ومع مجىء المسيحية التى حدثت أبان العصر البارثى ، أدخلت أيضا ملامح مسيحية. ومن المستحيل التقليل من أهميه بوتقة إنصهار الحضارات فى تاريخ القرون التالية .

الفن البـــارثى

بعد إستيلاء الأسكندر على كل بلاد الإمبراطورية الفارسية حدثت ثورة فى الفن الفارسى .

فالآراء الإغريقية عن المساحة والمنظور وكيفية استعمال الأقمشة والسمات وغير ذلك من الحيل التى توحى بالحركة أو تعبر عن الإنفعالات المختلفة ، مع التمسك بالتوازن والتماثل ، والتحفظ والنسب ، كل هذا قضى على الفن الفارسى البالى والمنتصرون الجدد وقد بقى منهم الأسرة السلوقية المقدونية الأصل لحكم فارسى ، استغنت عن الفن الشرقى القديم واستبدلته بصيغ هيللينيستية التى استبقت بعض السمات الشرقية . وعندما نجح البارثيون وهم عنصرا جديدا فى استعادة الإمبراطورية الشرقية على بلاد الرافدين حتى نهر الفرات كان هناك رد فعل سريع للعودة إلى التقاليد الشرقية للفن، ولكن هذا الفن البارثى لم يدرس حتى الآن دراسة وافية وعلى العموم فمنذ القرن الميلاد الأول كان الفن البارثى حقيقة واقعة . صور أشخاص جامدة ، مثقلة بالجوهرات ، تلبس الرداء الإيرانى وتواجه المشاهدين وهذه الوسيلة قد استعملت فى فن بلاد الرافدين فى العصور السابقة للأشخاص ذوى المراكز الممتازة ولكن البارثيون طبقوا هذه القاعدة عامة على كل صور الأشخاص تقريبا ، ومنهم انتقلت إلى الفن البيزنطى . ومن الأشياء المعروفة من هذا الفن رأس جميل من البرونز (من شامى) وبعض نقوش بارزة متدهورة (مثلا تانج سرواك وبهيستون) ولكن أشغال الخزف والبرونز تبين مقدرة فنية فى تصوير الحيوان . ويتميز القيشانى المزجج بطلاء رصاص مزرق أو مخضر بديع موسوم على أشكال من وحى الهللينيستية .

كما ظهر فى هذا العصر حلى مزخرفة مرصعة بالأحجار وجواهر مشغولة بالمينا . والأشكال الفنية البارثية مرحلة إنتقالية هامة إذ هى من ناحية تؤدى إلى الفن البيزنطى ، ومن ناحية أخرى نحو فنون تدمر والساسان والهند .

وقد نشرت جريدة الأهرام فى ١٢ يوليو ١٩٨١ أن بعثة آثار سوفيتية أفغانية مشتركة تمكنت من كشف كنز أثرى يضم ٢٠ ألف قطعة أثرية من الذهب والجوهرات على جبلى تيلياتيب الواقع فى شرق أفغانستان بالقرب من مدينة شيبرجان يرجع تاريخها إلى القرن الأول الميلادى أى إلى الفترة البارثية ، ولعل هذا الكنز يمدنا بمعلومات قيمة عن حضارة هذا العصر .

الفرس

الساسانيون

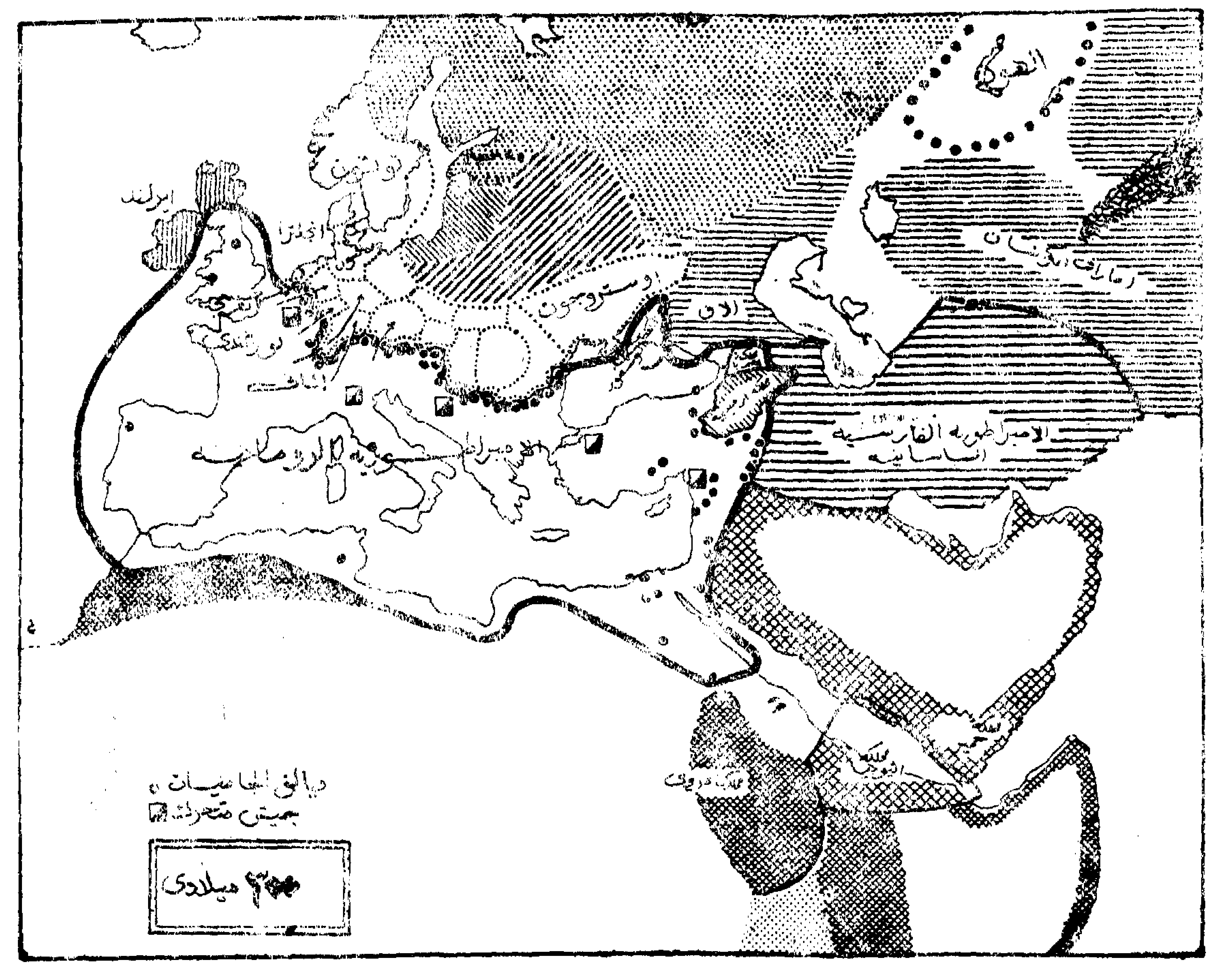
التاريخ السياسى

نشأة الدولة :

كان ساسان الذى يعتبر جد الأسرة الساسانية ، حسب التواتر ، كاهنا فى معبد الآلهة أناهيتا (أناهيذ) ، آلهة الخصب وأصلها من بلاد الرافدين ثم دخلت منذ زمن بعيد البنثيون المزدى ، فى أصطخر (برسيبوليس) . ثم فى تلك الوظيفة خلفه أبنه بابك الذى تزوج أبنة حاكم الأقاليم ثم ثـار عليه وأغتصب منه السلطان . ولذا أعتبرته الروايات المتأخرة مؤسس الأسرة الساسانية الفعلى ، إذ يعتبر تولية لمنصبه الجديد بداية عهد جديد فى تاريخ إيران (٢٥٨م) . وكان الملك البرثى فى ذلك الوقت هو أرطبان الخامس الذى رفض الأعتراف بما حدث كما رفض الاعتراف بتنصيب أبنه . ولـكن بعد موت بابك ، وبعد موت أبنه شابور أعلن الابن الثانى لبابك ، المدعو أردشير ، أعلن نفسه ملـكا على فارس ، وقتل أخوته وأخضع جميع أمراء الفرس[1] ووسع سلطانه فشمل أصفهان وكرمان وأمر ببناء قصر ومعبد فارفى كور (فيروز أباد) ، ونصب أبنا له يدعى أردشير أيضاً حاكما على كرمان . وخشى الملك الفرثى من تزايد نفوذ أردشير وأعلن عليه الحرب وأمر ملك عيلام (الاهواز) بمحاربته ولـكنه هزم هزيمة ساحقة . ثم بدأ أردشير الهجوم على الملك البرثى وهزمه فى ثلاثه معارك متتالية ، كان آخرها

---

(١) يتبين هذه القصة ، أى قتل الملك لأخوته مدى قسوة الفرس وحبهم للمال والسلطان على حساب دم إخوتهم وآبائهم وأهلهم وشعوبهم . وقد تكررت هذه القصة مرارا فى تاريخ إيران .



خريطة ٤٨ : إمبراطورية الفرس الساسان

فى بلاد السوس ٢٢٤ م حين قتل الملك البرثى ، ووطىء أردشير بقدمه رأس الملك الأعظم .

أردشير (من أرتخشتر من الفارسى القديم إرتخشاتراً = أرتكسركسيس) فتح بابلى ثم دخل طيسفون منتصراً . تم عقد تتويجه بعد ذلك فى ٢٢٦ إتخذ لنفسه لقب شهنشاه،وفى نقش مشهور على صخرة نقش رستم بالقرب من برسبوليس صور اردشير ممتطيا جواده يتسلم شارات الملك من أهورامازدا. وقد صور اردشير يطء تحت قدميه الملك "فرثى أرطبان، بيما أهورامازدايطىء بقدميه أهريمان مصدر الشر • ومن المحتمل أن الحفل قدتم فى أصطخر القريبة من هذا المكان • حيث كان سلفه ساسان يعمل كاهنا للمعبد (أناهيتا) . وحسب التواتر تروج أردشير قريبة لأرطبان ، من المحتمل أنها أبقته ليدعم مركزه • ثم بدأ يعيد بناء الإمبراطورية القديمة ، مخضعا المقاطعات المختلفة الواحدة تلو الأخرى . فقد واجه أردشير بعد ذلك حلفا قويا كان على رأسه ملك أرمينية خسرو الأول وهو من البيت الفرثى الذى أستعان بروما والتى رأت فرصة أيضا للقضاء على هذه القوة الجديدة . ومما أنضم إلى الحلف أيضا ملك الكوشان والاسكيذيون ، ولكن أردشير نجح فى سلسلة من المعارك فى تحطيم هذا الاتحاد ورشى بعض المتحالفين للانسحاب من الحرب وخاصة عندما شعروا برجحان كفة أردشير . فلم يبق ألا ملك أرمينية يحارب بمفرده لمدة عشرة سنوات حتى هزم وقتل • ومن ثم أصبح أردشير ملكا على إمبراطورية واسعة تمتد من الفرات إلى مرو / و / هراة / و / سيستان وعمل أردشير على تقوية الإمبراطورية وأصطدام بروما وأحرز عليهم سلسلة من الانتصارات وأستولى على حصينن مهمين هما نصيبين وحران ، وقد غزا أيضا بلاد الهند وفرض الجزية على البنجاب [ثاثا كوش] .

وعند موت أردشير ٢٤٠ م . كانت الإمبراطورية الفارسية قد أستعادت جميع المناطق التى كانت تحت حكم الفرس الأخميفيين ، باستثناء مصر وسوريا وآسيا الصغرى التى لم تستطيع أستعادتهم أطلاقا : وحلت أصطخر محل برسبوليس كمركز روحى . وفى نظر الفرس الساسانيين كانت فترة العظمة الأخمينية تبدو كعصر ذهبى أسطورى ، عن أن تكون حقيقة تاريخية . وفتوحات الاسكندر وما تلى ذلك من وقوع الفرس تحت تأثيرات الحضارة الهيلينية أدى إلى حدوث أنشقاق حاسم مع الماضى ، كما هو واضح من أن الفرس الساسانيين كانوا لا يعرفون إلا معلومات ضئيلة عن الأخمينيين وفى الواقع ليس مبالغة فى القول من أن أعادة تاريخ الفرس والأخميفيين وتقويمه كان من عمل علماء الآثار الغربيين . وكانت لاتزال توجد آثار من الهيلينية فمثلا : النقش فوق ظهر جواد الملك على نقش رستم مدونة بثلاث لغات . اليونانية (أوهرمزد — الصورة التى أعطاها الميديون والفرس إلى أهورامازد — ترجم باليونانية إلى زيوس) ، والفرثية والبارشيك Parsik (أحيانا يطلق عليها « أرشك » أرساسيد Arsacid أو بهلوى ساسانى . والبارشك الساسانى أخذ كثيرا عن الفرثية ، وهذه الأستعارات لا تزال موجودة فى الفارسى الحديث) .

بنى أردشير أو أعاد بناء عدد من المدن كلها تحمل أسمه [مثال ذلك أردشير خسره = فيروزآباد الحالية] و / وبه أردشير / « خير أردشير » / وهى سلوقية الحديثة التى حلت محل المدينة التى دمرها الرومان فى ١٦٥ م . نف أردشير ، و «رام أردشير إلخ . صارت فارس مره أخرى قلب الامبراطورية ، وسلوقية — طيسفون العاصمة الإدارية . وسرعان ما صار اردشير نوعا من

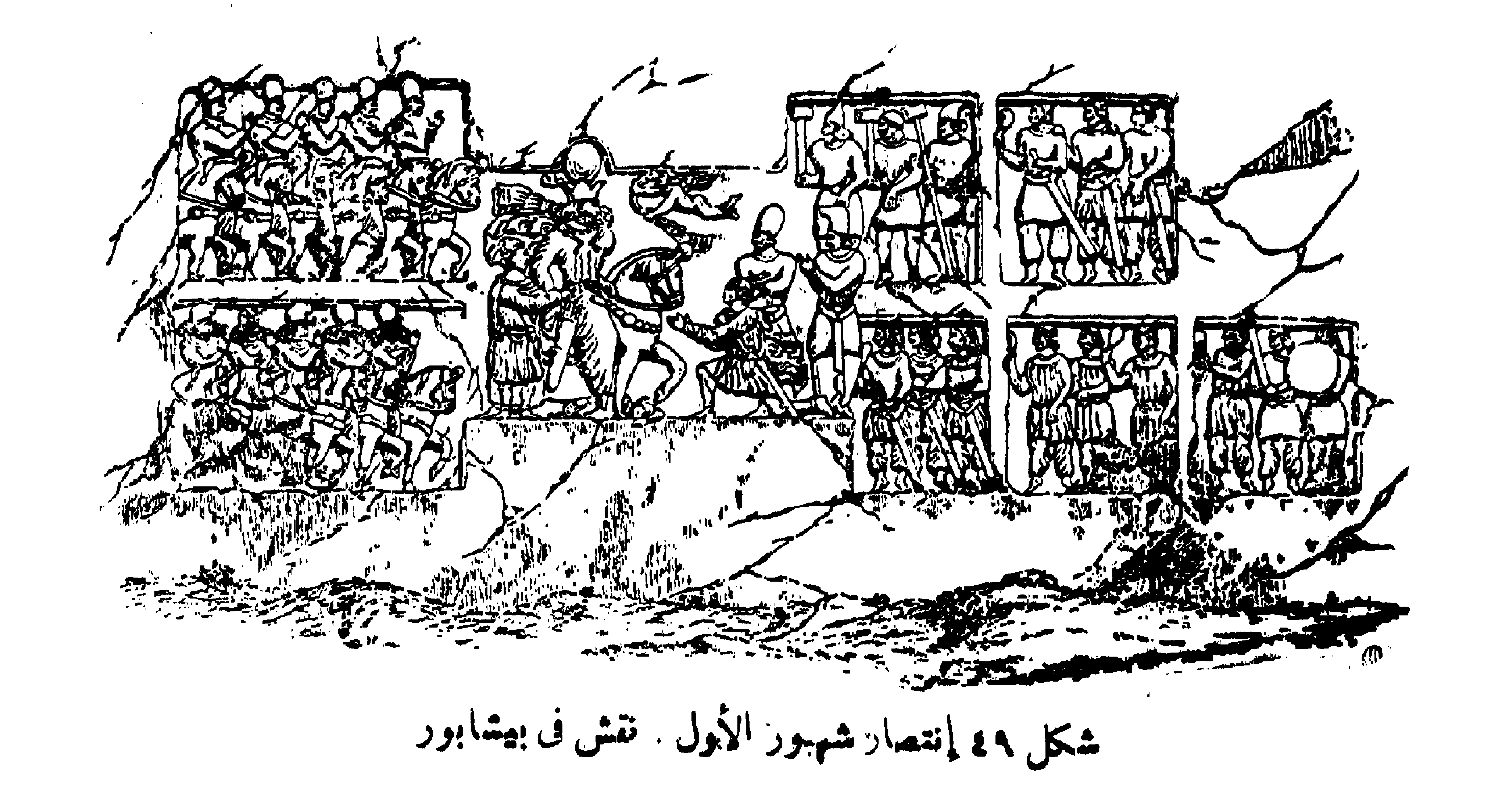
الأسطورة وفى الواقع الأسطورة البهلوية تنسب إلى أردشير ، بن بابك ، صفات قورش بل وحتى الآله مردوك البابلى قاتل الوحوش والتنين .

بالإضافة إلى ما قام به أردشير من أعادة توحيد الدولة الأشكانية المنحلة وأعادة تنظيم الإمبراطورية فى دولة مركزية يؤيدها الكهنة . وقد بقيت على نفس النظام حتى نهاية العصر الساسانى وقد بعثت الزراد شتية وأعيدت أمتيازات الماجى (المجوس) . وجمعت نصوص الزندا أفستا (أوستا) بمعرفة ارد أفيراف .

شابور :

حكم أردشير خمسين سنة هزم فيها أعدائه ونجح فى إقامة إمبراطورية واسعة وأشرك أبنه فى الحكم وترك له العرش قبل موته ببضع سنين . ورث شابور دولة قوية ولكن قائمة على نظام أقطاعى من عهد الفرثيين وهو أن كان قد بقى على هذا النظام إلا أنه قوى فيه السلطة المركزية ، كما أعتمد على جيش نظامى حسن التدريب .

وجه شابور منذ البداية مهمته إلى الشئون الخارجية وخاصة فى الجبهة الشرقية والجبهة الغربية . وكان أهم خطر فى الجبهة الشرقية هى مملكة الكوشان التى تأسست منذ القرن الأول الميلادى [فى العهد البرثى]وكانت خطرا على الإمبراطورية من الخلف ، فوجه شابور جيوشه إليها وقضى عليها وخلد أخبار أنتصاره فى الكتابات المنقوشة على جدران معبد نقش رستم . وقد أستولى شابور على بيشوار عاصمة الكوشان الشتوية ، وأستولى على وادى السند ثم زحف شمالا وعبر هندكوش وأستولى على بلاد باكتريا



شكل ٤٩ إنتصار شهبور الأول . نقش فى بيشابور

[البخت] ، وعبر سيحون ودخل سمرقند وطشقند وخلع الملك الكوشانى وعين مكانه واليا جديدا يكون تابعا له .

حول شابور جهوده إلى الجبهة الغربية ، وكان الحظ حليفه فى الغرب فزحف على سوريا وتوغل فيها حتى أنطاكية . ولكن لاقى بعض الهزائم ولكن الامبراطور الرومانى جورديان Gordian أغتيل وأسرع خليفته فيليب العربى إلى طلب الصلح ودفع جزية كبيرة إلى فارس وتخلى عن بلاد ما بين النهرين وأرمينية) ٢٤٤ م) . وبعد ١٥ سنة تجددت الحرب مرة ثانية مع روما كان النصر فيها حليف شهبور فاستولى على بعض المدن السورية ومنها إنطاكية وفى معركة كبيرة قرب الرها (أديسا) وقع الامبراطور الرومانى فالريان (٢٦٥ — ٢٦٦م) فى الأسر ومعه زهاء ٧٠٫٠٠٠ جندى ، وقد نقل الأسرى إلى معسكرات فى خوزستان وأسكنوا فى جندا سابور ، وهى مدينة أسسها شهبور فى سوسيانا وفى شوشتار . وقد سجل شهبور أنتصاره على فاليريان (شكل ٤٩) على كثير من النقوش أشهرها على الحائط التاريخى المعروف باسم نقش رستم . ويرى فاليريان راكعا أمام حصان شهبور طالبا الرحمة ، وعومل الإمبراطور الرومانى بكل قسوة . وقد أستفادت الامبراطورية الفارسية من هؤلاء الأسرى إذا كان بينهم معماريون ومهندسون فاشتغلوا فى إنشاء الطرق والجسور والكبارى وغنم شابور غنائم وأسلاب وفيرة . ولكن أثناء عودته وعند مروره بالقرب من تدمر Palmyra أرسل إليه ملكها أذينة هدايا فرفضها وطلب خضوعه وسجوده له ، ولكن أذينه هاجمه بجيش قوى ٢٦٥ م . فاوقع الرعب فى الجيش الفارسى وحدثت الفوضى ، وأستولى أذينة على جزء من الغنائم الكبيرة وهزم شابور وحاصر المدائن وأحتل ما بين النهرين وسوريا ومقاطعات أخرى إلى الغرب من

الفرات ولما بلغ الرومان ما فعله أذينه قربوه إليهم وعينه الإمبراطور جالينوس (حاكم المشرق). وقد ورثت زوجته هذا اللقب وزوجته هي الملكة زنوبيا (أو الزباء أو زينب) وكانت ملكة قوية نابغة تحسن اللاتينية والإغريقية والمصرية والسورية وتجيد الصيد والفروسيه، وقد استطاعت أن تبسط سلطانها على جزء كبير من آسيا الصغرى حيث هزمت الجيش الرومانى ٢٧٠ م ، واستولت فى العام نفسه على الاسكندرية ، وتوجت ابنها الصغير ملكا على مصر — ثم أخذت تحارب الفرس (شابور) ووصلت إلى أبواب العاصمة طيسفون أكثر من مرة . عندئذ خشى الرومان من قوتها وقرر الإمبراطور أورليان القضاء عليها فهزم جيوشها فى معارك متتالية حتى حاصر أخيراً تدمر واستولى عليها ٢٧٢م. وحاولت الملكة الهرب ولكنها أخذت أسيرة مصفدة بسلاسل من الذهب لتسير أمام عربة الإمبراطور عند دخوله منتصرا فى شوارع روما ولا يعرف مصيرها . وخربت المدينة بعد ذلك ونهبت كنوزها ودمر معبد الشمس وانتهت مملكة تدمر .

خصص شابور سنوات حكمه الأخيرة للأعمال العامة ومن أهمها سد شستر ، كما أعاد تنظيم الإمبراطورية .

كما أنشأ كثيرا من المدن منها (نه شابور) أى « شهبور الخير » وهى نيسابور . اهتم شابور بالعلوم فأمر بترجمة الكثير من الكتب الإغريقية والهندية عن موضوعات مختلفة مثل الطب والفلك والفلسفة .

ظهر فى عهده مانى (٢١٥ — ٢٧٣) منشىء للمذهب المعروفة باسمه ، وقد رعاه شهبور أولا .

وبصفته صانع لإمبراطورية عظيمة فقد اهتم بمانى ، وبسط حمايته على هـذا الشخص الذى يحاول تأسيس دين عالمى ، وكانت آراءه مستقاه من الزرادشتية والبوذية والمسيحية وقد وجد له أنصار فى غرب آسيا من بين اتباع هذه الديانات الـكبرى ومن المحتمل أن شابور كانت له نزعة سياسية من وراء رعاية مانى وتشجيع نشر مبادئه . ومهما كانت حقيقة ذلك، إلا أن خليفته عكس هذه السياسة فبعد موته بفترة قصيرة فى ١٧٢ م أضهد مانى ثم قتل فى عهد بهرام الأول الذى كان واقعا بالتأكيد تحت تأثير الـكهان المزدكية .

ربما كان شاهبور الأول هو أول حاكم لإيران المانوية Manichaean. كان والد مانى من أصل إيرانى وينتمى إلى طبقة أرشاكية صغيرة من النبلاء الذين هاجروا من ميديا واستقروا فى بابل وكان أبوه باتك Patek قد أنضم إلى جمعية ممعدانية،وهى واحدة من الجمعيات الـكثيرة التى نبتت فى بابل إبان العصر البابلى ، وقد نشأ مانى بين تعاليم تلك الجمعية الدينية ، وقد درس أيضا المسيحية والمزدكية ، وتعاليم البردعية Bardaisan ومار كيون المرقيون Marcion ، ومن المحتمل أيضا البوذية وكشف له ملاك ، يسميه مانى « الرفيق » أو « التوأم » عن الحقائق المقدسة ، وأدعى أنه الأخير من سلسلة الأنبياء الذين أسسوا الدين . وهذه السلسلة تشمل بوذا ، زرادشت ، وعيسى عليه السلام ، وهم يمثلون الهند وفارس والغرب . وعلى العموم فقد جاء مانى « من بلاد بابل ليرفع صيحة مدوية عبر العالم أجمع. ومن المستحيل فحص محتويات هذه الصيحة بالتفصيل الدقيق . وهى تعتمد فى أساساها على عقيدة العارفين بالله gnostic والتى فى صلبها متشائمة فالأرواح الإنسانية التى تأتى من عالم الضوء مسجونة فى عالم المادة الـكرية الذى هو من عمل الشيطان

(هذا من أرسطو ؟) . فالولادة والحياة المادية والطبيعية والموت ، والزواج كله هذه من عمل الشيطان والنصوص المانوية ، المليئة بالخرافات الدينية والخلاص مكتوبة بلغات عديدة .

وكان ماني نفسه يكتب عادة بالآرامية (وليس بالفارسية) ، ولكن أتباع المذهب المانوى شجعوا على الترجمة ، إذ كانوا يجيدون فن الترجمة . وهذه قد ساعدتنا على تفهم عدد من اللغات الآسيوية التى كانت ستبقى غير معلومة .

وقد أثرت المسيحية تأثيرا قويا فى هذا الخليط من الأفكار الدينية ، فبينما البوذية أمدته بفكرة التناسخ ورغم أن الكوزمولوجيا cosmology واللاهوت المانوى شديد التعقيد إلا أن الشعائر كانت مبسطة وكان يصاحبها تراتيل وأغان . وبينما الكتب المانوية كانت دائما توضح برسومات صغيرة بهيجة . وليس من الصعب تفسير النجاح البدنى لتعاليم مانى ، ولا الاضطهاد الشديد الذى عاناه مانى وأتباعه ، إذ يبدو أن مانى قد بدأ التبشير إبان حكم أردشير ، ووجد صدى لدى ولى العهد ، وكذلك نجح فى تغيير دين اثنين من إخوة الملك وقد قابل الملك شابور نفسه مانى الذى ترك انطباعا طيبا فى نفسه . ويقول مانى فى كتابه Kephalaia « لقد حضرت أمام الملك شهبور ، وقد قابلنى باحترامات كثيرة ، وقد منحنى حرية السفر فى جميع أنحاء المملكة لأبشر بكلمة الحياة . لقد قضيت سنوات . . . فى معيته سنوات عديدة فى إيران ، بلاد البارثيين حتى أديب والأقاليم التى تحد الإمبراطورية الإيرانية » . وواحد من كتب مانى فى الفارسية أخذ عنوانه من شهبورجان ، من اسم الملك وحسب أحد الروايات ، فى وقت ما سحب شهبور تأييده له ، وحسب رواية أخرى ، حتى بعد وفاة شهبور فى ٢٧٢ ،

استعمر مانى يلقى معاملة طيبة من إبنه وخليفته هرمزد الأول (٢٧٢ — ٢٧٣) وفى الواقع أن أخو هرمزد الأول وخليفته بهرام الأول (٢٧٣ — ٢٧٦) هو الذى سمح بأن يقع مانى فى أيدى المجوس الذين قتلوه بعد أن عذبوه طويلا (وثمة روايات عديدة خاصة بـ « شهوة مانى » التى كان يحتفل بها أتباعه فى عيد باما Bema أو tribune و(العرش الخالى) يدل على الوجود الروحى للمؤسس) ومعظم أعمال مانى العديدة ، التى اختفى جزء كبير منها ، كانت مكتوبة بالآرامية ، وشابورغان والشهبوراجان بالفارسية توسطى والكفلايا التى يوجد منها جزء كبير باللغة القبطية المترجمة عن الترجمة اليونانية ، يحتوى على تعاليم المعلم master التى جمعت بعد وفاته . ويوجد أيضا عدد من رسائل مانى ، بعض منها معروف من الترجمة القبطية كانت مرسلة إلى المجتمعات المانوية فى طيسفون وبابل وميسين Mesene والرها وسوسة وأرمينية والهند وغيرها من الأماكن التى تدل على مدى اتساع المذهب المانوى خلال حياة المؤسس . وقد انتشرت المانوية فى جميع أنحاء إيران فى الفترة من القرن الثالث حتى القرن الثانى عشر ، وهو تاريخ إختفائها التام ، وكان يمكن العثور على المذهب المانوى فى كل أنحاء العالم المتمدن . وقد ظهرت دول تدين بالمانوية بين أتراك آسيا الوسطى وكان يوجد أتباع كثيرين لمانى فى الهند والصين .

ومن وجهة نظر المزدكية ، فالمذهب المانوى — المانوية — كانت بدعة تماما ، ويبدو أن هذه كانت وجهة نظر الديانات الأخرى التى احتكت بها ، ولم تتردد هذه الأديان فى التضافر للقضاء عليها . (فالمسيحيون المضطهدون فى إيران أنضموا مع مضطهديهم ضد هذا الكافر . وبعد الفتح الإسلامى ، تعاون المسلمون والزردشتيون فى القضاء على المانوية ، والكلمة

الألمانية Ketzer ، أى كافر ، مشتقة من Cather عضو جماعة دينية ذات إتجاهات مانوية فى العصور الوسطى إلخ) .

والسبب فى هذه الشدة للتناهية من جانب الطبقة الحاكمة فى ذلك العصر واضح : التشاؤم العام ، أفكار خير العالم وكل ملموس ومشاهد موجود كل ما يعيش مشاهد .

والقول بأن الشيطان وليس الله هو الذى خلق هذا العالم المرئى الشرير يعتبر كفراً . وإذا تذكر المرء النقش الصخرى لأردشير فى نقش رستم ، الذى يصور الملك مماثل تماما لأهورامزدا — الإله الخالق ، كل يطأ بأقدامه المنافس غير الشرعى المقهور (فأعداء الملك قد سووا بالشيطان) ، فمن الطبيعى تماما أن توحيد الشيطان مع الخالق فى المذهب المانوى — رغم صداقة مانى الأولية مع كبار رجال الطبقة الأرستقراطية بل أيضا مع الملك نفسه — وربما يمكن تفسيرها ببساطة عند عامة الناس كعلاقة للقوة ورمز لقلب السلطان . ويجب أن يعى المرء أيضا عنصر الفردية فى تعاليم مانى . فاسطورة مانى هى ترتيل طويل يمكن أن يحقق للشخص الخلاص من شرور هذا العالم ، وأن الفرد بما له من كيان شخصى قد تجاهلته النظم الدكتاتورية .

أضف إلى ذلك أيضاً جاذبية مانى نفسه الذى صار يحل محل الملك والكهان فى التقديس الشعبى ، وأحتمال ظهور بعض الاتجاهات فى ديانة الشعب الفارسى التى لا نعلم عنها إلا القليل ، فسرعان ما يدرك المرء أنه كان من المستحيل ألا تحارب الطبقة الاستقراطية المذهب المانوى . وقبول شهبور مبدئيا لمانى وربما تبعه فى ذلك هرمزد أيضا ، يمكن تفسيره على أنه بداية الغيرة وأختلاف فى الاهتمامات بين العرش وبين المذبح ، وبين

طبقة المحاربين الملكيين وبين طبقة الكهنوت، وقد كسب الكهان وقد كانوا دائماً يكسبون حتى عصر الفتح العربى. ومن الجدير بالملاحظة أنه حينما سمح للمانوية للتطور بحرية أو أن تصبح دين الدولة، فمن العجيب حقاً أنه رغم من التشاءمية المتضمنة فى عقيدتها، تزدهر الفنون والشعر واللغات الوطنية. (والمانوية، مثل المسيحية، ليس لها لغة مقدسة) ورغم عقيدة العالم الثانى المطلق، الذى قد قضى ببساطة على كل نوع من الأحتجاج — فان المانوية تبدو من الناحية الاجتماعية تمثل واحدة من المحاولات الأولى للتغلب على الطغاة من حكام إيران الأوائل، وعلى العموم كانت محاولة سابقة لأوانها، ولم تنجح ألا بعد وصول الاسلام.

خلف شابور أبناه هرمز الأول ٢٧١ م ثم وهران الأول الذى أعدم مانى (٢٧٢ — ٢٧٥ م) وفى عهد بهرام الثانى (أبن الأول ٢٧٦ - ٢٩٣) حدثت حرب جديدة مع روما وفى نفس الوقت شبت ثورة فى المقاطعات الشرقية للامبراطورية. إذ حاول أخو الملك الذى يشغل منصب نائب الملك فى سجستان حاول الأستيلاء على العرش بتشجيع ملك الكوشان الذين كانوا يحاولون الأستقلال. وتحت هذا الخطر الشرقى، أضطر بهرام الثانى إلى التخلى لروما عن شمال بلاد الرافدين وأرمينيا وعقد معاهدة صلح معهم وبذلك نجح فى أخماد ثورة أخيه وأخضاع سجستان

عزل بهرام الثالث بعد بضع أشهر وتولى مكانه نرسى بن شابور الأول. ولكن لم يكن موفقاً فى حربه مع روما. فقد أنتهت بكارثة ووقع بيته فى أيدى الرومان. وأضطر نرسى أن يتنازل عن مقاطعة أرمينية لصغرى والمقاطعات شرقى الدجلة. واستمر هذا السلام بين إيران وروما ما يقرب من أربعين سنة ولم تكن إيران قادرة على مقاومة صحوة الكوشان بقوة السلاح، ولكن

هرمزد الثاني ابن وخليفة نرسي (٣٠٣ – ٣٠٩ م) تزوج أميرة الكوشان .

وبعد وفاة هرمزد الثاني الذي لم يكن له نشاط يستحق الذكر آل العرش إلى شابور الثاني (٣٠٩ – ٣٧٩ م) الذي استمر سبعين عاما وهو يلقب أيضا بشابور العظيم . وقد كان طفلا عند إرتقائه العرش ، وبعد أن بلغ السن الشباب أظهر نشاطا واسعا فقد حاول الكوشان استعادة سلطانهم وتوسيع مملكتهم ، فقضى عليهم وحول مملكتهم إلى ولاية تابعة لإيران يحكمها امراء من الساسان كان مقرهم في بلخ . وتبع هذا الانتصار السياسي انتصار ثقافي وأمتدت تأثير نفوذ الفن والثقافة الفارسية إلى تركستان الصينية وإلى داخل الصين نفسها .

وبدأ شابور الثاني في إستعادة المناطق الغربية من الإمبراطورية وأحرز انتصارات في المعارك الأولى ، ولكن نجح الإمبراطور جوليان في غزوه بلاد فارس وأستولى عنوة على الدجلة وهزم الفرس في شمال المدائن وكاد جوليان أن يحاصر طيسفون (المدائن) ، ولكن جرح في معركة قرب سامراء ٣٦٣ م . مات على أثره . وأرتد جيشه متقهقرا . واستمرت الحرب سجالا بين الرومان (روما أو بيزنطية) والفرس الساسانيين طوال تاريخهم الطويل وخاصة أن المملكة الأرمينية التي صارت مسيحية كانت تعاون الإمبراطورية الرومانية المسيحية . ولكن نظراً لإتساع الإمبراطورية الرومانية الضخمة وضخامة حدودها التي كانت تمتد من غرب أوروبا حتى أواسط آسيا ، وتهديدها المستمر من قبل القبائل الجرمانية والقبائل البربرية المختلفة ، لم يستطع دائما الأباطرة الرومان التفرغ للقضاء على الإمبراطورية الفارسية التي كانت تقع بالنسبة إليهم في أقصى الشرق من الإمبراطورية

الرومانية وتمتد داخل أواسط آسيا التى كان يفصلها عنهم مناطق جبلية وعرة مما لا يساعد على سرعة تحرك الجيوش بل تجعلها باستمرار عرضة للمفاجئات ، ولذلك استمرت هذه الحروب دون نتيجة حاسمة وكانت تنتهى هذه الحروب بعقد معاهدة لا تلبث أن تنقض . وقد استمرت هذه الحروب منذ عصر شابور الثانى وشابور الثالث وبهرام الخامس ويزد جرد الثانى وقباد وأنوشروان وهرمز الرابع وكسرى الثانى (كسرى برويز) أى حتى انتهت الإمبراطورية الفارسية تقريبا .

وبعد موت شابور الثانى ٣٧٩ م . استمرت فترة ضعف فى حياة الدولة الساسانية تقريبا إلى عهد قباد الأول ٤٨٨ — ٥٣١ م عمت فيها الفوضى من جراء التنازع على العرش ومن جراء النزاع بين العرش وبين طبقة أرستقراطية كان نفوذها فى تزايد مستمر . وأهم حدث فى هذه الفترة هو انتشار المسيحية فقد تساهل يزدجرد الأول ٣٩٩ — ٤٢٠ م مع المسيحيين حتى لقب بالملك المسيحى، وعين كاثوليكيا فى سلوقية ومطارنة فى خمس مدن وسمح للقسس بحرية التنقل . ولكن هؤلاء هاجموا المعابد الزردشتية وكهنتها مما أضطر الملك عن التخلى عن هذه السياسة . وعاد إلى عقيدته القديمة وأباح القضاء على المسيحية ودام الاضطهاد أربع سنوات وهو يلقب أيضا باسم يزدجرد الآثم .

المسيحية بين الفرس والرومان :

كان المسيحيون يحظون بشىء من العطف بسبب اضطهاد الرومان الوثنيين لهم والذين كانوا أيضا أعداء للفرس وقد تجددت الحرب مع الرومان حين أرسل الشاه خطابا مهذبا ولكنه حاسما إلى الإمبراطور

قسطنطين . ومن الجدير بالملاحظة أن اللقب الساساني الرسمي الذي ذكره المؤرخ اللاتيني أميانوس ماركللينوس « ملك الملوك ، رفيق النجوم ، أخو الشمس والقمر ، (وهو يتفق بدرجة كبيرة مع ما جاء في النقوش الساسانية) عابد مازدا ، المقدس ، ملك ملوك إيران وغير إيران ، من نسل الآلهة » .

وقد استولى الفرس على أميدا Amida (ديار بكر الحالية) في ٣٥٩ م ، ثم بعد موت قسطنطين في ٣٦١ ، تولى ابن أخيه ، جوليان « المرتد » الذي لم يكن قائدا ناجحا وقتل في معركة عام ٣٦٣ . ثم عقد السلام مع خليفته ، الإمبراطور جوفيانوس الذي تنازل للفرس عن نصيبين وسنجارا (سنجر) وأجزاء من أرمينية . وعندما صار فالنتفيانوس الأول إمبراطورا حاول أن يضع على عش أرمينية دمية موال للرومان ، وشهبور ، الذي كان منهمكا في حرب مع صين باكتريانا Choinites of Bactriana ، كان مضطرا الآن أن يحارب في سبيل السيطرة على أرمينية ، حيث كانت المنافسة على أشدها بين الحزب الموال للرومان والحزب الموال للايرانيين ، وفي الوقت نفسه كان عليه أن يحمى نفسه من المؤمرات التي يقوم بها الرومان في بلاد فارس نفسها . ولأسباب سياسية كثيرة أضطر شهبور ، الذي لم يظهر أي كره للمسيحيين حتى الآن ، إلى إضطهاد المسيحيين في إيران على نطاق واسع واستمر من ٣٣٩ حتى وفاته ٣٧٩ م

اختار اردشير الثاني وخلفاؤه —على خلاف الساسانيين الأوائل— مكانا لبداء نصبهم التذكارية أو لنحت نقوشهم تخليدا لأعمالهم في منطقة تعرف الآن باسم طاقة بستان ، شمال شرق كرمنشاه ، حيث كان يوجد هيكل قديم مكرس لاناهيتا على ما يعتقد (وحتى الآن لا تزال الينابيع تنفجر من الأرض مكونة بحيرات جميلة)

وقد تحسن موقف المسيحيين بعد موت أردشير الثانى ، وخاصة فى عصر يزدجرد الأول (٣٩٩ — ٤٢١) الذى تشيد بمدحه المصادر المسيحية — على عكس المصادر الساسانية التى تتهمه بالغدر والخداع : وهذا التحسن يرجع مصدره إلى أن يزدجرد كان مضطرا للحفاظ على السلام بين روما وإيران حتى يستطيع أن يتفرغ لتقوية مركزه فى الداخل (بل عمل وصيا على الإمبراطور الرومانى تيودوسوس الثانى عندما كان صغيرا . ولكن المسيحيون قاموا بمؤامرات وأعمال عنف وهدموا بعض معابد النار حتى أن العلاقة بينهم وبين الإمبراطور يزدجرد أزمت قرب نهاية حكمه .

توفى يزدجرد فى ٤٢١ فى ظروف غامضة وربما قتله النبلاء الذين كانوا يكرهونه . وحاولوا إستبدال إبنه بمرشح من فرع ثان للأسرة الساسانية . إلا أن الأمير وهرام الذى تربى فى بلاط ملك الحيرة ولذلك كان يحتقره نبلاء الفرس بسبب عاداته العربية ، استطاع أن يتغلب على المغتصب بمساعدة وصيه ، ملك الحيرة اللخمى المنذر الذى وضع تحت تصرفه جيش بقيادة إبنه النعمان . وهذا انتصارا جديدا للعرب على الفرس . وقد كان وهرام الذى حكم حتى عام ٤٣٨ أو ٤٣٩ ملكا محبوبا ، وألفت حول أسمه قصصا كثيرة حتى بعد الفتح الإسلامى . وأحسن ملحمة عنه هى ملحمة نظامى (Hait Paikar) (القرن الثانى عشر) ، وهى واحدة من روائع الأدب الفارسى . وعند إعتلائه العرش أكد للنبلاء أنه سيصلح من تصرفاته ، ولكنه لم يف بوعده فيما يبدو . وقد كان صيادا ومحبا للملذات ومحبا الموسيقى (وقد استدعى فرق من اللوتى ، أسلاف الغجر من الهند) .

وقد اشتهر بصفته فارسا فى القصص المتأخر ولكن الكهنوت الزرادشتى كان يكن له كرها شديداً . وإن كان فى نفس الوقت ، نهو زرمى



شكل ٥٠ : بهرام جور الخامس ملك ساسانى مشهور مصور على طبق من الفضة . (من شغل ما بعد العصر الساسانى) .

من مجموعة متحف أرمتاج (ليننجراد) . وهو يصور الملك فى ملابس الصيد . واللباس كله فارسى .

الذى كان له نفوذ كبير فى عهد يزدجرد صار الوزير الأكبر فى بلاط بهرام، وقد اضطهد المسيحيين إضطهادا شديدا فهربت أعدادا كبيرة منهم إلى الأراضى البيزنطية إبان هذا العصر ، ولهذا السبب ولأسباب أخرى نشبت الحرب مرة أخرى بين إيران وبين بيزنطة فى ٤٢١. (فى الفهلوية ثم بعد ذلك فى النصوص الإسلامية كانت كلمة « رومانى » وكلمة بيزنطى مترادفتين) وقد تولى مهر نرس قيادة هذه الحرب التى انتهت بهزيمة الفرس فى ٤٢٢ ووعد ملك الملوك بمنح المسيحيين الفرس حرية العبادة . على أن الاضطرابات الداخلية كانت تمزق المسيحيين، وفى ٤٢٤ أعلن سنودس مركابتا the Synod of Markabta أعلن استقلال الكنيسة المسيحية الإيرانية عن كنيسة بيزنطة . وحارب بهرام أيضاً البرابرة الصين والهون البيض « الهياطلة» الذين كانوا يتدفقون على الحدود الشرقية وغزوا باكتريا وحارب أيضا ملك أرمينية . حتى موت بهرام تحول إلى أسطورة ، فقد قيل أنه اختفى فى كهف بينما كان يصيد الحمر الوحشى ، وكان يطلق عليه لقب الحمار الوحشى ولكن ليس بسبب الصيد بل إشارة إلى سلوكه الشخصى .

يزدجر الثانى خلف أباه فى ٤٣٨ أو ٤٣٩. وقد أضطر إلى مسالمة الرومان نظرا للخطر الشديد الآتى من الشرق وهو استمرار تدفق الهون البيض (Hephthalites) إلى داخل باكتريا وقد حاول عبثا إقناع الأرمن « الذين اخترعوا كتابة خاصة لهم » الدخول فى دين زرادشت حتى يمتزجون بالفرس. وفى عصره نشر مهر نرسى تكذيبه للمسيحيين ، وقد رد عليه القسس بقوة ، وقد ثار الزعماء الأرمينيين ولكن قضى على الثورة وقتل كثير من رجال الدين ، كما اضطهد أيضاً المسيحيين فى سوريا وبلاد بابل حيث يوجد أكبر عدد منهم بعد أرمينية . وعلى العموم فقد حاول مرزبان أرمينية أن

يخفف من الاضطهاد وبعد موت يزدجر مفحو حرية العبادة .

تولى بعد يزدجر الثانى ، ابنه هرمز الثالث فى ٤٥٧ م ، ولـكنه كان عليه أن يحارب أخيه فيروز الذى لم يتردد فى طلب المساعدة من الهون البيض وانتصر فيروز وفى ٤٥٩ قتل أخيه هرمز ولم يـكن حكمه الطويل ٢٥ سنة ناجحا لأن الجفاف الشديد استمر فترة طويلة وأدى إلى حدوث مجاعات قاسية وأضطر إلى تخفيف الضرائب وتوزيع جزء من أملاك النبلاء .

وقد قتـل فيروز فى معركة ضد الهون البيض ٤٨٤ م ، واضطر الإمبراطور إلى دفع الضرائب إلى البرابرة لمدة سنوات . وفى سياسته الدينية إزاء المسيحيين أتبع خطا جديدا وناصر النستوريين ، ففى ٤٧٥ . أستطاع أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة Monophosites السيطرة على المدرسة الدينية فى الرها وسوريا ، حيث كان يتعلم رجال الدين المسيحى من الفرس النسطوريين فالتجأ كثير منهم إلى فارس والتحق بهم كثير ممن نفاهم الإمبراطور البيزنطى زنو الأسورى ، ورحب ملك الملوك بالنفوذ النستورى على الـكنيسة الفارسية لأنها كانت وسيلة ناجحة فى قطع السلاسل التى تربط الأقليات المسيحية فى فارس مع القوات المسيحية فى بلاد العدو عبر الحدود ، وفى هذا الوقت تأسست مدرسة نستورية فى نصيبين ، فى الإقليم الفارسى وقد ساعد هـذا إعطاء المسيحية الفارسية طبيعة نستورية وطنية :

عندما توفى فيروز وضع زرمهر Zarmihr وهو قائد ممتاز حارب ضد الثوار الأرمن ، وعلى العرش أخ فيروز المدعو والاش « بلاش » ، ولـكنه لم يستطع فعل شىء فالخزينة كانت مفلسة وكان الهون البيض المقتال المنتصرون يطالبون بالجزية ، ولـكن زرمهر جمع جيشا صغيرا على نفقته وجمع

فى إجبار ملك الهفتال على عقد سلام ، والتنازل عن الجزية ، والإفراج عن الأسرى الذين أخذهم ومن بينهم ابن فيروز المدعو قباذ ، وقد عزل عمه ، وتولى العرش قباذ فى ٨٨ ق ٠ م

قباذ والمزدكيه والطبقات الاجتماعيه :

قام المجتمع الإيرانى على أساسين : النسب والملكية وكما جاء فى كتاب تنسر ميز الأشراف عن المحترفة والمهنة باللباس والمركب والزينة كما ميزت أزواجهم بثياب من الحرير والقصور العظيمة والسراويل وغطاء الرأس والصيد وبكل مزايا الاشراف ، وعلاوة على هذا وجدت الدرجات الاجتماعية فى جميع الطبقات، فكان لكل فرد مرتبته ومكانه المحدد فى الجماعة ، وكان من قواعد السياسة الساسانية المحكمة ألا يطمع أحد فى مرتبة أعلى من المرتبة التى يخولها له مولده ، وكانت القوانين تصون شرف النسب فى الأسرات كما تحفظ أملاكهم الثابتة ، وكانت الأسرات الكبيرة تقيد فى الكتب والدواوين وكانت الدولة تعنى بحياتهم كما كانت تمنع أفراد الشعب من شراء أملاك النبلاء ، فكان هناك تمييز واضح بين الطبقات العامة المختلفة . وكما جاء فى تاريخ أبو الفدا كان ملوك إيران لا يعهدون إلى ذوى الأصل الوضيع بأى عمل من أعمال الديوان وقد كان الانتقال من طبقة إلى أخرى أعلى محظورا بوجه عام ؛ ولكن كان سكان المدن أحسن نسبيا من حال الفلاحين لأنهم كانوا معفين من الخدمة العسكرية ، وقادرين على الكسب؛ أما الفلاحون فكانوا تابعين للأرض ومجبرين على السخرة وعلى الخدمة العسكرية رجالة : وكانت كثرتهم العظمى تسير وراء الجيوش كأنها ذاهبة إلى إذلال أيدى وبغير أجر يحفزها ولا مكافآت أخرى ؛ ولم تكن هناك قوانين لحماية الفلاحين :

وقد قامت الأسرى على أساس تعدد الزوجات بدون أى حد سوى مقدار قدرته على الانفاق ، وقد اقتضت العناية بنقاوة دم الأسرة — التى كانت هامة فى المجتمع الإيرانى ، جواز الزواج بين المحارم بين الأب والبنت والأخ والأخت ، وعادة زواج المحارم قديمة عند الفرس . ويمدنا تاريخ الأكيميين بأمثلة مثل زواج كل من قمبيز ودارا الثانى بأخته ، وتزوج آرت خششتا الثانى بنتيه ، وتزوج دارا الثالث إبنته . وكان زواج المحارم لايعتبر سفاحا ، ولـكنه عمل صالح يثاب عليه صاحبه من الناحية الدينية ، ويذكر السائح الصينى هيون تسيانج أن عادات الزواج عند الايرانيين فى زمانه كانت الاختلاط المطلق ، وقد جاء فى كتاب البطريق ماربها السريانى : أن العدالة العجيبة عند عباد أهورا مازدا تقضى بأن يـكون للرجل صلات شهوانية مع أمه وبنته وأخته ، وكان فى رسم الزوج أن ينزل عن زوجته أو إحدى زوجاته ولو زوجـة ممتازة إلى رجل آخر قد وقع فى الفاقة ليستغنى بعملها .

فى هذه الفترة ظهرت حركة دينية جديدة تعرف بالمزدكية نسبة إلى مؤسسها مزدك ، وكان أبو مزدك يدعى بامداد وهو اسم شائع بين المانويين وقد ولد مزدك فى مدينة مادارايا من بلاد بابل على ضفة الدجلة ، وربما دلت ولادته على أنه غير فارسى الأصل ، والمزدكية وإن كانت فى أصولها مستمدة من تعاليم مانى ، واصل هذه البدعة شعبة من المانوية أسست فى روما قبل مزدك بحوالى القرنين ، أسسها رجل إيرانى هو زردشت بن خوركان المولود فى بساه . ويستفاد من روايات المؤرخين أن زردشت كان رجل دعوة فقط وأن مزدك رجل التنفيذ فهو « خليفة زردشت عند سفلة الناس» وقد أستطاع مزدك أن يقضى على شهرة سابقة تقول للمانوية بالأصليين القديمين النور

والظلمة ، وقد انتصر إله الخير على إله الشر إلا أن هذا النصر لم يكن كاملا لأن الدنيا خليط من هذين الأصلين القديمين . والقصد النهائى من تكامل العالم هو تخليص ذرات النور التى اختلطت بذرات الظلمة . وقد صور مزدك معبوده قاعدا على كورسيه فى العالم الأعلى على هيئة قعود كسرى فى العالم السفلى وبين يديه أربع قوى هى التى تدير أمر العالمين فسبعة وزراء . وكانت تطالب المزدكية من الإنسان كى يأمل فى الخلاص القيام بأعمال وبالامتناع عن الأخرى وهى تفادى كل ما من شأنه توثيق صلة الأرواح بالمادة، ولذلك حرم على المزدكية أكل لحم الحيوان ، كما نهى مزدك عن المخالفة والمباغضة والقتال . ولما كان أكثر ذلك إنما يقع بسبب عدم المساواة بين الرجال ، فقد وجب إزالة هذا السبب ، فالله جعل الأرزاق فى الأرض ليقسمهم العباد بينهم بالتساوى بحيث لا يكون لأحدهم أكثر مما لغيره وقد نشأ عدم المساواة بينهم بالقوة ، فكل يريد إشباع رغبته على حساب أخيه ، والحقيقة أن من كان عنده فضلة من الأموال والنساء والأمتعة فليس هو أولى به من غيره ، فينبغى أن يأخذوا من الأغنياء للفقراء وأن يردوا من المكثرين على المقلين ، وذلك ليقيموا المساواة البدائية ، وينبغى أن تكون النساء والأموال شركة بين الناس كاشتراكهم فى الماء والنار والكلأ . واتهم المذهب المزدكى الشيوعى تبعا لذلك بالشهوة والإباحة ، وإن كان زردشت ومزدك قد استطاعا الدعوة إلى ثورة اجتماعية مدفوعين بأفكار أخلاقية وإنسانية وخاصة أن المجتمع الايرانى كان يعانى من توزيع الثروة والجوع والقحط والبؤس .

وقد دخل قباذ الأول فى مذهب مزدك وقيل أنه أصدر قوانين تبيح الفساد وقوانين لشيوع الأموال وقد يكون فى ذلك ، شيء من الحقيقة ، وربما تعلقت بفرض ضرائب باهظة على الأغنياء لتحسين الأحوال ، ولملء الخزينة

الفارغة على حساب الأغنياء ، ولتحطيم قوة الاشراف بانضمامه إلى الطبقات الفقيرة . وقد بلغت غطرسة المصلح أن يطالب الملك بتغيير ولى العهد خسرو (لأن الملك هو الذى يعين ولى العهد الذى لم يكن بالضرورة الأبن الأكبر) ويعين بدلا منه كاوس Kaus وكان مزدكيا ، ولا شك أن هذا كان يعتبر أمراً جنونيا فى ذلك الوقت . ولكن نشبت ثورة على قباذ هذا وخلع عن العرش وحوكم وسجن وعين أخوه مكانه ولكنه هرب واستعان بالتتر واستعاد سلطانه سنة ٥٠١ م وغير سياسته إزاء الديانة الجديدة التى التجأت إلى الثورة والعنف حيث نهبت النبلاء واختطفت النساء . وهاجم الكهنة الزرادشت والقسس المسيحيون المذهب المزدكى ،وقد دعوا مزدك إلى نقاش دينى ، وقد حضر هذه الجلسة أبلغ خطباء المجوس والقس المسيحى بازانس ، وانتهت الجلسة بإعلان فساد هذا المذهب ، ونتيجة لذلك أوقعت بهؤلاء مذبحة كبيرة وأحرقت كتبهم وصودرت أموالهم ومن المحتمل أن مزدك قد قتل عندئذ بمعرفة بعض الجند وقد انتهت الحركة عام ٥٢٤ م .

وتختلف المزدكية Mazdakism عن المانوية Manichaeanism على تمسكها بمبدأ الامكانية الطبيعية للتحرر والتعليم chance nature of liberation and illumination ولكل فرد الحق فى الحصول عليها . وقد شعرت الطبقة الأرستقراطية المانوية الزاهدة بخطورة هذا المذهب ومبدأ العالمية والأخلاقية عن الخير والشر ،فهمت فيما يبدو على أساس مادى ، وتداخلها تم بطريقة عشوائية .

وكان على المؤمنين بهذا المذهب الامتناع عن أنواع معينة من المأكولات . وتوجد فقرة ، وإن كانت غامضة المعنى ، تشجع على الانتحار . (وإن كان هذا ليس قاصراً على المزدكية ، بل تشترك فى ذلك شعوب أخرى مثل الرومان

واليابانيين) . والمزدكية لها أهميتها ليس فقط لتأثيرها فى المجتمع الساسانى ولكن أيضا لأنها استمرت قائمة فى مراكز متفرقة ومتباعدة وغير معلومة حتى بعد الفتح الإسلامى

الأحداث السياسية لحكم قباء تتلخص فى : عام ٤٩٧ عزل النبلاء قباذ إذ ضاقوا ذرعا بالاصلاحات المزدكية وحبسوه فى قلعة جلجارد« كلكارد» أو آند نميشن Andmishn فى إقليم سوسة ، وهى « الباسقيل الساسانى » وكانت تعرف باسم انوش برد anushbard « قلعة النسيان » ، لأنه كان ممنوعا منعا قطعيا ذكر اسم أى من نزلائها السجناء أو ذكر اسم القلعة . وعلى العموم فبمساعدة بعض أصدقائه ، نجح قباذ فى الهروب والتجأ إلى ملك الهون البيض وبمساعدته ، نجح قباذ عام ٤٤٩ « أى بعد حوالى سنتين » فى استعادة عرشه الذى كان يشغله أخوه زاماسب، ومن المحتمل أنه أكد للنبلاء بأنه سيخفف تأييده للمزدكية ولكنهم استمروا أقوياء فى البلاط حتى عام ٢٤ ق م ، حين حاقت بهم الكارثة ، ومن الملحوظ أن المصادر المعاصرة والمؤرخين العرب والفرس لم تذكر أى شيء عن حركة اجتماعية حقيقية أو عن مجهودات الحكومة الجديدة للقضاء عليها .

وقد قام قباذ ببعض الاصلاحات من حفر الترع وإنشاء الجسور ونحوه وتشييد المدن التى منها رام قباذ على الحدود بين فارس وخوزستان ، وقباذ خرة فى فارس .

كسرى أنوشروان : (خسرو الخالد الروح)

يعتبر إرتقاء كسرى الأول عرش إيران ، ، وهو المعروف فى التاريخ بلقب أنوشروان افتتاحا لأزهى عصر فى عصور الدولة الساسانية ، فإنه قد



شكل ٥١ : قطعه من نقود صور عليها خسرو الأول بين أربعه من عظماء الدولة . ويعرف هذا النوع باسم (قطعه سليمان) . ويلاحظ أن الملك قد صور من الأمام .

قضى على البدع التى أتى بها جماعة مزدك ، كما صار فى حكمه الأمن فى داخل البلاد ، ولكنه كان أمنا حزينا لقوم منهمكين فقراء من كثرة مالقوا من الفتن وسوء الحكم ، الذى عم جميع الطبقات .

يبدو أنوشران فى الروايات الشرقية مثالا للملك العادل ، وقد أطال الكتاب الفرس والعرب « وهم فى الغالب من أصل فارسى » فى ذكر الحكايات التى تصور يقظة هذا الملك للمحافظة على العدالة ، ومن أمثلة على هذا قصة والى أذربيجان سباهسالارا الذى كان لديه من الذهب والفضة مليونين من الدنانير ومن الحلى ستمائة ألف دينار ومن الخيل والبغال ثلاثون ألفا ومن الغنم مائتا ألف ومن العبيد ألف وسبعمائة عبد تركى ورومى وحبشى ولديه أربعمائة ألف جارية ، « وهذه الأرقام لا يمكن أن تكون حقيقية » ، وقد استولى هذا الوالى عنوة على بيت لعجوز وهدمها فاشتكت إلى كسرى فأمر الملك بسلخه ورمى لحمه للكلاب وملىء جلده بالقش وتعليقه على باب القصر ليكون عظة لغيره .

وإن كان واضح من القصة أن المقصود ليس مجرد إقامة العدالة وإنما القضاء على قوة طبقة النبلاء ، وقد أوضح الملك منذ البداية فى خطابه إلى الوالى فخوريك زادويه ، بأنه عماد السلطات كلها ، فهو يحكم على النبلاء كما يحكم على أفراد الشعب ، وكذلك خضع له رجال الدين . وقد جاء فى الكتاب المنسوب لتنسر أن الملك هو النظام بين الرعية والجيش ، وهو الزينة يوم الزينة ، وهو المفزع والملجأ يوم الخوف من العدو ، ولكن من ناحية أخرى كانت الحروب مع الهون البيض والاضطرابات الداخلية سببا فى إضعاف البناء الاقتصادى والمالى للدولة .

وقد بدأ كسرى إصلاحاته بالقضاء على الفوضى التي أحدثها أتباع مزدك فرد الأموال إلى أهلها ، وأما من غلب على أمره من النساء فكان ينظر لحالة كل منهن على حدة ، وأمر بالنظر فيما تهدم من المساكن والقرى وعلى أدوات الري والترع، فأعان أهلها لإصلاح حالهم وإمدادهم بالمواشي وأعيد بناء القرى التي خربت وأصلح كسرى نظام الضرائب . وأعفى من الضريبة العقارية من بارت زراعة قمحه أو تلفت أشجاره وقت جباية الضريبة. وفرضت ضريبة ثابتة على الأرض بدلا من الضريبة المتغيرة التي كانت تجبى على الغلة .

وإن كانت القوانين قد طبقت بدقة وعدالة بوجه عام ، فإن العقوبات قد خففت إلى حد ما في أيام كسرى الأول ، وقد ذكرنا نصا من كتاب تنسر يقول بأن الاعدام العاجل كان عقوبة لجرائم الكفر والعصيان والخيانة والهرب من الجندية ، أما الجرائم على الجار من السرقة والنهب والاعتداء والعدوان فكانت عقوبتها جسمانية قاسية أو الاعدام ، أما الجرائم ضد الأشخاص فقد كانت العقوبة فيها الغرامة أو البتر ، وكان عقاب الغاصب أربعة أضعاف عقاب السارق ، أما من يرتكبون جريمة ضد الملك — بالثورة والهرب من الجندية فقد أكتفى بقتل فريق منهم لتخويف الآخرين .

ولكن بروكوب ذكر كثيرا من حوادث القتل بالخازوق أيام كسرى الأول ، وذكر اجاثياس أن كسرى أنوشروان أمر بسلخ المخوبرك (القائد) حيا ، وهو القائد الذي هزمه اللاهزيمة كانت قاضية على الإيرانيين. والصورة التي صورها بركوب هذا وهو كاتب أفرنجي عن كسرى تختلف عما جاء في الكتب الشرقية فهو يصوره رجلا مفسدا طائشا شديد الحنق على عظماء

دولته ، كما يصفه بالمراءاة وعظم المكر ، فكان فى رأيه أقدر الرجال على تقرير مالم يقع وإخفاء ماوقع ، وفى الواقع كان كسرى رجلا قاسيا ميكيافيللى فى السياسة ، وحين خشى من حدوث إنقلاب ضده أمر بقتل جميع أخوته وأبنائهم جميعا وعمه أسبد ولم ينج من هذه المذبحة إلا واحد أخفاه أحد رجال الدولة ، ولما كشف الأمر بعد ذلك قتل هو أيضا ، كما أحرق جفنى إبنه (أى ابن كسرى) بالحديد المحمر ، حين قام بمؤامرة وقتل الثوار ، وهذا يوضح مدى قسوة كسرى وعدالته . وهذه القسوة سمة طبيعية لملوك الفرس .

ومن أشهر أحداث عصره ذبح مزدك وأتباعه كما سبق أن ذكرنا وعقد صلح دائم مع روما وكان من ضمن شروطه منح حرية العبادة لمسيحى فارس، وغزو اليمن حوالى ٥٧٠ق م وطرد الأحباش من جنوب الجزيرة العربية وأصبحت اليمن ولاية فارسية .

وفى عهده أعيد تنظيم الإدارة إلى أربع سترابيات (مرزبانيات) كبرى : الشرقية وتشمل خراسان وكرمان ، والغربية وتضم العراق وما بين النهرين ، الشمالية وتتكون من أرمينيا وأذربيجان ثم الجنوبية وتشمل فارس وخوزستان وأدخلت تحسينات على وسائل الرى وطرق المواصلات والجيش وشجعت الزراعة وخصصت الإعانات للتعليم .

وواحدة من الاصلاحات الهمة التى أدخلها كسرى هو أصلاح النظام الضريبى الذى بدأه قباد . فجميع الأراضى الزراعية قد أعيد مسحها بدقة وفرضت عليها الضريبة تبعا لذلك ، وكانت ضريبة الأرض تقدر على أساس دراخمة واحدة فى السنة لكل ١٫٧ فدان من القمح أو الشعير ، ثمان دراخمة عن نفس المساحة لحقل الكروم سبع دراخمة لحقل الفصفصة خمس أوست

دراخمة للأرز ، ودراخمة واحدة لكل أربعة من أشجار النخيل الفارسى أوست من أشجار النخيل الأرمينية ، أو لكل ست من أشجار الزيتون ، وكل أنواع الأراضى الأخرى قد أعفيت من الضريبة وأيضا النخيل الذى ينبت فى العراء . وكذلك أعيد النظر فى ضريبة الرأس ، وكانت واجبة على كل الذكور ما بين سن العشرين والخمسين باستثناء النبلاء والعظماء ، والعسكر والكهان والكتاب والأفراد الذين فى خدمة الملك . . وكان دافعوا الضرائب مقسمون إلى فئات مختلفة حسب التعداد . . بعضهم يدفع أثنى عشر دراخمة ، والبعض الآخر يدفع ثمانية أوست دراخمة ، والغالبية العظمى تدفع أربعة دراخمة . وكانت الضرائب تجمع بانتظام كل أربع سنوات . أقام كسرى فى الوقت نفسه نظاما للتفتيش القانونى حتى لا يكون هناك ظلم وأنه لم توضع ضرائب على أراض مجدبه أو أشجار أو نبات مثمر .

وكذلك أعيد تنظيم الجيش ، على أساس أن النبلاء الصغار الذين يكونون العمود الفقرى للجيش والذين كانوا ملزمين حتى هذا العصر بالقيام بأعمال العسكرية مجانا وتجهيز أنفسهم على حسابهم ، صاروا يحصلون الآن على مساعدات مالية للتجهيز ومرتبات ثابتة . ووجهت عناية خاصة للفرسان ، وفرق المشاه التى كانت فى منتهى الضعف ، والتى كانت مكونة بفلاحين مستعدين للهروب من الميدان عند أول فرصة سانحة ، طعمت بمجموعات من أسرى الحروب البرابرة ، كما الغيت وظيفة إيران سياهبد ، ووضع الجيش تحت قيادة الملك مباشرة ، وكان يقوده أربع قواد سباهبد ، واحد لكل من الجهات الرئيسية الأربع : الشرق [خرسان سجيستان ، وكرمان] الجنوب فارس وسوسيانا] ، الغرب « العراق ، وحدود الإمبراطورية] والشمال [ميديا العظمى وأذربيجان]

وتتحدث كل المصادر عن النظام الشديد والعدالة أيام كسرى الذى أمتدت شهرته إلى بلاد العرب والذى تشير إليه المصادر الإسلامية بلقب « العادل ».

أقام كسرى السلام بين الإمبراطوريتين البيزنطية والفارسية فى ٥٣٢ : ولكنه لم يستمر طويلا بسبب الخلاف بين الدولتين العربيتين ، غسان تابعة لبيزنطة ، والحيرة ، تابعة لإيران . فى ٥٤٠ أستولى كسرى على إنطاكية ودمرها ونشب القتال وإمتد حتى شمال القوقاز وإستمر فترة طويلة حتى عام ٥٦١ حين عقدت معاهدة سلام مرة أخرى على أساس الأمر الواقع ، الذى أعترف بالوضع ، وتقرير حرية التجارة والدين ولكن كان محرم على المسيحيين أو المزدكيين التبشير فى الأقاليم الخاصة بالآخرين : وبين عام ٥٥٨ و ٥٦١ جمع كسرى فى القضاء على مملكة الهياطلة [الهون البيض] الذى كان يدفع لهم جزية لفترة من الوقت [منذ عهد فيروز وقباد] . وقد أمكن التغلب على الهياطلة [الهون البيض] بسبب أنشغالهم بالدفاع ضد هجمات القبائل التركية الغازية التى هاجمت من الشرق والشمال الشرقى وغزت أواسط آسيا : وبذلك ظهر خطر جديد فى الزمن : وفى الجنوب وسع كسرى حدوده حتى اليمن التى كانت خاضعة للحبشة ومنذ ٥٧٠ كانت بلاد العرب السعيدة جزءا من الإمبراطورية الفارسية : وتجدد الصدام العسكرى مع بيزنطة مرة أخرى حتى توفى كسرى فى ٥٧٩ حين كانت تجرى مفاوضات للسلام .

وكان لكسرى أيضا إهتمامات أدبية وعلمية .

وقد عمل على تجميل عاصمته طيسفون [تسبون Tespon فى الفهلوية] والتى كانت تتكون من عدد من المدن القريبة من بعضها وتعرف بالعربية باسم المدائن [جمع مدينة] ، وكانت واحدة منها هى سلوقية القديمة .

والأطلال الضخمة لطاقة كسرى لا تزال ترى على الموقع القديم فى المدينة على ضفاف الدجلة : والقصور كانت مزدانة بالموزايكو وأعمال الجص وتحتوى على حدائق بديعة .

وفى عصر كسرى استوردت كتب كثيرة من الهند وترجمت إلى البهلوية ، وإبان العصر الاسلامى إنتشرت فى إنحاء العالم المتحضر بعد ترجمتها إلى العربية مثل كليلة ودمنة ، وكتاب السندباد : وأبان هذه الفترة أيضا ترجمت المزامير إلى البهلوية : أدخلت أيضا لعبة الشطرنج وحسب بعض المتخصصين النرد أيضا : وقد وفرت إيران [الواقع هو بلاد الرافدين] أرضا لتجميع الأفكار الأغريقية والهندية مما أدى إلى حدوث تطور فى الطب والعلوم وخاصة الفلك . وكان هو نفسه مهتما بالمناقشات الفلسفية بينما كان الشعب يهتم بالفلسفة الواقعية مثل أندرز وهى تحتوى على حكم ونصائح فى صورة قصص ، وهو نوع من الآدب لا يزال منتشرا حتى الآن . وقد بدأ المصريون القدماء هذا النوع من الأدب .

ولكن رغم ذلك لم يصلنا عن هذا العصر أسماء رجال عظام مشهورين فى هذه الناحية من عصر ما قبل الاسلام ، باستثناء برزويه الذى وصلتنا ترجمة حياته عن طريق الترجمة العربية لابن المقفع من القرن الثامن الميلادى . ومن المحتمل أن بزرجمهر الذى يأتى ذكره فى آواخر حكم كسرى هو نفسه برزوية Burzoe .

فى ٥٧٩ تولى الحكم بعد كسرى أبنه هرمزد الرابع الذى حاول أتباع سياسة والده ولكنه لم يكن فى قدرته استمرت الحرب مع بيزنطة، ولكن بدون نجاح كبير ، وكانت هناك حملات من وقت لآخر ضد الأتراك فى الشرق . وواحد من قواد كسرى المدعو وهرام [ويدعى أيضا Chobem ، رجل من خشب]

قام بثورة،وعزل الملك بمساعدة بعض النبلاء وأعماه وفى ٥٩٠ وضع مكانه أبنه الأصغر كسرى المعروف باسم [برويز — المنتصر] . بعد فترة قصيرة قتل الملك السابق هرمزد الرابع بناء على إيحاء من أبنه أو بموافقته على الأقل وعلى العموم لم يكن بهرام مستعدا للقيام بالدور الثانى بعد الملك إذ أن أسرة مهران التى ينتمى إليها ، كانت تفتخر بأصلها الأشكانى، وعليه نصب بهرام نفسه ملكا رغم معارضة كثير من الأمراء إذ مثل هذا العمل لم يسمع به من قبل،فشرعية الأسرة المالكة كانت حقا مقدسا لا يحتمل الأختلاف فيه وإستمر التمسك بها حتى الفتح الإسلامى . وأستعان كسرى بالإمبراطور البيزنطى موريق لمساعدته فى أستعاده العرش نظير التنازل عن بعض البلاد . وتزوج الملك الفارسى باميرة بيزنطية ، ماريا . وهرب وهرام إلى بلاد الترك الذين قتلوه : وأعتلى كسرى الثانى العرش دون منازع : وقد ألفت قصة خيالية حول هذا الموضوع باللغة الفهلوية، وهى وأن كانت قد ضاعت إلا أنه أمكن تجميعها من مصادر مختلفة : وقد أحضر كسرى معه من بيزنطة أيضا بعض المعتقدات الخرافية المسيحية والتى حاولت أيضا زوجته المسيحية الأرمينية شيرين تقويتها ، مما أدى إلى حدوث أضطرابات بينه وبين المجوس والنبلاء . وكان من بينهم الذين ساعدوه فى أستعادة العرش . وبعد موت موريق [موريس] فى ٦٠٢ نشبت الحرب مرة أخرى بين فارس وبيزنطة وأحرز الفرس بعض إنصارات باهرة وبعد موت موريق أستطاع كسرى برويز أثناء حكم فوكاس ثم هرقل من بعده ، أستعادة أرمينية والاستيلاء على أدبسا [الرها] ثم زحف عبر قبد وقيه وأخذ قيصرية ووصل إلى البسفور [٦١٠ م] ثم فى العام التالى هاجم الجيش الفارسى إنطاكية ودمشق وأورشليم ومنها حملوا الصليب الأصلى إلى طيسفون ، ونهب ودمر وقتل كثيرا من المسيحيين. واستطاع الجيش فى ٦١٦ م الاستيلاء على غزة ،



شكل ٥٢

الملك خسروا الثانى ٥٩٠ – ٦٢٨ م من المكتبه الأهليه (باريس) يرتد الملك ملابس الصيد، وله تاج مزدان بالجواهر ويتميز بجناحى الصقر والهلال والكره ويزدان الرداء الملكى بالحلى والمجوهرات ، والحزام يزدان بوحدات زخرفيه أغريقيه وكذلك تلك التي توجد علي الازرار والسروال .

وغزا مصر وأخذ بابليون (القاهرة القديمة) والأسكندرية ثم سار الجيش على النيل حتى أثيوبيا بل قد اعترف بسيادة كسرى على جزء من شمال الهند وهو ما تبينه النقود التى عثر عليها فى ذاك الاقليم . وتمكن الجيش الفارسى من الاستيلاء على أنقرة بقيادة شاهين الذى استولى على كالسدون على بعد ميل من القسطنطينية ثم مات . ثم بعد ذلك قام شهر براز الذى فتح المدن الكبرى فى سوريا وبيت المقدس بضرب حصار حول القسطنطينية ولكنه لم يكن يملك من الوسائل لنقل عسكره إلى الساحل الأوربى للبسفور وبذلك وصلت الامبراطورية الفارسية إلى ما كانت عليه أيام الامبراطورية الأخمينية ولكن هذه لم يدم طويلا .

كانت الأحوال فى الامبراطورية الرومانية ميئوس منها فقد أغار الخزر على تراقيا ، وعزم هرقل على الهروب إلى قرطاجنة ولكن زوجته وسكان مدينة القسطنطينية منعوه ، فقرر هرقل خطة جديدة وهو أن يستغل القوة البحرية وينقل الحرب إلى أرض العدو ، وعام ٦٢٣ بينما انحدر الخزر من الشمال إلى داخل القوقاز استطاع الامبراطور هرقل أن يحرر آسيا ويغزو أرمينية ويتوغل فى أذربيجان ، وزحف إلى وادى دجلة وحاصر طيسفون وحاول كسرى الهرب ولكن اغتاله إبنه شروية ابن الأميرة بيزنطية [٦٢٨]. ورغم حبه المثالى لشيرين إلا أن كسرى كان بخيلا وقاسيا رغم ما ترك من مظاهر الأبهة والفخفخة التى نجد وصفا لها فى قصيدة نظامى من القرن الثانى عشر ، وتوجد روايات عن خزائن جواهره ، وحبه للعطور ، وعجائب قصره وحدائقه وأعياده وحبه الجم للموسيقى ومن عصره اشتهر أثنان من الموسيقيين باربد الذى ينسب إليه إختراع نظام الموسيقى الفارسية وسركنج . ثم خلفه شروية الذى حكم باسم قواد (قباذ) الثانى ، الذى عقد صلحا مع هرقل وذبح

أخوته، ولكنه ما كاد يحكم ستة أشهر حتى توفى بالطاعون، وتولى بعد إبنه أردشير الثالث الذي كان صغيرا، وتلى ذلك عصر من الفوضى والاضطرابات الداخلية مع النبلاء الذين كانوا فى ثورة عامة . وفى مـــدى أربع سنوات ٦٢٨ — ٦٣٢ ، حكم إيران حوالى عشرة ملوك [ومن المحتمل أيضا] الملكة بوران ، إبنة كسرى برويز الثانى ، ولكن كل منهم كان يحكم بعض الأقاليم حتى استطاع يزدجرد الثالث ، ابن آخر لكسرى الثانى الذى كان يؤيده النبلاء ويسيطرون عليه فى توحيد السلطان مرة أخرى ، وكان آخر ملوك الساسان .

الفتح الإسلامى فى ٦٣٦ :

وقعت معركة القادسية[١] بين سعد بن أبى وقاص وبين القائد رستم بن سهبد فروخ هرمزد الذى قتل بسبب ثورته ضد الملك : وبعد ثلاثة أيام أعترف الفرس بالهزيمة وقتل رستم فى المعركة والعلم الفارسى در فشكابيان [البلاذرى] الذى حسب الأسطورة — كان الوزلة الجلد للحداد الأسطورى كاوغ [فارسى حديث كاوة] ، الذى ساعد الملك الأسطورى فريدون فى فى أستعادة عرشه من التنين (أزه — دهك) وقع فى أيدى العرب ، وصار الطريق إلى العاصمة مفتوحا . وفى عام ٦٣٧ ، أستولى المسلمون على سلوقية [وأسمها الساسانى ويه أردشير] وفى هذه المعركة كان جيش الفرس يبلغ أربعين ألف مقاتل بينما لا تزيد قوة العرب عن سبعة أو ثمانية آلاف ، وغزا سعد بلاد مابين النهرين وأستولى على المدائن وطيسفون نفسها ، على الضفة

---

(١) بلغ جيش الفرس فى هذه المعركة مائة ألف وعشرين ألفا ومعهم ثلاثون فيلا . وكان جميع المسلمين ما بين تسعة آلاف إلى عشرة آلاف . البلاذرى : فتوح البلدان ص ٣٥٧ . (١٩٥٧) .

الشرقية الدجلة التى حاولت المقاومة ولكنها سقطت فى السنة التالية وهرب يزدجرد إلى ميديا : ووقعت معركة دموية وحشية فى جلولاء فتحت الطريق إلى ممرات جبال الزاجروس ، وبذلك تصاعدت العرب بعد معركة نهاوند [٦٤٢] بين بهستون وبروجرد ، على اختراق الهضبة وقلب إيران ؛ وكان الجيش الفارسى قد تحطم ، وإن كان فى بعض الأماكن قاوم المرازبة بقواتهم الخاصة مقاومة قوية ؛ ولكن واحدة تلو الأخرى همذان [أى كباتانا القديمة] ، الرى (Rhages) الزرادشتية ، أذربيجان وأرمينية سقطت ، وانسحب يزدجرد إلى أصفهان : ولكن أصفهان ثم إصطخر [برسيبولس] أيضا استسلمت . وفى وقت قصير كانت فارس مهد الأسرة الايرانية قد فتحت : وفضل يزدجرد بدلا من قبول دعوة سبهبد طبرستان الجبلية الوعرة والمنيعة على الشاطئ الجنوبى لبحر قزوين والتى استمرت تقاوم العرب لفترة طويلة ، الالتجاء إلى سجستان وخراسان ، ولكن الزعماء المحليين رفضوا القتال وأخيرا التجأ إلى مرو ولكن المرزبان الذى رأى عدم جدوى المقاومة تحالف مع رئيس الأتراك الذى حاول القبض على الملك فهرب ولكنه قتل فى كوخ طحان الذى لم يعرف الملك ولكن طمع فى أمواله الكثيرة التى كان يحملها معه ، وكان ذلك فى عام ٦٥١ أو ٦٥٢ م .

ويرى علماء التاريخ صعوبة فى فهم هذا النجاح العظيم للفتح الإسلامى . ففى معركة القادسية انتصر جيش المسلمين المكون من سبعة أو ثمانية آلاف مقاتل على قوة قدرها أربعين ألفا من الفرس ، وبين عام ٦٣٦ و٦٥١ تمكن جيش أقل سلاحا من تحطيم وإخضاع واحدة من أقوى الامبراطوريات فى ذلك العصر ، وفى نفس الوقت كان يقتطع أقاليم شاسعة من الإمبراطورية البيزنطية : ففتح فارس ودخولها فى الاسلام أمر فريد من نوعه وخاصة أنه

لم يسبق من قبل أن مثل هذه التقاليد المعقدة والمتقدمة بدرجة كبيرة قد تم التخلى عنها بسرعة مذهلة فى سبيل اعتناق دين جديد قضى قضاء تاما على الدين السالف، ولا يمكن أن يقارن اعتناق الأباطرة الرومان للمسيحية بهذا التفوق الاسلامى ، فالمسيحية لم يتقبلها الرومان إلا ببطء شديد ، والوسائل التى استعملت فى نشر مبادئها فى الأول كانت مسالمة ، وإلى جانب عودة بعض العناصر الوثنية [عبادة القديسين / الخ] ، يجب أن نذكر أن القانون الرومانى قد بقى دون مساس به ، أما فى فارس ، فالأمر جد مختلف . فالاسلام ، وبسبب مبدأ المساواة وعقيدته الصريحة ، رغم مادخلها من سمات فارسية ، كان هو الذى سيطر على الثقافة الفارسية ، وليس العكس . فهذه الملامح إذن ، رغم مازعمه الفرس المتطرفون اليوم ، لا يوجد بينها إلا صلات بسيطة إذا عزلت عن الوضع الاسلامى : وبعد فتح فارس وبلاد الرافدين وسوريا ومصر وبعد ما أدخلت تأثيرات هيلينية عن الترجمات السريانية ، صار الاسلام قوة تاريخية استمرت قرونا عديدة . وعلى هذا ليس صحيحا أن نربط كل شيء جيد فى الاسلام مع العنصرية الإيرانية أو أن نربط الإسلام بالعنصرية العربية ، فالاسلام دين توحيد مطلق وأيضا حضارة مصطفاة معقدة ، وكان من عناصرها العنصر الإيرانى .

ولبس من الصحيح أيضا اعتبار أن العرب كانوا عنصرا غير معروف للفرس ، وأنهم كانوا برابرة جهلاء ظهروا من الصحراء المجهولة وأخذوا الفرس المتمدنين على غرة : فالفرس كانوا يعلمون مدى قوة العرب ، فشهبور الأول هزمته جيوش عرب تدمر التى كانت تصارع فى مدنيتها أعظم مدنيات الفرس والرومان ، وعلى مدى قرون عديدة كان ملوك الفرس يقاومون الغزو العربى الخطير الذى يقوم به عرب الحدود .

ولا يجب أن ننسى ما للعرب من خبرة طويلة فى فنون القتال تعلموها فى القتال الذى كان يحدث داخل الجزيرة العربية نفسها بين القبائل العربية فيما بينها ، أو بين العرب وأبرهة . وفى الوقت نفسه كان يوجد اتصالات سلمية بين العرب والفرس فقد تربى فبهرام الخامس [٤٢١ — حوالى ٤٣٨] فى بلاط الحيرة واتخذ عادات عربية ، ونصره العرب فى استعادة عرشه بعد أن خذله الفرس، ونظراً للاحتكاكات المستمرة بين الحكام الفرس وعرب الولايات الواقعين تحت تأثير الحضارات الرومانية والفارسية ، لذا فإن المغالاة فى الفارق الحضارى بين الشعبين أمر غير سليم .

وحقيقة الأمر أن العرب كانوا أكثر تقدما مما تشير إليه رواياتهم ، وكان لهم حضارات قوية مزدهرة أقدم من حضارة الفرس ، مثل مملكة سبأ وسد مأرب فى الجنوب والأنباط فى الشمال ، ولكن فى إيران فإن التقاليد الحضارية التى ينسبها المؤرخون المحدثون إلى « الشعب الفارسى » كانت قاصرة على قلة مختارة : أما معظم الشعب ، الذى لا نعلم عن حياته الثقافية والدينية أى شىء، فلا يمكن أن يكون قد عاش على مستوى حضارى أعلى من مستوى العرب:ومن البلاهة فى الواقع الحديث عن عقلية آرية (فارسية) فى مقابل عقلية سامية عربية،وفى الواقع إذا تحدثنا عن الحضارة الآرية ،فيجب ألا ننسى أنها كانت خاضعة لمدى طويل للتأثيرات السامية .فقد نشأت معظم الحضارات الفارسية ومدنها ومراكزها الهامة فى بلاد الرافدين؛ وكانت اللغة الرسمية للامبراطورية الأكمينية والبارثية هى الآرامية وكتابها من الأرمن : وقد تأثرت إيران القديمة تأثيرا قويا بالحضارات السامية العربية فى بلاد الرافدين . وقد أخذ البارثيون والساسانيون الحنفية والمسيحية والمانوية، وكل هذه المذاهب والأديان أصلها سامى، عن العرب. وفكرة كون إيران

آرية مادة في المائة خرافة، وإسلام إيران ليس أمراً غريباً أو معجزة كما كان يظن في الماضي، فالدين الإسلامي بتباعده وإنكاره لفلسفات الميتافيزيقا والتقاليد المتوارثة، وإصراره على القيم الأخلاقية والاختيارية، والمساواة الاجتماعية قدم نظرة حديثة وديمقراطية إلى المذهبية العتيقة التقليدية البالية في إيران بما تحويه من طبقية وإباحية وقسوة واستغلال واستعمار (إذ لم تكن بلاد الرافدين وغيرها من المناطق الخاضعة للامبراطوريات الفارسية فرساً، بل عومل سكانها على أنهم رقيق) فالإسلام، مثل المسيحية، قد حطم البناء الطبقي العنصري للمجتمعات التقليدية القديمة: ففي الإسلام الخادم والسيد، الحاكم وغير المتعلم، كلهم سواء أمام الله، ولذلك فمن السهل فهم الأسباب التي دفعت جماهير الشعب الفارسي إلى إعتبار الفتح الإسلامي تحريراً حقيقياً من نير العبودية الفارسية.

ويتفق المؤرخون أن قوة السلاح لم تكن العامل الأساسي في الدخول في الاسلام؛ بل كان واحداً من أهم هذه العوامل هو الاقتصاد: فمنذ أنه كان على غير المسلم دفع ضريبة أكبر، أسلم عدد كبير من كبار الملاك. ويجب أيضاً ألا نطبق نظرياتنا الحديثة عن الشعوبية في العصر الحديث، على إيران في القرن السابع الميلادي، فرغم أن العرب قد قوبلوا بمقاومة عنيفة في طبرستان وديلم وجيلان (في الأقاليم الجبلية على السواحل الجنوبية لبحر قزوين) إلا أن هذا لم يكن ناتجاً عن وطنية إيرانية تدافع عن نفسها ضد الغزاة الساميين فبالمثل، قبائل كادوسي، الذين كانوا يسكنون نفس المنطقة قاوموا الأكيمنيين، كما قاوم الديلم الامبراطوريات المختلفة. فهؤلاء كانوا قبائل جبلية ترفض الاستسلام لقوة مركزية سواء كانت

إسلامية أو زردشتية ، سامية أو آرية ، ومن المعلوم أن سكان إيران الكبرى لم يكونوا جميعا من الفرس .

وفي سجستان وطخارستان (إقليم بلخ) استمرت المقاومة للعرب حتى بداية القرن الثامن . وفي ٦٦١ ، وضع دهقان طخارستان والنبلاء على عرش فارس بن يزدجر الثالث فيروز ، ولكنه لم يستمر طويلا إذ هرب إلى الصين عام ٦٦٤ أملا المساعدة منها مثل مافعل أبيه ، ولكنه لم يتحقق أمله نظراً لبعد المسافة . وقد فعل نرسي ، بن فيروز نفس الشيء وهرب إلى الصين بعد سقوط بلخ في أيدى العرب عام ٧٠٧ . وقد وضع العرب حاميات في المدن المفتوحة ورحبوا بهجرة العرب إلى فارس . فمثلا في عام ٦٧١ — ٦٧٢ في عصر الخليفة الأموى ، معاوية أرسل حاكم العراق الذى كان يقيم في الكوفة — وهى في الأصل مدينة عسكرية تأسست عام ٦٣٨ بالقرب من بابل — أرسل ٥٠٫٠٠٠ عسكرى عربى للاستقرار في نيسابور ومرو وبلخ ومدن أخرى في المناطق الشرقية التى كانت تحت سلطانه ، وهؤلاء الوافدون الجدد امتزجوا بالأهالى الأصليين الذين صاروا الآن على دين واحد ، ومنذ ذلك التاريخ أختفى الشعور بعربى وفارسى ، فالكل مسلم ، وكل يعمل بوحى من الاسلام ، ومنفعة الدولة الاسلامية أو منفعته الخاصة ، كما يوضح ذلك السجل التاريخى لهذه البلاد في العصور الأولى بعد الفتح الاسلامى .

قسوة الفرس :

كان الفرس قساة القلوب لا يعرفون الرحمة ، مثل غيرهم من شعوب المناطق الجبلية كالأشوريين والرومان . فكثير من ملوك الأشوريين قتل بيد إبنه وكثير من أباطرة الرومان قتل بيد ولى العهد . وكان أول عمل

يقوم به الملك الفارسى بعد توليه السلطان قتل اخوتهم حتى لا ينازعونهم العرش . وكان أول من فعل ذلك من الساسان هو أردشير بن بابك الذى قتل جميع اخوته بعد أن بايعوه بالملك . وكان لا يتردد الملك الفارسى فى قتل ابنه أو سحل عينيه إذا اشترك فى ثورة عليه وكان محرم كذلك على الأبن الدخول إلى غرفة أبيه دون استئذان : وكسرى أنوشروان المشهور بعدالته أحرق جفنى إبنه بالحديد ! بجمر حين قام بمؤامرة وقتل باقى الثوار . ولما طمع كسرى فى كنوز والى أذربيجان سباهسالارا الذى كان لديه من الذهب والفضة مليونين من الدنانير ، ومن الحلى ستمائة ألف دينار ومن الخيل والبغال ثلاثون ألفا من الغنم ومائتان ألف من العبيد ، ألف وسبعمائة عبد تركى ورومى وحبشى ، ولديه أربعمائة وألف جارية ، وقد استولى عنوة على بيت لعجوز وهدمها كما تزعم ، واشتكت إلى كسرى فأمر الملك بسلخه ويرمى لحمه للكلاب ويملىء جلده بالقش وتعليقه على باب القصر كما سبق أن ذكرنا :

وهناك عقوبة مشهورة يعاقب بها خاصة الأمراء الثائرون وهى سحل العيون بابرة محماة أو بصب الزيت المغلى فى مآقى الفريسة ، وكان الاعدام ينفذ عادة بالسيف . وبعض الجرائم مثل الخيانة للوطن أو الخروج على الدين كان يعاقب عليها بالصلب ، ويحكى أمين مارسلن أن الفرس قد اعتادوا السلخ الكلى أو الجزئى للمجرمين وهم أحياء ، وقد حـــــدث فى اضطهاد النصارى أن رجم الشهداء ، وقتل بعض الشهداء بوضعهم كالحجارة فى البناء وقد شاعت أيام الساسانيين عقوبة الموت تحت أقدام الفيلة ، ويذكر «التكاذم نسك» أنه كان من المستطاع إبقاء الأشخاص الذين يحكم عليهم بالموت لاستخدامهم فى أغراض طبية .

ويذكر تنسر أن هناك ثلاث جرائم لها عقاب خاص هو التعذيب . أما الجرائم فهى :

١ — ممارسة السحر

٢ — قطع الطريق

٣ — تأويل الدين تأويلا مجرما

أما التعذيب فقد أقيمت له :

١ — البقر

٢ — الحمير

٣ — الأشجار

٤ — كما أعدت له الأفيال

والمقصود بالفيل هو أن يلقى قاطع الطريق وصاحب البدعة تحت أرجل الفيل .

أما البقرة فهى وعاء على صورة بقرة يذيبون فيه الرصاص ويلقى فيه المجرمون .

أما الحمار فهو من حديد وله ثلاث أرجل ويعلق من رجله حتى يهلك .

أما الشجرة ففيها أربعة مسامير منصوب أطرافها إلى أعلى ، وهذه عقوبات لا يلقاها غير السحرة وقطاع الطرق .

وقد عرفتنا أعمال الشهداء بكل أنواع التعذيب المحزن التى كانت تتخذها المحاكم فكانوا يعرضون أمام المتهمين ، لتخويفهم ، بأدوات التعذيب المختلفة

وكان المجرمون المسجونون يعلقون من الإصبع الخنصر ، أو يعلقون ورؤوسهم إلى أسفل ، وأحيانا من الرجل ، وكانوا يعذبون بضربات من سياط صنعت من أعصاب البقر المجدولة ، وكانوا يصبون فى الجروح الخل والملح والمواد الكاوية « النوزة » وكان أعضاء البؤساء تكسر أو تقطع واحدا واحدا ، وكانوا يسلخون رءوسهم أو وجوههم من الجبهة حتى الذقن ، أو جلد الأيدى أو الظفر ، وكانوا يصبون الرصاص المذاب فى آذانهم وعيونهم ويقطعون ألسنتهم وقد شقوا رقبة أحد الشهداء ثم شدوا اللسان وقطعوه من الشق . وكانوا يضعون الإبر فى العيون وفى سائر الجسد ، وكانوا يستمرون فى صب الخل والخردل فى أفواههم وعيونهم وخياشيمهم حتى يأتيهم الموت ، وكانوا يستعملون فى الغالب آلة هى المشط الحديدى الذى يقطعون به لحم السجين ، ولكى يضاعفوا له العذاب ، يصبون النفط على العظام التى كشف عنها اللحم ثم يشعلون فى النفط النار ، ويظهر التعذيب بالعجلة والموت فوق كومة الحطب التى يغذيها النفط فى هذه المجموعة المروعة من القسوة : التى يوجد عدد كبير منها فى قانون العقوبات الهندى القديم .

الديانة فى العصر الساسانى :

الديانة الساسانية هى مشكلة شديدة التعقيد ، وإن كانت على عكس الفترات السابقة يوجد منها عدد كبير من النصوص الدينية والكتابات عن النظام الكهنوتى باللغة البهلوية « الفارسى الوسيط الساسانى » بالإضافة إلى عدد من المصادر المدونة بالإغريقية والأرمنية والسريانية ومصادر أخرى . وتعطينا المصادر غير السريانية صورة عن الديانة الساسانية لا تتفق مع ما عودنا به المتون البهلوية ، وحتى إذا أخذنا فى اعتبار احتمال أن المراقبين

الأجانب لم يستطيعون فهم الحقائق ، أو ربما ترجموها باصطلاحات مفاهيمهم الدينية ، فلا يزال يوجد اختلاف جوهرى . وربما يمكن تفسير ذلك بأنه ثمة إختلاف بين دين الشعب وبين دين الخاصة ، أو بين دين طبقة المحاربين وبين طبقة رجال الدين . كما أن ثمة احتمال آخر أن المصادر البهلوية المبكرة نفسها (أجلها مؤرخة بعد الفتح العربى) متأخرة . ولا يمكن تجاهل الإنطباع بأن المذهب الزرادشتى مر بتعديلات كثيرة بعد الفتح العربى مباشرة ، ورغم هذا يبدو غريبا إلا أن النصوص البهلوية التى لدينا لابد أنها قد تأثرت بالوحدانية والتبسيط الإسلامى . وقد احتفظ الدين الساسانى بسمات أسطورية عديدة وعناصر من عبادة الطبيعة منذ العصور الأولى للانتقائية أكثر من المذهب الزرداشتى الذى من العصر الاسلامى .

فمثلا ، تتحدث المصادر الأجنبية عن الدور القوى الذى كانت تلعبه عبادة الشمس التى اختفت تماما من الآداب البهلوية ، ولكن فقط فى العصر الساسانى نجد أن جذاذات العصر البارثى قد جمعت سويا فى الافستا [الأوستا] ، وهى عبارة عن متن قانون دينى يتكون من واحد وعشرين كتابا رمزيا . « ونفس فكرة الكتب ، أو الكتاب المقدس كانت غريبة عن المذهب لأنها نقلت عن الساميين » ، ومن المؤكد أن أجزاء من الأوستا قد وجدت أولا فى اللغة البهلوية ثم ترجمت بعد ذلك إلى اللغة الإيرانية القديمة ، وفى الوقت نفسه لا يستبعد وجود رواية متواترة للنص الأصلى ، كما أنه من المحتمل أن أجزاء من الافستا (« والاسم ابستاك apastak » يعنى جوهر المتن « خلافا للزند Zand) » بالبهلوى التعليق) ترجع إلى أصوله القديمة .

وإبان العصر الساسانى، تطورت المدرسة الدينية، أو على الأقل بدعة زروان «رغم أن بعض العلماء يعتبرها هى الدين نفسه»، تطورا كبيراً، وهذه البدعة

قد وضعت فى الطبقة الأولى « الأزل » قبل الإلهين أو هرمزد وأهريمان عنصرى الخير والشر ، والنور والظلام ، ولا ريب أنه إبان هذه الفترة ، كما هو واضح من ميلاد هذه البدع وأديان مثل للمانوية والمزدكية ، كانت الفلسفة الدينية الزرادشتية سائلة وعلى علاقة وثيقة مع الديانة الشعبية التى لا نعلم عنها شيئا : عبادة النار ، شعار المزدكية ، يدل على وجود المعابد التى كان على الكهنة القيام بالخدمة فيها خمس مرات يوميا ومن العدد الكبير من بيوت النار (التى تصور دائما على النقود الساسانية) التى توجد فى جميع أنحاء إيران . « ومن المهام عمل دراسة لكل موقع من مواقع هذه الأماكن المقدسة ، ومقارنتها مع مقامات النساك والأئمة العديدة فى العصر الإسلامى ». فى الواقع كان يوجد عدد من « النيران » المحلية التى كانت تعتبر مقدسة فى قراها، وأهم هذه النيران آذر — adur) ، هى الثلاث نيران :

نيران « آذر فريغ ، النار الحامية للكهنة ، فى إقليم كابول »

آذر كشنسب ، النار الملكية ، بين أورميا وهمذان « طاقة سليمان »

وآذر بورزين — مهر ، نار الفلاحين فى جبال ريواند شمال شرق نيسابور .

التقويم الزردشتى : يتكون من ثلاثين يوما بالإضافة إلى خمسة أيام النسىء ، وقد عاشت أسماء الأشهر عبر الإسلام ولا تزال تستعمل حتى اليوم ، وهى تذكر أسماء الجان فى المجتمع الزردشتى :

١ ـ فروردن (فروشى ها — الملائكة الحارسة) .

٢ ـ اردوهيشت رئيس الملائكة اشا « القانون العليم »

٣ ـ خورداذ (هورروتات) « الكمال Integrity » واحد من امشاسبنتا أو « المقدسون الخالدون »

٤ ـ تير (تيشتريا)، الشعرى اليمانية

٥ ـ مرداذ (امرتات) ، الخلود ، واحد من امسشاسبنتا ameshaspenta

٦ ـ شهريور (خشاثرا وريا) رئيس ملائكة المملكة

٧ ـ مهر (ميترا)

٨ ـ ابهان (أناهيتا) المياه التى تمثل الآلهة اناهيتا الذى كان ملوك الساسان كهان لها

٩ ـ آذر (آثر) النار

١٠ ـ داد (أو هرمزد — الخالق)

١١ ـ بهن « الفكر الطيب » واحد من أهم امشاسبنتا

١٢ ـ اسبذارمذ الخضوع أو الاستسلام المقدس (اسبنتا آرميتى) وهو رئيس الملائكة الحامية يمثل الأرض.

الأعياد :

يوجد عدد من الأعياد وبعض من أقدمها لا يزال يحتفل بها حتى الآن: أكثر هذه الأعياد شعبية وبهجة كان ولا يزال هو عيد النوروز « هو اسم العيد بالفارسى أيضا ، وعيد احتفال رأس السنة الجديدة ٢١ مارس ، والذى يستمر الآن ١٣ يوما ، وإن كان فى العصر الساسانى لم يزد عن ستة أيام فقط :

ومن الأعياد الكبيرة أيضا، عيد «المهرجان» بالفارسية وهو عيد مترا، ويحتفل به يوم ١٦ من شهر مهر الذى يحمل اسمه ، والذى كان عيد خريف السنة الجديدة السابق ، وكان فى الأزمنة القديمة عيد رأس السنة فى الخريف:

وعيد ساذ ك « فارسية حديثة : سادة » وكان عيد النار يخلد ذكرى إكتشاف النار بمعرفة ملك أسطورى فى العصور القديمة .

ومما يوضح الموقف الحرج لنفوذ الكهنة المجوس وإحياء المذهب القويم القديم ، بعد تأسيس الملكية ، ظهور مانى المفاجىء ولبدعته الخطيرة المانوية التى سرعان ما انتشرت عبر مناطق العالم المتمدن .

المجتمع والادارة(١) :

المجتمع الساسانى :

كان المجتمع الساسانى مجتمع طبقى . لكل طبقة منه امتيازات خاصة بها : وكان المجتمع تبعا لذلك ينقسم إلى أربعة طبقات اجتماعية ، والعلاقة بين هذه الطبقات غير مفهومة تماما فى الوقت الحاضر .

والطبقات الوظيفية أيام الساسانيين كانت :

١ — طبقة رجال الدين « آثروان »

٢ — طبقة رجال الحرب « ارتشتاران »

٣ — طبقة الكتاب والإداريين « ديبران »

٤ — طبقة الشعب « الفلاحين : وستريوشان ـ والصناع ـ هوتخشان »

وهذه الطبقات إلى حد كبير هى نفس الطبقات التى كانت قائمة فى المجتمعات الإيرانية القديمة والأخمينية ، والاختلاف الجوهرى يرجع إلى طبقة الكتاب الذين لم يكن الآريون على علم بهم والذين نقلوا نظامهم عن

(١) ملخص من كتاب : إيران فى عهد الساسانيين . ترجمة .

بلاد الرافدين : كما يبين ذلك أصل الكلمة نفسها ، فالكلمة مأخوذة من السومرى القديم ديب/ دوب/ يحفر ، يكتب . ونظرا لنظام المركزى الشديد للدولة الساسانية كان يحتل الكاتب دبير مركزا هاما فى الدولة ، ولكن كان عليهم أن يكونوا على إلمام تام بنظام الكتابة الرمزية الآرامية — إيرانية .

ويقول الجاحظ فى كتاب التاج أن أردشير قد جعل الناس على أقسام أربعة وحصر كل طبقة على قسمتها :

فالأول : الأساورة من أبناء الملوك .

والقسم الثانى : النساك وسدنه بيوت النار .

والقسم الثالث : الكتاب والأطباء والمنجمون .

والقسم الرابع : الزراع والمهان وإضرابهم .

وقد قسمت كل طبقة إلى عدة أقسام :

رجال الدين منهم الحكام (دادور) .

والعباد ، وطبقتهم الأقل درجة والأكثر عدداً هى المغان (جمع مغ)

والزهاد والسدنة المربدان (جمع هربد) .

ثم علماء مختلفون يشغلون وظائف خاصة

ثم المراقبون (دستوران) .

والمعلمون (مغان — أندرزبد) .

وكان محظوراً الأنتقال من طبقة إلى طبقة أعلى .

والأقسام الإجتماعية من الواضح أنها مورثة عن الفرثيين وتتكون من :

١ ـ شهرداران : الأمراء .

٢ ـ وأسبوهران : رؤساء وأفراد العائلات الكبرى الممتازة .

٣ ـ بزركان : العظماء والإشراف .

٤ ـ إزادان : طبقة النبلاء الأقل شأنا :

وهذا التقسم لا يشمل غير الطبقة الممتازة بينما التقسم السابق يتعلق بالشعب عامة :

وكان يشمل الأمراء التابعين وحكام ولايات (مرزبان ـ من مرز ـ حدود) والأربعة العظماء منهم كانوا يشغلون الأربع أقاليم الهامة . وحكام الأقاليم الكبرى الذين كانوا ينتمون إلى البيت المالك : والذين كانوا يحملون لقب شاه ، ولذلك لقب الملك إيران بـ (شاهنشاه) أى ملك الملوك . وكان ينتسب إلى هذه الطبقة أيضاً الملوك وخاصة الأمراء الذين يؤمل فيهم أن يولوا عرش إيران : ولكن هؤلاء الحكام الذين ينتسبون إلى الأسرة المالكة لم يكونوا يعتبرون ملوكا تابعين يتوارثون العرش ، فقد كان الملك يستطيع عزلهم ، وكان هؤلاء الأمراء ملزمين بالحضور إلى البلاط ليقدموا حسابا عن أعمالهم .

واسبوهران :

لقد ورث الساسانيون نظام الفرثيين الاقطاعى ، وهكذا نجد فى الدولة الجديدة التى أنشأها أردشير فى المرتبة الثانية من نظام الطبقات : الطبقة القوية المكونة من رؤساء الأسر ، وعلى رأسها رؤساء أفراد العائلات السبع

الممتازة ومن بين هؤلاء ثلاث على الأقل ، كانوا فى هذه — المرتبة الرقيعة منذ أيام البرت وهم قارن / و / سورين / و / أسلباهبد : كلهم من أصل أشكانى و يحملون لقب بهلوانى « برنى » وقد كان الانحدار من أسرة البرت علامة على الامتياز حتى أن — بعض أفراد الأسر السبع الممتازة فى أيام الساسانيين ، وبعبارة أدق أسرتا سبنديان / و / مهران ، نسبوا أنفسهم إلى الأشكانيين .

وأولى هذه الأسرات السبع الأسرة المالكة ، أسرة الساسانيين ، الأسر الأخرى هى الخمس المسماة قارن بهلو ، سورين بهلو ، أسباهبد بهلو ، سبنديان ، مهران ، وربما كان منها أسرة زيك .

ومن المحتمل ألا تكون الأستقراطية الاقطاعية مقصورة على أفراد الأسرات السبع العظيمة ، فهناك كثير من الالقاب التى تنتهى بالمقطع آن ، وهى تدل على أسرات إقطاعية أو فروع من بعض هذه العائلات : وليس لدينا معلومات محددة عن الامتيازات التى كان يتمتع بها أصحاب الاقطاعات ولا نعلم أ كان لحكومة الملك بعض سلطان على المقاطعات التى تقع فى حكمهم ولكن من المؤكد أن الرعايا كانوا ملزمين بدفع الضرائب أما إلى سيد الاقطاع أو إلى الدولة أو إليهما جميعاً ، وأنهم كانوا ملزمين أداء الخدمة العسكرية تحت رياسة صاحب الاقطاع :

ونجد فى أيام الساسانيين ، بعض المناصب تورث بين أفراد الاسر السبع الممتازة « فكان للاسرة المسماة بالاردوانية الرتبة الملكية وكان من أختصاصها تتويج الملك ، وأسرة أخرى كانت تتوارث إدارة شئون الحرب ، وثالث تتولى الإدارات المدنية ، ورابعة يعهد إليها فض المنازعات بين المتخاصمين الراغبين فى التحكيم « وخامسة تتولى قيادة الفرسان ، وسادسة

تتولى جباية الضرائب ورعاية الكنوز الملكية ورابعة تتولى العناية بالأسلحة ونظام التعبئة العسكرية .

لكن لا تخضع لنظام الوراثة الوظائف الكبرى مثل رياسة الوزارة وقيادة جيش الملك ومستشارى الملك .

بزركان :

« العظماء » و « الاشراف » و « أهل البيوت » وهم يشملون الضباط الكبار للدولة ، وأعلى طبقة من رؤساء الأدارات ، والوزراء :

آزادان :

الإشراف أو الاحرار . طبقة النبلاء الأقل شأنا : وهم يشغلون الوظائف الادارية الصغيرة — التى تكون العمود الفقرى للدولة ، ومنهم أيضاً رؤساء العائلات و « الدهقان » عمدة القرية ومالك الأرض ومن المحتمل أن نعد الفرسان من هذه الطبقة . وكانوا يسمون الأساورة

النظام الإدارى للدولة :

رئيس الوزراء(١) :

كان رأس الجهاز الادارى للدولة رئيس الوزراء وكان يلقب أولا هزاربد ، من قبل يلقب هزار باتى أيام الأخمينيين ، أى رئيس الألف رجل . وقد أستمر هذا اللقب أثناء حكم البرثيين ثم أنتقل منها إلى العهد الساسانى

---

(١) ويطلق عليه أيضا (شيلبارك فى البلاط الايرانى) ولكن كان عادة يدعى (بزرك فرمادار) القائد العظيم . ونظرا لأهمية الملك فقد إقتصرت مهامه فقط على كونه مساعد .

وكان مكلفا بادارة دفة الأمور فى الدولة تحت رقابة الملك، ويقوم مقام الملك حين يذهب الملك فى رحلة أو فى حرب ، وكان المسئول أيضا عن المفاوضات الدبلوماسية وأحيانا يرأس قيادة الجيش . وباختصار كان مستشار رئيس الملك يجمع فى يدية كل إدارة الدولة :

الـكتاب وموظفوا الادارة المركزية :

أن الجاه الذى كان يتمتع به طبقة الـكتاب (دبيران) فى إيران واضح غاية الوضوح، فان الإيرانيون كانوا دائما يعنون بالشكل . فالوثائق الرسمية ومراسلات الافراد ينبغى أن تصاغ صوغا أنيقا ، وتختلط بها نبذ من أقوال الحـكماء والحـكم الخلقية والدينية والأشعار والالغاز الرائعة ، لـكى تـكون الرسالة أو الوثيقة قطعة جميلة ، كما أن الطريقة التى يصاغ بها الـكتاب ويوجه يراعى فيها الفوارق بين رتبتى المرسل والمرسل إليـه مراعاة دقيقة .

وكان الـكتاب دبلوماسيين حقيقيين ، فقد كانوا يكتبون كل أنواع الوثائق ويسيطرون على مراسلات الدولة ويصيغون جميع الأوامر الملـكية وينظرون قوائم الضرائب ومحاسبات الدولة . وكان عليهم فى الـكتابة للاعداء وخصوم الملك أن يراعوا الظروف التى يكتبون فيها فيطبعوا كتاباتهم بالمسالمة أو التهديد والوعيد . ولـكن إذا كانت للعدو الغلبة عرضت حياة الـكاتب للهلاك .

وكان رئيس طبقة كتاب الدولة يلقب بلقب (إيران — دبيربد) أو (ديبهران مهيست) وكان أحيانا يعين من بين حاشية الملك ويعهد إليه ، حسب الظروف ، بمهام دبلوماتية .

وقد عدد الخوارزمى كتاب الدولة على النحو الآتى :

١ ـ كاتب الأحكام .

٢ ـ كاتب البلد للخراج .

٣ ـ كاتب حساب دار الملك ؛

٤ ـ كاتب الخزائن .

٥ ـ كاتب الاصطبلات .

٦ ـ كاتب حسابات النيران .

٧ ـ كاتب الأوقاف :

وكان فى بلاط ملك إيران كاتب مختص بالشئون العربية ، وكان يتخذ أيضا مترجما ، وكان يؤجر من عرب الحيرة . وكان كبير الكتاب من بين كبار المرافقين فى رحلة الصين ؛ وكان يوجد معلمين فى البلاط الملكى مثل معلم أبناء الأسر الكبيرة ومعلم البلاط الذى يحتمل أن يكون هو نفسه رئيس الوزراء ، وكان يوجد أيضاً معلم المجوس والمعلم الخاص بسجستان . وموظفون أخرون كانوا قواما على الأختام ورؤساء ديوان الأخبار ، وأمناء سجلات الملك . وكان جميع الوزراء والكتاب يتغيرون أحيانا عند إرتقاء الملك العرش . ومن طبقة الوزراء كان رئيس التشريفات (الاستبد)

رجال الدين :

كان رجال الدين يدعون مغان وهم خاصة من قبيلة واحدة وحلبوا على خدمة الآلهة وكانوا من الميدين ولهم أمتياز الرياسة الروحية فى الديانة ثم عندما أجتاحت الزرد شتية ميديا وفارس أصبح المغان أيضا السادة الروحانيين لدين زرادشت الجديد والمغان هى التسمية لهذه الجماعة أيام الاشكانيين والساسانيين ، أما الأوستاقشير إليهم بالأسم القديم أثروان وكان يطلق عليهم إسم ماجوش .

وإلى جانب سلطانهم الروحى ، كان لهم حق القضاء وأثبات شهادات الميلاد الميلادوعقود الزواج والقيام بالتطهير ورعاية القوانين : كما كانوا يملكون أراض ضخمة وموارد الغزيرة التى يحصلون عليها من الغرامات الدينية والعشور والهبات ، وكان لهم أستقلالهم الخاص بدرجة كبيرة لدرجة أنهم كانوا يؤلفون دولة داخل دولة . وكان رؤساء هذه الطائفة يملكون عقارات كبيرة .

ورجال الدين الزردشتيون يكونون جماعة مرتبة ترتيبا دقيقا ولها درجات مبسقة معلوماتنا عنها ليست دقيقة .

ورئيس المرابذة جميعا هو موبدان مويد وهو عندالزرد شتيين بمثابة البابا عند النصارى وكان له السلطان الأعلى فى المسائل الدينية : وتدل الظواهر على أنه كان يعينه الملك وكان هو مسئولا عن تعيين وعزل الموظفين الدنيين ويشترك فى تسكوين هيئات محاكم التفتيش وخاصة فى الاقاليم التى يشتد فيها العداء الدين .

وكانت الدولة مقسمة إلى مراكز دينية على رأس كل منها موبد ، ويليهم طبقة رؤساء المعابد ويلقبون بلقب مغان مغ . أما الطبقة الكبيرة من رجال الدين الصغار فتعرف باسم المغان (مگوان مگوگان) .

المرابذة :

وكان المسئولون عن القيام بالمراسيم الدينية فى المعابد يعرفون باسم المرابذة أو أثرابايتى فى الاوستا ومعنى هربذ هو « خادم النار »

والرئيس الأعلى للهرابذة هو الهربذان هربز ، وهو يلى الموبذان موبذ وكانوا يشغلون الوظائف القضائية ويصدرون أحكاما بوصفهم قضاة .

وكان على الفرد أن يصلى للشمس أربع مرات أثناء النهار ، وأن يصلى للقمر والنار والماء : ونار البيت لا يجوز أن تخبو، ولا يجوز أن تقع الشمس على النار ، ولا يجوز أن يقترب الماء والنار . وآنية المعدن ينبغى أن لا تصدأ لأن المعادن كانت مقدسة . وقد كانت هناك آداب دينية وكتب مقدسة وكان رجال الدين يشرفون على العلم : وكلها كما رأينا مليئة بالخرافات .

إدارة الاقاليم

كان من كبار لموظفى الدولة حكام الأقاليم (الستاربة « جمع ستراب ») أو المرازبة (جمع مرزبان) . وبجانب المرزبان - شهر داران الذين يلقبون بلقب شاه ، وجد مرازبة من درجة أقل يحكمون الأقاليم ويقيمون بها .

وكانت الدولة مقسمة إلى ولايات ولم يكن لها حدود ثابتة : وكان الملك يجمع أو يقسم الولايات حسب المصلحة ، وكان يغلب على المرزبان الطابع الحربى لا الطابع المدنى ،فالإدارة المدنية كانت فى أيدى موظفين مدنيين مرءوسين : وفى أثناء الحروب كان ألمرزبان يعمل قائداً بالجيش تحت رياسه الأصبهبذين .

وكان المرازبة يختارون من بين النبلاء وكان يسمح لبعضهم أحيانا بالجلوس على عرش من الفضة أو الذهب .

وكانت الولايات مقسمة إلى مديرات (أستان) وكان يطلق على حا كمها لقب أستاندار : وكان لهؤلاء الحكام عدد من الجند تحت تصرفهم .

أما التقسيم إلى كور (جمع كورة) فكان تقسيما إداريا بحتا ، ويرى نولدكه أن كلا من الكور الصغير (شهر ، ولكل منها عاصمة تسمى شهر ستان) التى تتكون منها الدولة وكان يحكمها شهريگ (شهربغ) (أى رئيس الكورة) ينتخب من بين الدهاقين : أما القرية (ديه) وسوادها (رستيگ) فكان على رأسها (ديهيگ) .

الضرائب :

كانت رياسة الضريبة العقارية من أختصاص (واستريوشانسلار) أى رئيس الزراع لأن عبء الضريبة العقارية كان يقع على الزراعة . وكان يحمل أيضا لقب توخش بد (رئيس الصناع) وبذلك يشرف أيضا على ضرائب الحرفيين وهو لذلك بمثابة وزير مالية ، وهى تتضمن فى الوقت الحاضر وزارات الزراعة والعمل والتجارة .

ومن بين كبار موظفى المالية يوجد ولاة الخراج [أماركارن] ورئيس محاسبي البلاط [دز آماركار] ووالى الخراج [أسبوران أماركار] الذى تتقاضاه الدولة من أراضى الواسبوران ، ووالى خراج [السترب]شهر بوامارکر، وهو ضابط من ضباط إدارات الأقاليم [أذرباذكان أماركار]والى خراج أذربيجان.

وكانت الضرائب الرئيسية فى الدولة تتكون من الضريبتين العقارية[١] والشخصية[٢] وكانت الضريبة الشخصية محدد مرة واحدة بمبلغ سنوى محدد . وعلى السلطات المختصة أن توزعها بقدر استطاعتها بين دافعى الضريبة، ولذلك كان توزيع وتحصيل الضرائب كثيراً ما كان سببا فى الجور وسوء الحصيلة. وكان العبء الفادح يقع غالبا على الأقاليم الغربية الغنية وخاصة بلاد بابل .

يضاف إلى الضرائب المنتظمة الهبات العادية التى كانت تقدم جبراً للملك فى الأعياد : ومن أهم موارد الدخل الملكى ، الأملاك الملكية الخاصة ومنها حقوقه فى مناجم الذهب فى فارس ، وكذلك غنائم الحروب . فقد غنم

---

(١) الضريبة العقارية كانت بالفارسية خراج التى إنتقلت إلى العربية خراج وهى تتكون من سدس إلى ثلث المحصول وتتوقف على جودة الأرض . وفى بعض الأحيان كانت تصل إلى النصف .

(١) الضريبة الشخصية تعرف باسم (جزيت) وانتقلت إلى العربية جزية ويتحملها الحرفيون .

كسرى الثانى فى حروبه الذهب والفضة والجواهر من كل صنف والنحاس والفولاذ والحديد والأطلس والسندس والمواشى والأسلحة والنساء والأطفال والأسرى من الرجال.

وكذلك كان دخل الجمارك موردا من موارد الدخل، كما هو واضح من المعاهدة التى عقدت بين — كسرى الأول والإمبراطور جستنيان سنة ٥٦٢م.

ويقول الكتاب الأرمن: أنه إرتقاء ملك جديد العرش كانوا يذيبون كل النقود المتداولة ثم يعيدون سكها باسم الملك الجديد ورسمه. وكذلك فإن الوثائق المحفوظة كانت تكتب من جديد باسمه.

ونفقات الدولة كانت غالبا تصرف على الحروب، ومصاريف البلاط ورواتب الموظفين أى على دولاب العمل العادى فى الدولة، ثم فى الأشغال العامة لتيسير زراعة الأرض وإنشاء الجسور والمحافظة عليها وحفر الترع والقنوات، ولو أن المتبع عادة أن تفرض على أهل الجهة التى تستفيد من مشروع ما ضرائب أستثنائية حتى يتيسر تنفيذه:

وكان الملك يعفى رعاياه أحيانا من المتأخر عليهم من الضرائب ويوزع، أحيانا، هبات مباشرة على الفقراء: إلا أن ما كان ينفق عادة فى هذا السبيل كان ضئيلا لأن ملوك إيران كان من عادتهم أن يجمعوا فى خزائنهم ما يستطيعون من الأموال والنفائس.

ففى السنة الثامنة عشرة من حكم كسرى الثانى كانت الخزائن التى نقلها الملك إلى بيت المال الجديد بالمدائن تحوى ٤٦٨ مليون مثقال من الدراهم [منها ٤٨ مليونا نقوداً سكت فى عهدى فيروز وقباد فى ١٢٠٠٠ كيس، فى كل كيس ٤٠٠٠ مثقال] وهو ما يوازى ٣٧٥ مليون فرنك من الذهب، على فرض أن وزن المثقال يساوى الدرهم الساسانى. ويضاف إلى هذا مقادير

هائلة من الجواهر والكسى التى كان معظمها مما فرض على الناس من خراج أستثنائى : وقد جاء فى الرسالة التى كتبها كسرى بنفسه بعد عزله أن محتويات بيت المال كانت أكثر مما ذكر : فبعد السنة الثالثة عشر كان بيت المال ٨٠٠ مليون مثقال من الدراهم ، وفى السنة الثلاثين على رغم من الحروب الطويلة وتكاليفها ، كان به ستمائة وألف مثقال أو ما يساوى قيمة ثلاثمائة وألف من الفرنكات الذهبية (هذا عدا غنائم الحرب) وهذه الزيادة الأخيرة كانت نتيجة أجتباء بقايا السنين وما إنتهب من بيوت أموال الملك من ذهب وفضة ومن خزائنه من جواهر ونحاس ورد ذلك كله إلى موضعه .

الصناعة والتجارة والمواصلات :

يلخص هيون تسيانج السائح الصينى فى كلمات قليلة منتجات الصناعة فى إيران فيقول : تنتج البلاد الذهب والفضة والنحاس والبلور الصخرى والجواهر النادرة والمواد الثمينة المختلفة وصناع إيران يجيدون نسيج السندس الحريرى والأقمشة الصوفية والسجاد وغيرها .

وقد أعتاد الايرانيون إنشاء مستعمرات من أسرى الحرب من البلاد المختلفة لأدخال فروع جديدة من الصناعة وكذلك لزرع الأراضى البور : وقد أستطاع الفرس الأستفادة من أسرى الرومان فى الأعمال الهندسية وإنشاء السد المعروف باسم ــ سد الأمبراطور وكذلك أستفيد من الأسرى فى صناعة الحرير .

وكانت التجارة البرية[1] تتبع طرق القوافل القديمة . فمن المدائن العاصمة على شاطىء دجلة ، كان الطريق يؤدى إلى همدان ، عن طريق حلوان وكنجاور ، وقد تفرعت منه طرق عديدة طريق ناحية الجنوب يخترق

(١) بقيت إيران منذ العصر البارثى ملتقى الطرق بين أواسط آسيا والصين من ناحية وبين العالم اليونانى من ناحية أخرى .

خوزستان وفارس عند الخليج العربى ، وطريق يذهب إلى الرى، قرب طهران الحالية يبلغ به السائر بحر قزوين مخترقا منحدرات جبال جيلان وسلسلة البرز أو يسير منه إلى خراسان فى رحلته حتى الهند عن طريق وادى كابل أو حتى الصين عن طريق تركستان وحوض طارم .

أما عن المواصلات مع الإمبراطورية الرومانية فقد كانت مدينة نصيبين مركزا هاماً لها فى الشرق على شاطىء الدجلة ، وكالينيك فى الغرب على شاطىء الفرات ، وكانت التجارة البحرية مهمة ، وحينما أصبح أردشير الأول ملكا على ميسين وخرسين وسع المرافىء البحرية القديمة وأنشأ مرافىء جديدة . وقد أشرك الفرس العرب معهم لإنشاء بحرية قوية نافست الأسطولين الرومانى والحبشى بل تفوقت عليهما، وكان هذا سببا فى سقوط سمعة الرومان فى البحار الشرقية . وكان الحرير أهم أصناف التجارة عند الفرس ، وكان الفرس يصدرون إلى الصين الكحل الايرانى المشهور والسجاجيد البابلية والأحجار الثمينة والمرجان واللؤلؤ من البحر الأحمر والأقمشة المنسوجة فى مصر والشام والمواد المخدرة من آسيا الوسطى .

نظام البريد :

استعمل الساسانيون نفس نظام البريد الذى كان متبعا أيام الأخمينيين ، وكان البريد مسخرا لمصالح الدولة لا لمصلحة الرعية ، وكان غرضه الأول ضمان مواصلات سريعة بين الحكومة المركزية وإدارة الأقاليم ، وكانت الوسائل والأشخاص تسير فى طرق معبدة ، وكذلك كانت المحطات مزودة بالموظفين والخيل وكان هناك سعاة بريد يركبون الخيل وآخرين من المدائين، وهؤلاء كانوا يستخدمون بنوع خاص فى الأقاليم الإيرانية الخالصة حيث المسافات بين المحطات أقصر كثيراً جداً مما فى البلاد السورية أو العربية التى كان يستخدم جزء منها بريد الجمال .

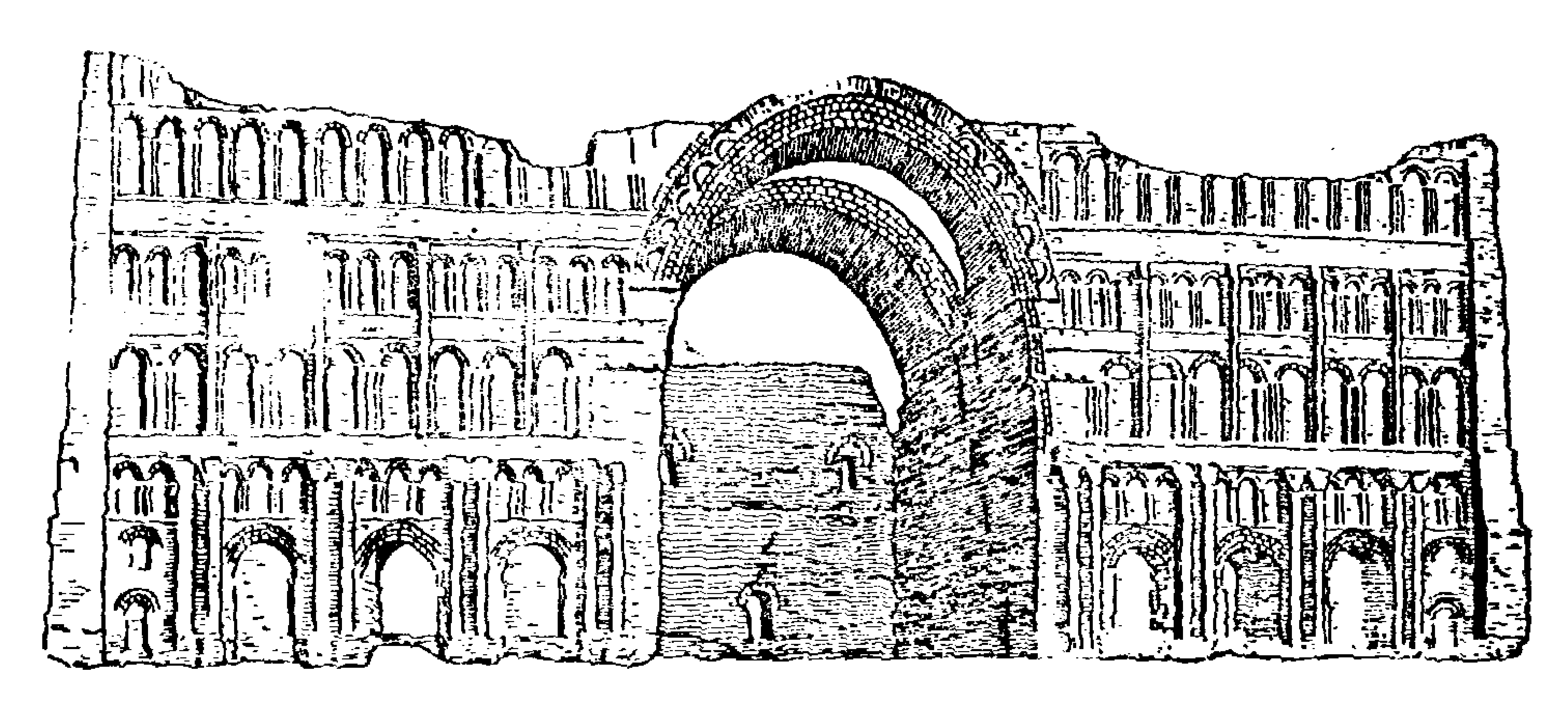
الفن الساسانى

شاهدت الفترة الساسانية (٢٢٤ — ٦٤٢ م) أبدع إنجازات الحضارة الفارسية فى صورها العديدة ، فنظرا لأن الأسرة الساسانية ، مثل الأكيمنية ، قد نشأت فى إقليم فارس ونزعت السلطان من الفارثيين ، فقد عزمت على التفوق عليهم ، وقد بلغت الأسرة الساسانية أقصى اتساعها من سوريا حتى شمال غرب الهند ، ولكن تأثيرها قد أمتد أوسع من نفوذها السياسى ، فالموضوعات الساسانية قد وجدت طريقها إلى أواسط آسيا والصين والإمبراطورية البيزنطية ، بل حتى إلى فرنسا الميروفنجية .

وفى أحياء الفنون الأخمينية القديمة لم يكن الساسنيون مجرد مقلدين . فالفن الساسانى يبين نشاطا رائعا وفى بعض النواحى يبشر بسمات تطورت فيما بعد فى العصر الإسلامى . وغزو الاسكندر لبلاد فارس كان إيذانا بانتشار الفن الهيلينستى فى غرب آسيا ، ولكن إذا كان الشرق قد قبل هذه الصورة الخارجية للفن إلا أنه فى الحقيقة لم يهضم روحها ولفظها . ففى العصر البارثى كان الفن الهيلينستى يترجم بحرية بمعرفة سكان الشرق الأدنى ، وأثناء الفترة الساسانية كان ثمة رد فعل منتظم ضده ، فالفن الساسانى أحيى صورا وتقاليدا كانت متوطنة فى بلاد الفرس ، وفى العصر الإسلامى استطاعت أن تصل إلى شواطىء البحر الأبيض المتوسط .

كانت العمارة الدينية قاصرة فى العصر الساسانى على معبد النار . ومن دراسة الآثار القليلة المتبقية لم يكن للشكل أهمية كبيرة . إنما كان ثمة اهتمام كبير بالعمارة المدنية فقد كشفت أعمال التنقيب فى القرن العشرين عن

عدد غير قليل من القصور الساسانية ، وهى تشتمل على سمات كانت معلومة من العصر البارثى : فناء داخلى ، واجهة مزدانة بمشكاة مصمتة أو مقبية مفتوحة للخارج .



شكل ٥٣ : قصر طيسفون أو طاق كسرى الساسانى

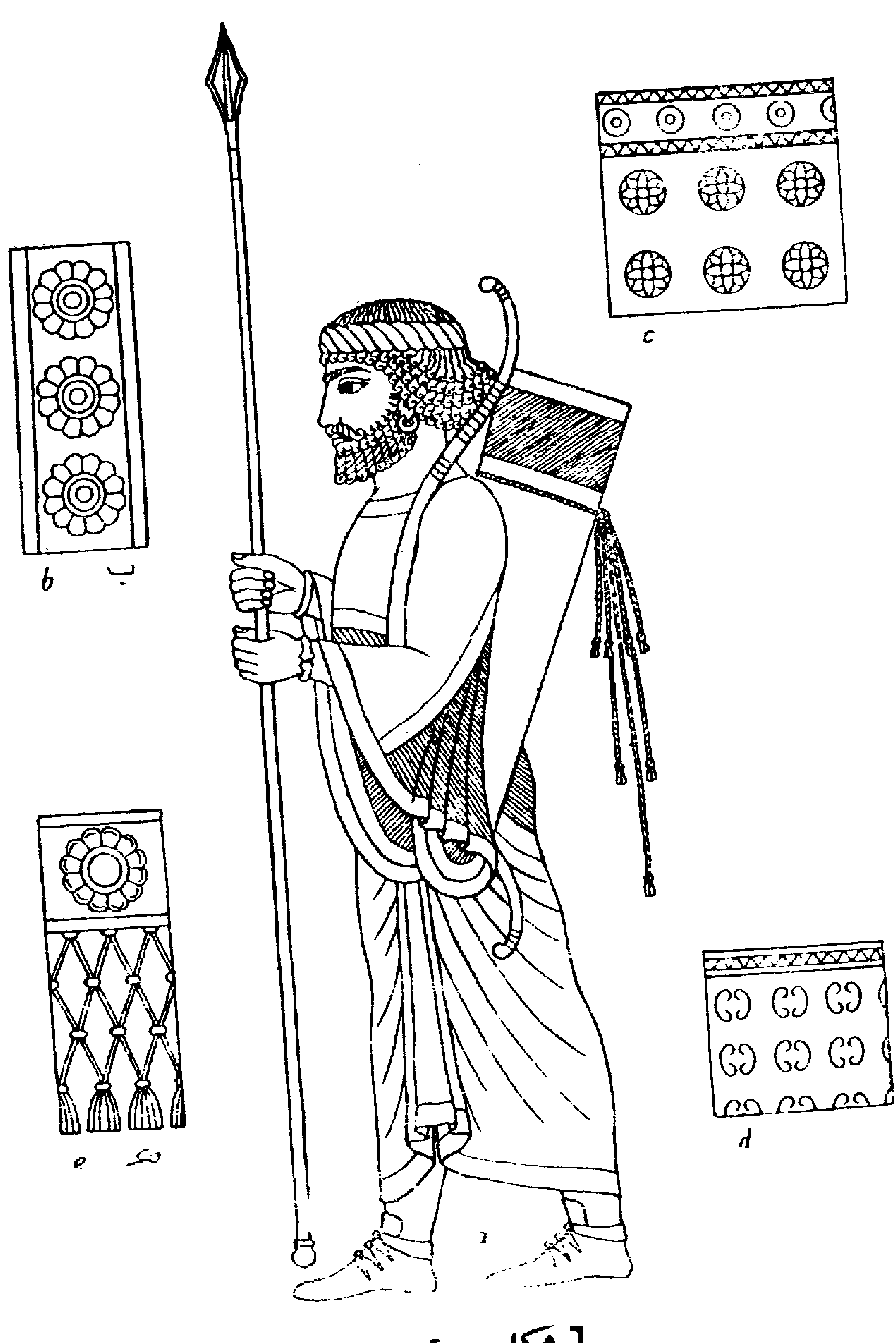
وتبين بعض هذه القبوات المبنية باللبن براعة فنية عظيمة : وعقد قبة القاعة العظمى فى طيسفون التى تنتسب إلى عصر الملك شهبور الأول يبلغ باعها ٨٠ قدما [٢٤٫٤ مترا] ، وكثير من القصور يحتوى على قاعة استقبال كما فى قصر فيروز أباد فهى تتكون من حجرة يعلوها قبة ، وقد حل الفرس مشكلة بناء قبة مستديرة على المبنى المربع بواسطة حنايات Squinch. وحجرة القبة فى قصر فيروز أباد يبدو أنها أقدم مثل باق لاستعمال الحنية ؛ ولهذا هناك سبب قوى على اعتبار فارس مكان اختراعها . ونظام القباب المتعامدة فى ايوان كرخ [حوالى القرن الرابع الميلادى تقريبا] كانت القبة محمولة على عقود ضخمة ، سبقت بعدة قرون نظام الرومانسك والقوط .

وتختلف أسس الجمال فى الفن الساسانى اختلافا كليا عن تلك الخاصة

بالعمارة الـكلاسيكية . إذ يصمم المعمارى الساسانى بناءه فى كتل ضخمة ومسطحات ؛ ومن ثم كان استعمال الجدران الضخمة من الحجر واللبن مع زخرفة بواسطة جص منحوت أو قالب مصبوب يلصق على الجدران . وواجهة قصر طيسفون هى مجرد زخرفة خالية من التعبير الوظيفى المستعمل فى الواجهة الـكلاسيكية . وهذه القواعد نفسها انتقلت إلى العمارة البيزنطية والإسلامية .



شكل ٥٤ : قطعة نقود تصور ملكا متوجا بقرنى كبش وبينهما قرص الشمس وهو يصطاد خنزيراً بريا . متحف ارميتاج . لننجراد . روسيا .



[شكل ٥٥]

شكل ٥٥ :

رداء الشرف الأخميني ، وهو مأخوذ عن الرداء المصرى للأمراء محفوظ بمتحف اللوفر القرن السادس أو بداية الخامس قبل الميلاد. وهو مكون من قطعة واحدة من القماش تربط فى الوسط بواسطة حزام . ويمسك الشعر بواسطة أكليل مميز يطلق عليه الإغريق اسم « ميترا » ، والشكل ب . حاشية «طرف» مزدان بورديات. محفوظ بمتحف أسطنبول الشكل هـ : حلية تحيط بأعلى الجراب

والشكل ج : من قصر ا كسر كسيبس القرن الخامس ق.م

كذلك فن النحت الساسانى يختلف اختلافا ملحوظا عن فن النحت الإغريقى والرومانى . وقد بقى حوالى ٣٠ قطعة من المنحوتات الحجرية وهى مثل مثيلاتها من العصر الأكمينى عبارة عن نحت مجسم على صخور نائية يصعب الوصول إليها ، وبعضها قد قطع بدرجة كبيرة من العمق حتى لكأنه فى الواقع منفصل ، والبعض لا يزيد عن مجرد رسومات ، والهدف منه هو تمجيد الملك . والكثير منها يصور الإله اهور مزد يخلع على الملك بشارات السلطان ، والبعض الآخر يصور انتصار الملك على الأعداء ، وربما كان هذا واقع تحت تأثير النقوش الرومانية البارزة ، ولكن أسلوب المعالجة والعرض مختلف تماماً . والرسومات الرومانية هى سجلات مصورة دائما تهدف إلى إثبات الحقيقة بينما الرسومات الساسانية تحاول تخليد موضوع عن طريق تصوير الحدث الرئيسى فى صورة رمزية .

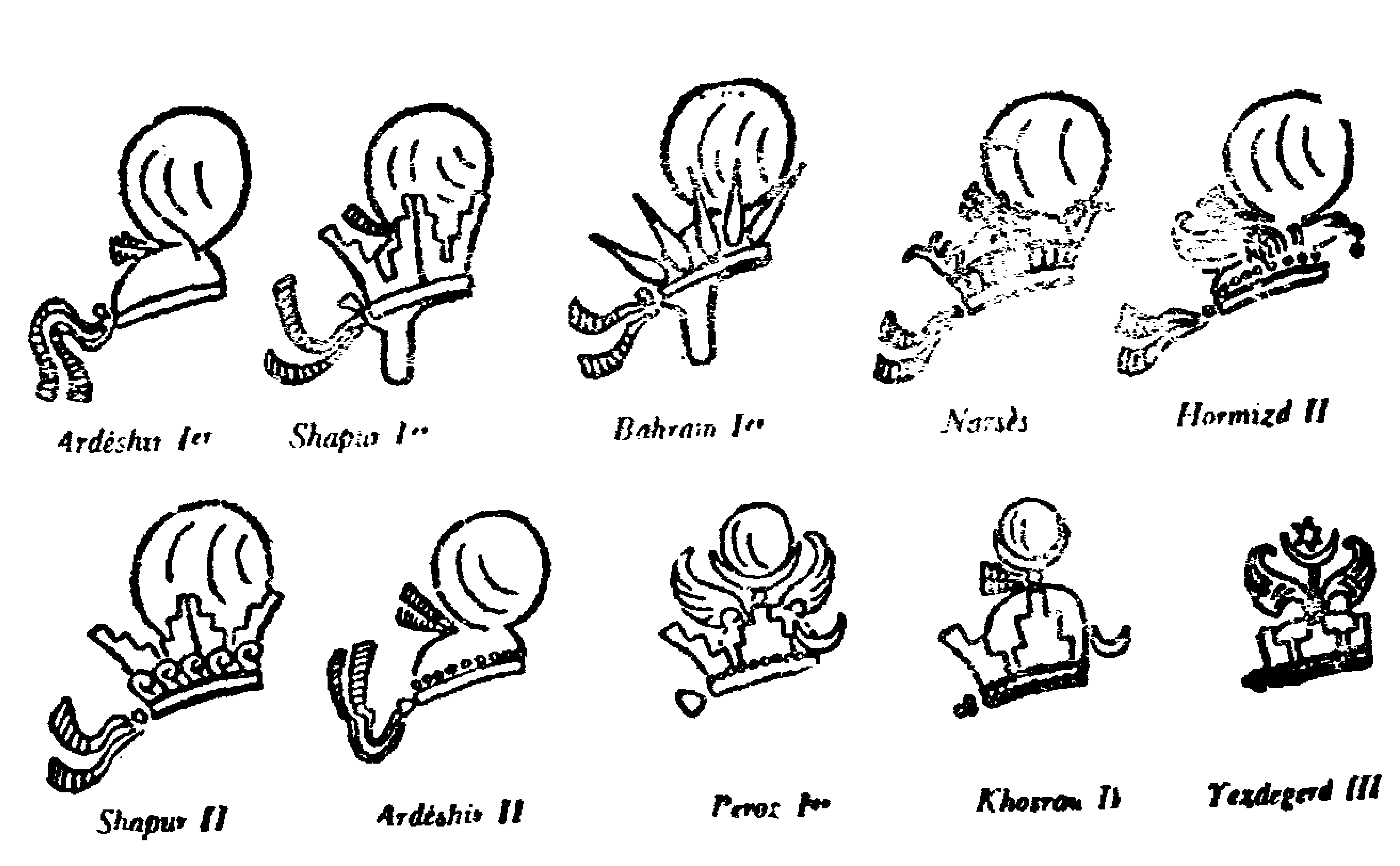
فمثلا فى نحت نقش رستم (القرن الثالث الميلادى . صور الإمبراطور الرومانى فاليريان راكعا عند أقدام شهبور الأول ، ويلاحظ أن الأشخاص المقدسة والملكية تصور دائما بحجم أكبر من حجم الأشخاص الآخرين ويغلب على التصميم عادة التماثل . أما الأشخاص فيصورون جامدين وضخام الأجسام دون مراعاة للنسب التشريحية ، مثلا تصوير الأكتاف والجذع .

والمثالون على الأكثر ينجحون فى إبراز الحركة ، عن طريق رسم عصابة طائرة (شكل ٥٦) ترفرف من لباس رأس فاخر أو رسم ذراع تحمل رمحا مرفوعا على وشك الطعن . ومن أشهر النقوش البارزة ، تلك الموجودة فى طاق بستان حوالى القرن الخامس الميلادى فقد صور الملك خارجا للصيد على ظهر جواده (الشكل ٥٠ و ٥٢) وتصوير الحيوانات البرية جدير بالتقاليد



شكل ٥٦ : الملك نرسى الساسانى ٢٩٣ — ٣٠٢ م . يرتدى عباءة يونانية . أما باقى الملابس فهى فارسية . ويضع فوق رأسه أكليل الميترا . يخرج من أعلاها شعر على شكل كرة يغطيه نسيج شفاف، ويظهر من الصورة أن الرداء مصنوع من مادة خفيفة وربما كانت الحرير . وترى الالهة اناهيت تقدم للملك الدائرة المليكية التى هى رمز الخلود فى مصر الفرعونية .

الفنية العظيمة فى النحت الأشورى الخاص بالصيد ولا يوجد فى الفن الساسانى محاولة لرسم ملامح دقيقة للوجه سواء فى هذه المنحوتات أو فى ملامح الملوك المصورة على الأوانى المعدنية أو فى الرؤوس المصورة على النقود (شكل ٥٦) ولا يمكن التعرف على الملوك إلا من شكل التاج الخاص بكل منهم .



شكل ٥٧ : تيجان الأسرة الساسانية من الشمال إلى اليمين :
أردشير الأول ، شابور الأول ، بهرام الأول ، نرسى ، هرمزد الثانى .
شابور الثانى، أردشير الثانى، فيروز الأول ، خسرو الثانى ،يزدجرد الثالث

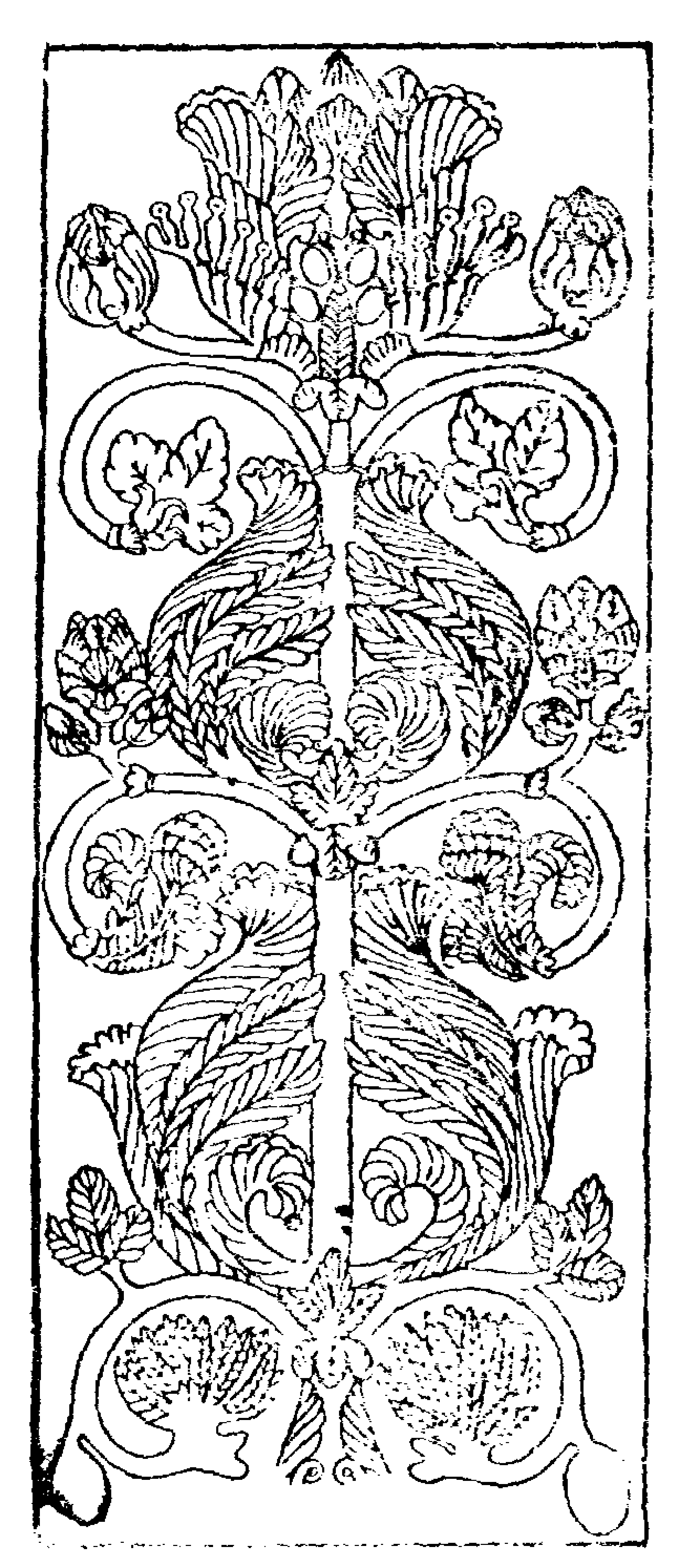
أما فى الفنون التطبيقية ، فأحسن مالدى الساسانيين هو اشغال المعادن ، وينسب إلى هذا العصر عدد كبير من الأوانى المعدنية ، وقد عثر على الكثير منها فى جنوب روسيا . وهى تتميز بأشكال عديدة وتبين مستو عال من المهارة الفنية .

وكانت من الفضة والبرونز وتشمل سلاطين وأطباق وجرار وأباريق على شكل حيوانات وطيور . والأوانى كانت مزخرفة برسومات منفذة

بأساليب تقنية مختلفة ، تذهيب جزئى ، تكفيت وتفريغ ، والطرق والترصيع على البارد وطلاء بالمينا .

وتشمل موضوعات المعبودات فى ديانة زرادشت ، مناظر صيد يقوم فيها الملك بالدور الرئيسى ، وحيوانات خرافية ، ونفس هذه الرسومات تظهر على المنسوجات الساسانية وقد أدخل ملوك الفرس نسج الحرير إلى فارس ، وقد وجد نسيج الحرير الفارسى طريقه إلى أوروبا .

ربما كان سمة مميز للفن الساسانى هو الحليات الزخرفية التى كان لها تأثير عميق على الفنون الإسلامية . والرسومات كانت متماثلة . وكثر استعمال الميدليات ذات الإطار . وقد صورت الحيوانات والطيور بل أيضا موضوعات نباتية ، ودائما من زوجين ، إما متواجهين وإما متدابرين ، وبعض الموضوعات مثل شجرة الحياة التى لها تاريخ طويل فى الشرق الأدنى ، والبعض الآخر مثل الطاووس ، والتنين والفرس المجنح يكشف عن الذوق الفنى الأسيوى المائل للخرافات.وقد استمرت الزخرفة النباتية فى استعمال عناصر كلاسيكية مثل ورق النخيل الهندى القصير ونبات الكنكر (افنثا) ولكن فى أسلوب جديد . وقد رتبت أوراق النخل بحيث تكون زخرفة هندسية . وتطورت فيما بعد لتصبح ورقة نخيلية مجنحة وأضيفت اللوتس والأشكال الصنوبرية المخروطية لهذه الثروة من الأشكال النباتية . وهناك مثل جديد لزخرفة ساسانية جميلة ومتميزة يمكن أن نراه فى طاق بستان ، حيث صور على أرباع الأعمدة البارزة من الواجهة أوراق الأشجار ملتفة ومنتهية ببراعم اللوتس وأزهاره . وعلى تيجان الأعمدة البارزة من الحائط الخلفى صور جذع رئيسى به أوراق صلبة تعلوها أوراق نخيلية .



شكل ٥٨ : زخرفة ساسانية مكونة من أوراق شجر ملتفة أطرافها تكون براعم اللوتس وزهوره المتفتحة مع أوراق نخيلية.
من مدخل ايوان تاق بستان .

ومن أشهر النفائس الفارسية سجادة كسرى الثانى وتبلغ مساحتها ٣٠٠ × ٦٠ ذراعا وهى منسوجة من الحرير ومزدانة بورود مشكلة من الأحجار الثمينة والجواهر واللآلىء . ولها إطار من الزمرد . وقد صور فيها جميع ممالك كسرى بلاده بأنهارها وقلاعها وأقاليمها وكنوزها وأشجارها وزروعها . ويقول ابن كثير أنها كانت مربعة ستون ذراعا فى مثلها .

وأيضا دولاب ملابسه ، وكل رداء فيه منسوج بالذهب ومزدان بالأحجار الكريمة ، منها سترة منسوجة من خيوط الذهب ومنثورة بالياقوت واللؤلؤ . وزرد الشاه وخوذته من الذهب الخالص ، وتاج كسرى وهو على شكل كرة كبيرة مرصعة بالجواهر الثمينة واللآلىء تشدها من ثقلها ، سلاسل من الذهب إلى السقف . وأيضا منطقته وسيفه وسواره .

ولم يبق من تلك الثروة إلا القليل ، منها كأسان فى خزينة الميداليات فى باريس . وواحد منها مزخرف بوريدات بالميناء ، أحمر وأبيض على التوالى فى ثلاث صفوف على تركيبة ذهب صور فى قاعها خسرو جالسا على عرش تحمله خيول مجنحة ؛ والثانى من الفضة صور عليه كسرى مشغولا بالصيد .

وأشهر تحف كسرى ، إيوانه طاق كسرى وهو على هيئة قبة صور سقفها على شكل السماء ببروجها وكسيت جدرانها وأعمدتها بألواح منقوشة من الذهب والفضة وقد أسهب المسعودى وغيره من مؤرخى العرب فى وصفها . وصور عليها أيضا الملوك وهيئاتهم فى المجالس والحروب ورحلات الصيد ، وفيها ما يدل على معرفة ساعات النهار .

فارس وبيزنطية(١)

أن النظرة المعجلى إلى تاريخ العلاقات بين بيزنطة وفارس خلال القرون الستة أو السبعة الأولى المسيحية تلقى فى روعنا أن هذه القرون قد اتسمت بالقليل من التبادل الثقافى أو أن طابعها الغالب سلسلة من الحروب المستمرة أو من معارك حدود كانت تتخللها فترات قصيرة من سلام لا ضمان له حين كان أحد الفريقين يصبح نهبا لانقسام داخلى أو يصل إلى درجة من الأعياء تعجزه عن القيام بالحرب ، أو حين كان الحرص على السلام يبلغ بأحد الفريقين — وكان هذا الفريق بيزنطه فى غالب الأمر — أن يذهب فى التساهل إلى أى مدى يقتضيه تحقيق السلام . لقد استمرت العداوة التى قامت من قبل بين فارس واليونان ، ولم يغس الصراع المريو الذى أحتـدم بين الحكام الرومان والحكام الساسانيين . ومن الأمور التى كانت ذات أثر فى دفع قسطنطين لنقل عاصمته من روما إلى ضفاف البسفور عام ٣٣٠ أنه أراد أن يقاوم الخطر الفارسى من مكان أقرب إلى مصدره . وفى الحق أن حروب قسطنطين مع فارس — كما سجلهما أميانوس ماركلليغوس — كانت أهم الأحداث التى وقعت فى عهده . وكان من عوامل إثارة هذه الحروب ، وإثارة غيرها من بعد ، حوادث أرمينية حيث كان هناك حزب تغلب عليه المحافظة أراد أن تبقى بلاده على صلات وثيقة بفارس تلك الجارة القديمة القوية ، بينما أراد حزب آخر ، نتيجة لإعتناق بلاده المسيحية أن ينشىء اتحادا بينه وبين إخوانه المسيحيين فى الغرب : وهناك حقيقة كانت تعمل على إذكاء لهيب العداء بوجه عام هى أن إمبراطورية بيزنطه كانت مسيحية وأما فارس فكانت دولة وثنية

---

(١) من كتاب : تراث فارس : ترجمة .

وعلى الرغم من الحروب المستمرة التى وقعت بين فارس وبيزنطة على الحدود المشتركة بينهما فى آسيا الصغرى ، إلا أن فى الجنوب تلقى الأحداث ضوءا آخر على حال العلاقة بين هاتين القوتين العظيمتين من جهة ، ومن جهة أخرى يروى لنا التاريخ الاقتصادى والثقافى قصة أخرى غير تلك التى سجلتها المعارك والمعاهدات . فقد استمرت التجارة على الرغم من هذه الحروب ، ولم يلعب العداء العنصرى سوى دور صغير فى العلاقات بين بيزنطة وفارس . ففى الجنوب حيث كانت صحراء العرب حاجزا أكيداً بين أملاك كل من الدولتين ، كانت العلاقات بين فارس وبيزنطة يسودها الود . وكانت الاشتباكات الحربية بينهما نادرة ، لقد سمح الفرس بقيام حكومات تدور فى فلك بيزنطة مثل الغسانيين على حدودهم الشمالية التى تفصلهم عن سوريا وإن لم يبدو موافقتهم على ذلك ، أما البيزنطيون فعلى الرغم من أنهم أقاموا صلات بينهم وبين المسيحيين النساطرة الذين كانوا يقيمون شرقى الصحراء فإنهم لم يبذلوا أية محاولة للتدخل إزاء سيطرة الفرس على حكومات مسيحية مثل الحيرة التى كانت تقع فى مكان قريب من مدينة الكوفة الحالية فى العراق ، وعلى الرغم من أن الدولتين قد تنازعتا على اليمن فى بعض الأوقات ، فإنهما لم تسمحا للحروب أن تسوق الاتجار المربح بالتوابل والبخور وما يشابهها من البضائع الثمينة . وقد جاء وقت ذهب فيه الفرس إلى حد إرسال قوة احتلت اليمن فأصبحت منذ عام ٥٧٠ جزءا من ممتلكاتهم ولكن البيزنطيين حافظوا على صلاتهم بها عن طريق البحر الأحمر ثم الطريق البرى عبر بلاد الحبشة المسيحية ، وكانت هذه الصلات كافية لتحقيق كل مآربهم من هذه المنطقة .

وإبان فترات السلام كانت الدولتان تتبادلان السفراء ، وعهد إلى

هؤلاء السفراء إعداد المعاهدات ، وكان سفراء كل من الدولتين يتوغلون فى قلب أراضى العدو . وكانت عمليات التبادل الثقافى التى تنشأ عن هذه السفارات تدوم وتصبح ذات أهمية ، ومن المحتمل أن معظم السفراء كانوا يعودون محملين بالهدايا .

نتيجة لمثل هذا التبادل الثقافى أن عددا من الأفكار الفارسيةقد وجدت سبيلها إلى الفكر البيزنطى ، بل أنه قبل العهد البيزنطى انتقلت من روما إلى فارس فكرة الاعتقاد بألوهية الإمبراطور أثناء حياته لا بعد مماته فحسب . وعلى الرغم من أن المسيحية قد قضت على هذا الاعتقاد فإن الإمبراطور البيزنطى كان على رأس الكنيسة فى كل مكان ، وقد ظل بحق شخصا نصف إله حتى بعد المشكلة التى نشأت من محاربة عبادة التماثيل ، أما الأمور الدنيوية فكانت تغلب عليه صفة الحاكم الشرقى لا الحاكم الغربى الصميم .

ففى أوائل عهد أباطرة بيزنطة تحولت فكرة الإمارة الرومانية إلى فكرة حاكم فارسى مستبد كان لابد يصطحب جمعا من الأتباع الذين يرتدون الملابس الزاهية ويجلس وسط صف من الفرس الفاخر ويملك عدداً من القصور الفخمة. وقد التبس دقلديانوس من بلاد فارس الرداءالإمبراطورى البيزنطى الذى كان يحلى بالكثير من الجواهر الكريمة ، وكان ذلك قبل اعتناق المسيحية كدين رسمى للدولة ، وقد وجدت اتجاهات فكرية وغنية عديدة من فارس طريقها إلى بيزنطة فى هذا الوقت نفسه . وكان من أهم هذه الاتجاهات الولع بالكنوز الوافرة وبالجدران المحلاة بالنقوش الباهرة تلك التى أصبحت بعد قليل إحدى الخصائص التى تمتاز بها جميع المنشآت الدينية البيزنطية .

وإلى جانب انتشار الأفكار الفارسية التى نشأت عن السفارات والصلات الودية كانت التجارة بين فارس وبيزنطة ، على أعظم جانب من الأهمية ، فلم تكن التوابل والأحجار الكريمة وغيرها من بضائع الترف تستحضر من بلاد العرب عن طريق سوريا فحسب ، وإنما كانت أيضا تنقل عبر الطرق التجارية الكبيرة بالقارة الآسيوية تلك التى كانت تمر بفارس وتنتهى فى أرض بيزنطة عند طرابزون فى الشمال وعند مدن مثل إنطاكية فى الجنوب ، بل أن الطريق الجنوبى الذى كان يمر بالبحر الأحمر كان يعتبر فى تلك الأيام أقل صلاحية من طريق برى . أما الطريق الشمالى الذى كان يمر بجنوبى روسيا فكان قد أغلق منذ أوائل عصر المسيحية بسبب اضطراب الحال فى هذه المنطقة التى كانت مقرا لعدد من القبائل البدوية المتبربرة . وعلى هذا فكل تجارة الشرق كادت تتركز فى الطريق الذى يمر بوسط فارس .

ولقد كان الأقبال عظيما على بضائع الترف فى العالم البيزنطى ، فقد كانت هناك حاجة إلى التوابل التى كانت تستخدم فى بيوت الأغنياء لإعداد الطعام وتعطير الغرف كما كانت تستخدم بخورا فى الكنائس. وكانت الأحجار الكريمة لازمة لجمع الكنوز الفاخرة التى كانت ملكا للبلاط أو الكنيسة، أما العاج فربما يكون البيزنطيون قد استخدموه فى أغراض دينية. ولكن الحرير كان أهم كنوز الشرق وقد كانت طريقة إنتاجه فى العصور القديمة سرا لا يعرفه إلا الصينيون ، ولهذا كان من المحتم أن يستورد العالم البيزنطى كل حاجاته من الحرير الخام ، وقد شاع استعمال الحرير فى القرن الرابع حتى بين الطبقات الفقيرة ، وخاصة بين الطبقة الحاكمة ورجال الدين . وقد استغل الفرس هذه المادة التى كانوا يحتكرونها أحسن استغلال . وكانت فارس قادرة على خنق بيزنطة عن طريق هذه التجارة الحيوية

بالنسبة للبيزنطيين . رغم أن سر دودة الحرير قد نقل إلى جستنيان فى عام ٥٥٢ ، إلا أن استمرار تجارة المنسوجات الحريرية لم يتوقف حتى أتقن النساجون البيزنطيون هذه الصناعة ، وقد ظلت التعابير الزخرفية شائعة فى المنسوجات البيزنطية قرونا عديدة بعد هذا التاريخ .

لعل انتقال عدد من التعابير الزخرفية إلى العالم البيزنطى فى ذلك الوقت جاء عن طريق الحرير أو غيره من المنسوجات . فالتعبير الزخرفى المقتبس من ريش الطاووس وهو الذى يبدو فى الفسيفساء التى تخلفت عن القرن السادس بقبرص وغيرها كان شائع الاستعمال فى زخرفة منسوجات فارس . وعلى الرغم من أن أقدم مثل له نراه فى تاج عمود ساسانى بطاق بستان فإن هذا التعبير أقرب للنسج منه للنحت ، ولاشك أنه تكامل أول الأمر على يد النساجين. وتوجد أمثلة عديدة لظهور التعابير الزخرفية المقتبسة من منسوجات الساسانيين فى العالم البيزنطى ، وإن كان بعض هذه التعبيرات ليس ساسانى بل من سوريا وهى المنطقة الوسطى من العالم البيزنطى .

وعلى الرغم من أن أثر الفرس يتجلى بأوضح صورة فى فن المنسوجات فإن هذا الأثر أكثر أهمية من بعض الوجوه فى ميدان المعمار . وهناك مدرسة من الإخصائيين تذهب إلى حد التأكيد أن أهم خصائص المنشآت ذات القباب أو ذات السقوف المقببة وكذلك تصميم المبانى على هيئة الصليب ظهرت فى أول أمرها بإيران وكلها تكون جوهر الأسلوب البيزنطى . وعلى الرغم من أن هذا الرأى يعتبر من قبيل المبالغة فهناك من الأسباب ما يجعلنا نعتقد أن فارس لعبت دورا هاما فى نمو المعمار البيزنطى ، فالعقود البيضاوية الشكل واستخدام الطاقات لتجميل المبانى من الخارج والعقد الذى يحمل القبة ، وهو الذى يهيىء الانتقال من القاعدة المربعة إلى القبة الدائرية ، ومد البناء من كل

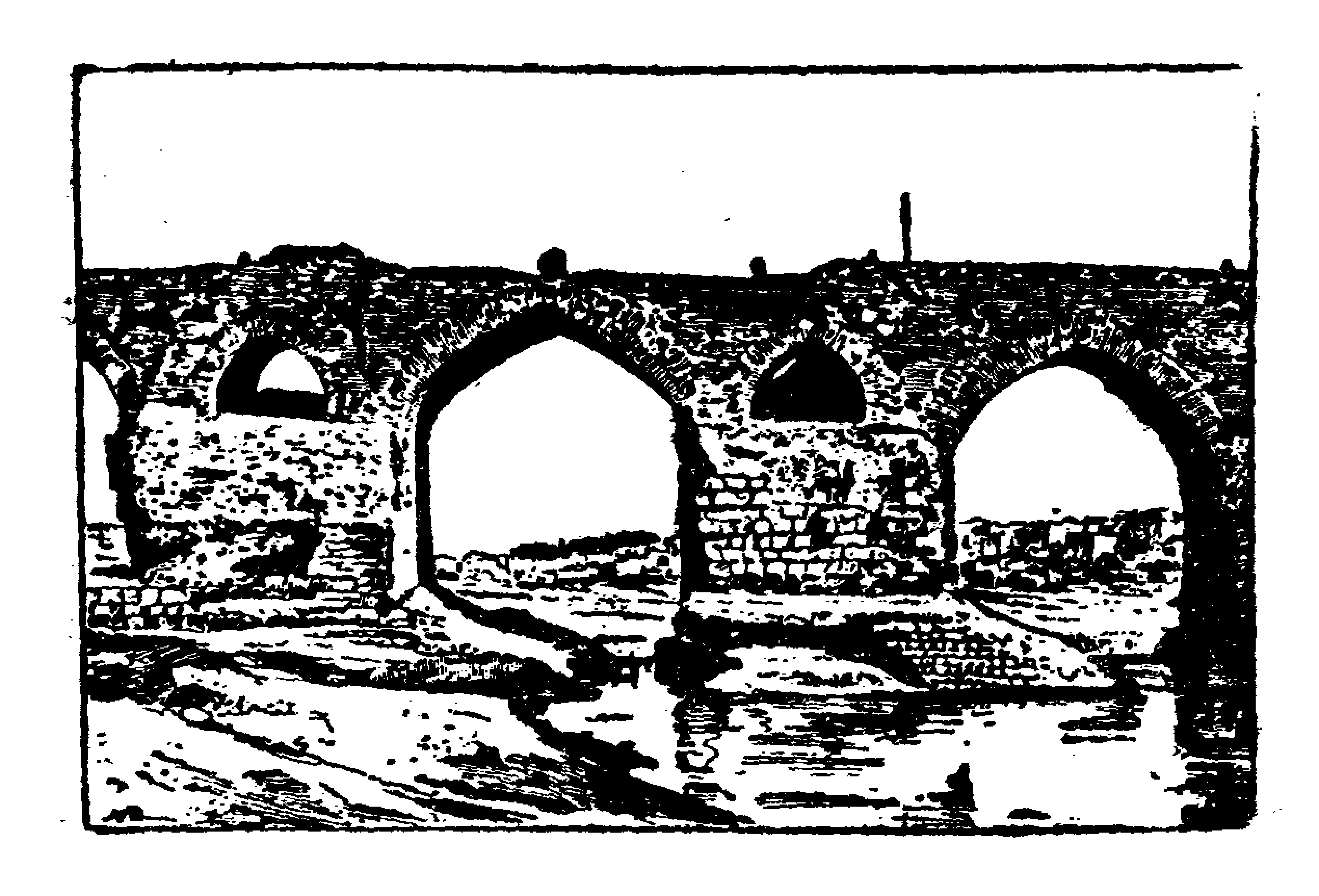
جانب من الجوانب الأربع بطريقة تجعله على الصورة المعمارية التى تتخذ شكل الصليب ، كل هذه فنون كانت موضع التفكير فى أرض فارس قبل أن تتخذ شكلها المكتمل فى غيرها من البقاع . ولكن أصلها فى الواقع يرجع إلى الحضارة السومرية — البابلية فى جنوب بلاد الرافدين قبل أن ينتقل إلى أرض فارس . وقد تم قدر كبير من اكتمال هذه الفنون بأرمينية فى تاريخ مبكر ، وأثرت أرمينيا بدورها فى العالم البيزنطى. وقد كان بعض المهندسين الملتحقين بخدمة جستنيان من الأرمن ، وكانت الروح العظيمة وراء حركة البناء التى اتسم بها عصر هذا الإمبراطور مدينة بالشىء الكثير لعبقرية الأسيويين وابتكارهم . وفى تاريخ متأخر أيضا أثرت أرمينية تأثيراً كبيرا أيضا فى تطور المعمار اليونانى . ومنذ القرن التاسع الميلادى أصبحت الروابط التى تربط كلا من أرمينية واليونان فى فن المعمار تبلغ فى متانتها تلك الروابط التى تربط بين اليونان وفارس فى زخرفة المنسوجات ونحت الأحجار .

ولقد ورث البيزنطيون من غير شك كثيراً من عبقرية الرومان فى الهندسة والبناء، وانتقلت إليهم أساليب أفكار أخرى من سوريا وكذلك من فارس، وأن التقدير الدقيق لمدى كل من الآثار السورية والآثار الفارسية هو على أى حال مشكلة لا تزال تثير أشد ألوان الجدل العلمى . ويمكننا القول باختصار أن روائع المعمار البيزنطى العظيمة جاءت ثمرة للمزج بين مقدرة الرومان وأساليب الشرق التى كانت أكثر خصوبة فى خيالها من أساليب الرومان، وأن كانت دونها متانة . وهذه الروائع فى سانت صوفيا ، وكنيسة الرسل القديسين أو كنيسة القديسين سرجيوس وباخوس وكلها قد أقيمت فى القسطنطينية تحت رعاية جستنيان . وإلى جانب هذه كان

هناك الكثير من المبانى العظيمة التى أقيمت فى شرق العالم المسيحى وغربه ، ولولا العناصر الفارسية لما كان لما الطابع العام الذى يجمعها معا ويقدمها كأمثلة للطراز البيزنطى .

أما الأثر الفارسى فى الفنون الأخرى فهو وإن كان أقل أهمية منه فى الفنون التى تقدم ذكرها إلا أنه مع ذلك يمكن تتبعه . فى النحت كثيراً ما نقل العرب عن الفرس التعابير الفنية المشتقة من أشكال الحيوانات ، وفى المتحف العثمانى بعض الألواح الحجرية التى تحمل تصميمات ترجع إلى أصل شرقى ، ويبين أحد هذه التصميمات التعبير الفنى الذى يمثل صراع الأسد والثور ، وهو تعبير شرقى مفرط فى القدم ، يرجع إلى جنوب بلاد الرافدين . وهناك تحف معدنية أيضا تظهر لنا صلات وثيقة بالفرس . أما ما كان من هذه التحف يرجع إلى البلقان فهو فى العادة أوثق صلة بالشرق منه بالغرب . ومن أمثلة ذلك الكنز الشهير الذى وجد فى ناجى سزنت مكلوس بشرق المجر ففيه تتجلى خصائص ساسانية واضحة ، أما القصور البلغارية القديمة فى أبوبا بليسكا فهى وثيقة الصلة فى تصميمها بالقصور الساسانية فى سروستان وفيروز آباد . أما التمثال البلغارى المنحوت عند مادايا فيكاد يكون أثراً ساسانيا . لقد كانت الصلات بين البلغار والساسانيين على درجة كبيرة من القوة ، ومن الممكن أن تكون قد وصلت إلى القسطنطينية عن طريق بلغاريا بعض العناصر الساسانية فى التصميم الفنى .

قد يبدو مما سبق أن حركة التعبيرات الفنية كانت فى غالب الأمر ذات اتجاه واحد من الشرق إلى الغرب ، وأنها قد استمرت دون تعثر طوال العصر البيزنطى المبكر والعصر الساسانى ، وبعبارة أخرى من القرن الرابع إلى القرن السابع الميلادى . ولكن ليس أى من الفرضين صحيحا فعلى الرغم من أنه



(شكل ٥٩)

كوبرى ديز فول يبلغ طوله ٤١٥ ياردة واتساعه ٢٥ قدما (٧٫٧٠ مترا) . وفيما بعد صار اتساعه ١٩ قدما فقط . وقد استعمل فى بنائه الأساليب الرومانية .

الصلات بين فارس وبيزنطة لم تكن بأى حال قصيرة ومؤقتة ، كما يوحى بذلك سجل الحروب التى وقعت بينهما ، فإن هذه الصلات لم تكن تدوم طويلا دون انقطاع : ومع أن البحث لم يكشف حتى الآن عن عدد كبير من الأمثلة الملموسة التى يتجلى فيها أثر العالم البيزنطى على العالم الساسانى ، إلا أن السجلات تحدثنا كثيراً عن مدى الاحترام الذى كان يتمتع فيه الصناع البيزنطيون فى فارس وكذلك عن براعة المهندسين البيزنطيين ، ولا شك أن الصناع البيزنطيين كثيراً ما وجدوا سبيلهم إلى الشرق ، وقد روى أن جستنيان أعار كسرى الأول بعض العمال ، كما ذكر الفردوسى أن الجسر العظيم الذى بناه سابور الأول عند ششتر قام بإنشائه مهندس معارى من بيزنطه أمر بأن يستخدم كل حكمة الروم فى إنشائه . كما استعان الفرس بالأسرى الرومان من معاريين ومهندسين فى إنشاء الطرق والجسور فى عهد

شابور الأول . وأن ميدان المعمار لهو بحق الميدان الذى يمكن أن يتوقع المرء أن يلمس فيه الأثر البيزنطى فى فارس أكثر مما يلمسه فى أى فن آخر لأن البيزنطيين كانوا أكثر تقدما من الفرس فى فنون البناء ، وإن كانوا — كما يرى ستريزجوفسكى قد تخلفوا عن الفرس فى الابتكار وقوة التصوير .

المصادر الساسانية

٢٢٦ — ٦٥٢ ميلادية

١ — مصادر إيرانية معاصرة منها الآداب البهلوية [الفهلوية] ومنها النقوش الساسانية ـ المعاصرة التى تركها ملوك الفرس وأهمها نقش بايكولى بكردستان وهو أطولها . ونقوش أصطخر ، طاقة بستان ونقش رستم ، ورجب ، وهى مكتوبة بالساسانيه والإشكانية ، والنقود التى عليها كتابات بهودية ساسانية وهى هامة فى التاريخ الزمنى . مصادر الديانة الرسمية أيام الساسانيين هى الكتب المقدسة بلغة الأوستا . وهى مكونة من ٢١ سطراً ـ ومترجمة إلى اللغة البهلوية [أى الساسانية] مع شروح لها .

الكتب الزردشتية التى تناولت الدين وحده والمكتوبة باللغة البهلوية ألفت كلها تقريباً أو أعيدت كتابتها فى زمن لا حق للساسانيين

وتوجد كتب خاصة بالقانون والتشريع مكتوبة بلغة الأوستا والزند وكذلك مجموعات قضائية ساسانية مكتوبة باللغة البهلوية [فهلوية] . رسائل شعبية فى الأخلاق نظرية وعلمية . كانوا يسمونها أندرز او پندنامه [كتب النصائح] وزير كسرى الأول بزرجمهر .

والراجح أن حكم بزرجمهر ألف فى القرن التاسع ولكن المبادىء التى وضعها على لسان بزرجمهر تنعكس فى جزء منها مقدمة كليلة ودمنة التى ترجمها برزوية عن كتاب پنچ تنترا ـ السنسكريتى ، كما أنها تكشف فى

الجزء الأخير بغير شك عن كتب فى النصائح أبعد قدما : وهناك قصص تاريخية قصيرة وكتابة عن « مدن إيران « أسمه » شهر ستا نهائى إيران شهر .

٢ — الروايات الساسانية التى بقيت فى آداب العرب والفرس ، وإتخذ البلاط الساسانى ، كما إتخذ الاكيمنيون من قبل تقويمات رسمية ويظن أن مؤلف خداى نامه أو مؤلفية قد أستفادوا من هذه التقاويم فى كتبهم . ويظن أن هذا الكتاب كان مصدراً أصيلا لأقدم — الكتب العربية والفارسية التى تناولت تاريخ إيران قبل الإسلام . وقد عرب إسم الكتاب فصار : كتاب سير ملوك العجم أو سير الملوك : وهى بالفارسية شاهنامه ، وأشهر التراجم العربية لخداى نامه ترجمة ابن المقفع المتوفى حوالى (١٤٣ / ٧٦٠) وهو مجوسى أسلم ، وقد ترجم إلى العربية هذا الكتاب وكثيراً من الكتب البهلوية ، وقد أندثرت ترجمة ابن المقفع لخداى نامة ، وقد ترجم إلى العربية بمعرفة مؤلفين كثيرين . الفردوسى : الشاهنامه عن أعمال ملوك الفرس وأحوالهم وهى ترجمة فارسية عن النص البهلوى أو فى أغلب الظن عن التراجم العربية .

[ب] كتاب الرسوم : لابن المقفع وهو الكتاب الأصل (أيين نامسكث) وهو خاص بتفاصيل عن نظم الدولة الساسانية ، ضاع أيضا ، وهو كتاب ضخم .

فهرست الرجال :

الكاهنامك الساسانى وهو خاص عن مراتب عظماء ومملكة فارس أنها ستمائة على حسب ترتيبهم لها .

كتاب التاج :

تاج نامه ، ويظهر من أنواعه أنه خاص يذكر أحاديث ملوك إيران وتعاليمهم ومراسمهم وما يشبه هذه المسائل .

كتاب تنسر إلى ملك طبرستان ، وتنسر رجل تاريخى جدد ديانة زردشت أيام أردشير الأول والكتاب ألف بعد فتوح كسرى الأول [انوشروان] فى الشرق بالقضاء على الهياطلة ولكن قبل الأستيلاء على اليمن أى بين سنتى ٥٥٧و٥٧٠ م الترجمة العربية ليحيى الخشاب القاهرة ١٩٥٠ .

هذه هى المصادر الرئيسية لتاريخ الساسانيين التى نجدها لمؤرخين من العرب والفرس بقيت كتبهم :

تاريخ اليعقوبى : فى النصف الثانى من القرن التاسع الهجرى .

ابن قتيبة : فى عيون الأخبار [٨٩٩م / ٢٧٦هـ] .

الدينورى : الأخبار الطوال [٢٨٢هـ / ٨٩٥م] .

الطبرى : ٩٢٠م .

ابن البطريق : المشهور باتيسكوس وهو بطريق الاسكندرية حـ ٩٩

المسعودى : مروج الذهب ٣٤٥هـ / ٩٥٦م

تاريخ حمزة الأصفهانى .

تاريخ البهلى فارسى وقد أخذ عنه الطبرى :

شاهنامه الفردوسى [١١ هـ / ١٠٢٠م] .

الثعالبى : أخبار ملوك الفرس ٤٣٠هـ / ١٠٣٨م .

ومن الكتب الهامة عن الديانة الزردشتية والمانوية والمزدكية :

كتاب الملل والنحل للشهرستانى : ٥٤٨ هـ / ١١١٥م

كتاب بيان لأديان [فارس] لأبى العلاء ٤٨٥هـ / ١١٩٢م

كتاب فهلوى : يعرف باسم كرنامك أردشير بابكان ، أى كتاب أعمال أردشير ، بابك ، وقد ذكره المسعودى فى مروج الذهب باسم الكرنامج :

٣ - المصادر اليونانية واللاتينية :

هناك كتب وإشارات كثيرة عن الساسانيين باللغة اليونانية واللاتينية :

ديوس كاسيوس : حوالى ٢٣٥ إشار إلى قيام الدولة تغير الاسرات وما يتصل به من حوادث فى كتابة عن التاريخ الرومانى :

وهناك كتب كثيرة أخرى عن فترات مختلفة من تاريخ إيران :

وبخصوص الديانة الإيرانية جمع وايام جاكسون وكليمان النصوص التى ذكرها الكتاب اليونان والرومان أيام العهد الساسانى عن الدين الإيرانى :

وقام بترجمتها إلى الإنجليزية شهروود فوكس :

المصادر الآرمينية :

يرتبط تاريخ أرمينية أيام الساسانيين إرتباطا وثيقا بتاريخ إيران ، لذلك يمدنا المؤرخون الأرمن المعاصرون للساسانيين بمعلومات هامة عن تاريخ ملوك ايران وعن النظام والدين والحضارة لإيرانية فى ذلك العهد :

ومن أهمها نص أرمنى من الكتاب الخاص بتاريخ الملك الأرمنى تيردات وتبوءة سان جريجوار المشرق Saint Grégoire l'Illuminateur والذى ينتسب إلى شخص باسم أجاثناج (Agathnage) (Agathangelos) ويتكون هذا المؤلف من أجزاء كثيرة ، منفصل بعضها عن البعض فى الأصل ، ولكنها مزجت جميعاً بعد سنة ٤٥٦ : وهو يحوى قصصا خرافية من مبدأ دخول المسيحية فى أرمينية ، كما يحوى أخباراً من العهد الأول للدولة الساسانيه :

ويعتبر كتاب تاريخ أرمنية ألفه فاستوس البيزنطى Faustus de Byzance فى النصف الأول من القرن الخامس هام فى تاريخ إيران إذ يتناول الأحداث من سنة ٣٠٢ إلى ٣٨٥

وبين سنتى ٤٤٥ ، ٤٤٨ وضع أزنيك كدلب Eznik Kolb كتاب « الرد على الفرق » وهو يحوى بيانات عن الآراء الدينية عند الزردشتيين فى عهده :

ويوجد فى الكتب التى كتبت عن تاريخ أرمينية كثيرا من الإشارات والأحداث الخاصة بالامبراطورية الساسانية .

٥ - المصادر السريانية :

وقد حفظ الأدب المسيحى باللغة السريانية مصادر مهمة جدا فى تاريخ العهد

الساسانى فهناك أولا كتب تاريخ ؛ كتب أربعة منها الأقل كتاب عاشوراً فى ذلك العهد :

التاريخ المنسوب إلى ستيليت Stylites وقد ألف كتاب التاريخ الذى ينسب عادة إلى يشوع الأسطليتى Goshua le Stylites حوالى ٥٠٧ م ويتناول حوادث سنوات بين ٤٩٤ إلى ٥٠٦ :

تاريخ الرها ألف بعد عام ٥٤٠ بقليل ويبحث المدة من سنة ١٣٢ ق.م إلى ٥٤٠ وقد كان من مصادره كتاب تاريخ للفرس ضائع اليوم :

تاريخ أربل يرجع إلى منتصف القرن السادس وهو يتناول التاريخ الدينى لولايات أربل إبتداء من القرن الثانى إلى حوالى سنة ٥٥٠ م ويشك فى قيمة هذا المصدر .

التاريخ المختصر المسمى Anonyme de Guidi كتب بعد سنة ٦٧٠ بقليل وهو يقص الحوادث التى تلت موت هرمزد الرابع سنة ٥٩٠ حتى نهاية الدولة الساسانية التى شاهدها المؤلف بنفسه :

وتاريخ الياس النصيبى المؤلف فى سنة ١٠٠٨ ومقدمته على هيئة الجداول التاريخية :

وتوجد كتب كثيرة أخرى أيضا :

٦ — المصدر الصينى :

نجد فى رحلة السائح البوذى الصينى هيون تسيانج Hieun Tsiang التى قام بها فى السنتين ٦٢٩ حتى ٦٣٠ نبذة قصيرة عن إيران فى ذلك الوقت :

وقد نظم Noeldeke تواريخ سنى الملوك الساسانيين ، وفقا للمراجع الشرقية والغربية ، وما ضرب على النقود وذلك فى ملحق لكتابه تاريخ الفرس والعرب (ص ٤٠٠ وما بعدها) :

وقد صور الكاتب بعد هذا الملحق شجرة نسب الأسرة الساسانية ،وقد أستطاع هرتسفيلد أن يدخل عليها بعض التصحيحات ، وذلك وفقا للمعلومات التى استقاها من نقوش بايكولى [1]:

---

(١) إيران فى عهد الساسانيين : الترجمة العربية .

ROCK RELIEFS IN ANCIENT IRAN

I. ASIANIC ROCK RELIEFS.

Kurdistan.

1. Hurin Shaikh Khan : victory scene, with inscription.
2. Sar-i Pul : victory scene of Anubanini king of Lullubi, inscription (c. 2000 B.C.).
3. Sar-i Pul : investiture scene (c. 2000 B.C.).
4. Sar-i Pul : investiture scene (c. 2000 B.C.).
   victory scene, inscription (c. 2000 B.C.).

II. ELAMITE ROCK RELIEFS.

Fars.

1. Kurangun :
   a) principal panel : two gods surrounded by the faithful (c. C 15th - 11th B.C.).
   b) left hand picture : descent of the faithful (C 18th B.C.).
2. Naqsh-i Rustam : adoration picture (C 18th B.C.).

Khuzistan.

3. Hung-i Nauruzi : adoration scene (c. C 20th - 18th B.C.).
4. Shah-Savar : adoration scene (c. C 20th - 18th B.C.).
5. Kul-i Farah : five rock reliefs: (end of C 8th B.C.).
   1. North face of the mountain great presentation scene of Khanni, inscription.
   2. small rock boulder with presentation scene.

3. large rockboulder with presentation scene, and hundreds of faithful.

4. South frace of the mountain : marks of respect to a king seated on a throne.

5. South face of the mountain : presentation scene.

6. Shikafr-i Salman : four rock reliefs : (end of C 8th B.C.).

1. adoration picture of the family of Shutruru, Khanni's minister.

2. adoration picture of the family of King Khanni.

3. adoration picture of Khanni, inscription.

4. adoration scene of Khanni's wife, inscription.

III. ACHAEMENID ROCK RELIEFS.

Kurdistan.

1. Bisutun : Darius I (521-485), victory scene and adoration of Ahura Mazda, trilingual inscription.

Fars.

Reliefs on the tombs of the Achaemenid kings at Naqsh-i Rustam and at Persepolis, with the theme : King worschipping Ahura Mazda.

2. Naqsh-i Rustam : tomb of Darius I (521-485) trilingual inscription.

3. Naqsh-i Rustam : tomb of Xerxes (485-465).

4. Naqsh-i Rustam : tomb of Artaxerxes I (465-424).
5. Naqsh-i Rustam : tomb of Darius II (424-404).
6. Persepolis : tomb of Artaxerxes II (404-358).
7. Persepolis : tomb of Artaxerxes III (358-337).
8. Persepolis : tomb of Darius III ((335-330).

IV. SELEUCID ROCK RELIEFS.

Fars.

1. Persepolis : man (Fratadara) and woman on the jambs of a window (C 3rd B.C.).
2. Persepolis : two persons also on the jambs of a dor (C 3rd B.C.).

Kurdistan.

3. Dukkan-i Daud : adoration picture: priest with "barsum" of bundle twigs (C 3rd B.C.).
4. Sakavand : priest praying at a fire altar (C 3rd B.C.).

V. PARTHIAN ROCK RELIEFS

Kurdistan.

1. Bisutun : signs of respect on the part of the Satraps to King Mithridates II (123-88 B.C.).
2. Bisutun : victory of Gotarzes II (38-51 B.C.).
3. Bisutun : adoration at a fire altar (C 1st - 2nd A.D.).
4. Sar-i Pul : subjection of Mithridates IV by Vologases II or III (147-191) (inscription).

Khuzistan :

5. Tang-i Sarvak :	four isolated rock boulders with reliefs (2 C B.C.). 1. investiture and adoration scene. 2. adoration picture, investiture picture ans signs of respect by vassals (inter alia, a king on a royal bed) hunting scene (fight against lions) inscription in aramaic. 3. battle picture. 4. warriors.
6. Hung-i Nauruzi :	investiture and scene of respect by a local vassal to Mithridates I (171-138).
7. Hung-i Kamalvand :	investiture picture (inscription in aramaic) end of C 1st B.C.).
8. Hung-i Yar-i ʻAlivand :	investiture picture (C 1st B.C.).
9. Tang-i Butan Shimbar :	four groups with religious investiture (inter alia with fire altar) of a local dignitary, before a god (Herakles) or before heroicised dead king in the person of Herakles (C 2nd A.D.).
10. Tang-i Butan Shimbar :	isolated personage in attitude of prayer (2nd A.D.).
11. Taraz :	investiture scene.
12. Kuh-i Tina :	scene of respect : king or prince on a royal bed holding a crown in right hand (C 2nd A.D.).

VI. SASSANIAN ROCK RELIEFS

Fars.

1. Firuzabad :	victory of Ardashir I (224-241) over the last Partian king Artaban V.
2. Firuzabad :	investiture of Ardashir I (224-241).
3. Naqsh-i Rajab :	investiture of Ardashir I (224-241).
4. Naqsh-i Rajab :	investiture of Shapur I (241-272).
5. Naqsh-i Rajab :	Shapur I (241-272) on horseback followed by the notables of the kingdom.
6. Naqsh-i Rustam :	investiture of Ardashir I (224-241).
7. Naqsh-i Rustam :	Bahram II (276-293) and family.
8. Naqsh-i Rustam :	equestrian battle of Bahram II (276-293).
9. Naqsh-i Rustam :	King enthroned (Shapur II) (309-379)
10. Naqsh-i Rustam :	equestrian battle of Hormuzd II (303-309).
11. Naqsh-i Rustam :	victory of Shapur I (241-272) over Valerian.
12. Naqsh-i Rustam :	equestrian battle of Bahram II (276-293).
13. Naqsh-i Rustam :	investiture of Narseh (293-302).
14. Guyum :	investiture (?) of Bahram II (276-293).
15. Barm-i Dilak :	Bahram II (276-293) at a fire altar.
16. Barm-i Dilak :	Bahram II (276-293) and his wife.
17. Sar Mashhad :	Bahram II (276-293) protecting his wife and son against an attack by two lions.

18. Naqsh-i Rustam Darab : victory of Shapur I (241-272) over Valerian.

19. Naqsh-i Bahram : Bahram II (276-293) enthroned, surrounded by the notables of his kinkdom.

20. Bishapur : investiture and victory of Shapur (241-272) over Valerian.

21. Bishapur : victory of Shapur I (241-272) over Valerian.

22. Bishapur : victory of Shapur I (241-272) over Valerian.

23. Bishapur : subjection of Arabian tribes by Bahram II (276-293).

24. Bishapur : investiture of Bahram I (273-276).

25. Bishapur : victory of Shapur II (309-379) over an Indian people.

Kurdistan :

26. Taq-i Bustan : investiture of Arhashir II (379-383).

27. Taq-i Bustan : small iwan : Shapur III (383-388) and his great father Shapur II.

28. Taq-i Bustan : large or main iwan : central panel investiture : left wall : wild boar hunting scene; right wall : stage hunting scene Peroz (457-484) or Khusraw II (590-628).

Azarbaijan.

29. Salmas : Ardashir I (224-241) and his son the royal prince Shapur I, receiving the homage of the Armenians after his victory.

SOUTHERN IRAN (FARS)		IRAN	MESOPOTAMIA
1. Tall-i Djari B	5 500 - 5 000 B.C.	Siyalk I	Hassuna Samarra
2. Tall-i Mushki	5 000 - 4 500	Siyalk II, Giyan VA	Tall Halaf Eridu
3. Tall-i Bakun	4 500 - 3 500	Siyalk III, Susa I, T. Hisar I, Tepe Giyan, VB, C, D	Ubaid and Uruk Period
4. Tall-i Kaftari	3 500 - 2 500	Siyalk IV, Tepe Hisar II	Jemder Nasr Period Early Dynastic I-II Peiod
5. Tall-i Qal'ah	2 500 - 2 000	Tepe Giyan IV	Early Dynastic III Period Akkadian Priod IIIrd Dynasty of Ur.
6. Tall-i Shugha	2 000 - 1 600	Tepe Giyan III	Isin-Larsa Period Old Babylonian Period
. Tall-i Taimuran A	1 600 - 1 200	Tepe Giyan II - I A	Kassite Period
8. Tall-i Taimuran B	1 200 - 1 000	Tepe Giyan I B, Tepe Siyalk V, cometery A Tepe Giyan I C, Tepe Siyalk VI, cemetery B.	Assyrian Period
9. Tall-i Djalabad	1 000 - 700		

الثبت التاريخ

إيران

ق . م .	جنوب	شمال
٦٠٠٠	على كوش	سراب تبه
	قرى زراعية	كهف هونى
	مرحلة نيولاثية	حاج فيروز بالقرب من جانلو
	فخار مصنوع باليد	جودن تبه ٧
٥٠٠٠	خوجه ميش	جودن تبه ٦
	المراحل الأولى من الفخار الملون	حوالى ٥٠٠٠ — ٣٥٠٠ ق.م
٤٠٠٠	يحيى تبه	دلماتية
	(بالقرب من كرمان حوالى	(بالقرب من حسانلو)
	٤٠٠٠ — ٣٨٠٠ ق . م)	
	يحيى تبه ٥	بيسدلى تبه
	حوالى ٣٨٠٠ — ٣٣٠٠ق.م	بالقرب من حسانلو
	(أ — حـ تقابل	
	تل ابليس ٢ و ٣)	
	أوبسيديان	

ق . م	جنوب	شمال
	تل إبليس ٢ و ٣ بالقرب من كومان تمدين مبسكو سوسة أ فخار ملون أسلوب ١ أدوات من النحاس، أختام طابعة تل باكون (بالقرب من اصطخر)	
٣٥٠٠	سوسة ب دولاب الفخار	سيالك الثالثة ، حصار ١٠ فخار ملون ، دولاب الفخار ، أدوات من النحاس أختام طباعة
٣٣٠٠	يحيى تبه ٤ حـ (حوالى ٣٣٠٠ — ٢٩٠٠ق.م) ألواح مكتوبة	جودن تبه ٥ دولاب فخار
٣٠٠٠	سوسة حـ تمدن ، أختام أسطوانية	سيالك ٤ تأثيرات من سوسة إنحدار فى الفخار الملون

ق . م .	جنوب	شمال
	شهر سخطه بالقرب من زابول يحيى تبة ٤ ب (حوالى ٢٩٠٠—٢٦٠٠ ق . م) تقابل سوسة حـ « أقداح حوت » وسلاطين ستيأتيت أختام الخليج العربى	

عصر البرونز

ق . م .	جنوب	شمال
	سوسة د	حصار ٢
	فخار ذو ألوان متعددة	ظهور فخار رمادى مصقول
	(أسلوب ٢)	
	مقابر متطورة مع دفنات عربات	
	الأسرة الأولى — آوان	
	يحيى تبة ٤ ا	جودن تبه — ٤
	بالقرب من كرمان	
	حوالى (٢٦٠٠ — ٢٢٠٠)	يانك تبه
	تقايل شاهداد	مبانى دائرية
	فخار محزوز ومختوم	
٢٥٠٠	سوسة السلطان الأكدى	حسانلو ٧
	سقوط سوسة .	من المحتمل فخار برتقالى ملون
	على أيدى الجوتى (كوت)	
		حصار ٣
		توارنج تبه
		تعدين ، انتشار
		الفخار الرمادى .

ق م	جنوب	شمال
٢٠٠٠	أسرة أور الثالثة	
	تحكم سوسة	
	العيلاميون يدمرون أور .	
	العصر العيلامى القديم	
	ملوك أو سيماش العيلاميين	
	يحاربون أو يتحالفون مع حكم	
	ايسن ، لارسا ، إشنونا	
		حسانلو ٦
		فخار ملون
		يقارن مع فخار خابور
١٥٠٠	العصر العيلامى الوسيط	جودن تبه ب
	غارات كاشية	
	توسع عيلامى	فخار ملون
	أونتاس جال حوالى ٢٠ سنة	
	± ١٢٣٠ ق م	
	هافت تبه (بالقرب من سوسة)	

عصر الحديد

ق . م .	جنوب	شمال
	شوغا زامبيل Choga-Zambil (بالقرب من سوسة)	حسانلو
	كيـدين -- خوطران حوالى ١٢٣٠ ق . م	ظهور الفخار الرمادى
	شوتروك — ناهونتى حوالى ١١٧٠ ق . م	فترة Button-base معاصرة لسيالك / ٥ (A) جيان ١ Giyan
	شيلهاك — أنشوشيناك حوالى ١١٦٠ ق . م	مارليك Marlik (بالقرب من بحر قزوين)
١٠٠٠	عصر عيلامى حديث	حسانلو ٤ معاصرة لسيالك ٦ (ب)
	يحيى تبة ٣ حوالى ١٠٠٠ — ٥٠٠ ق . م .	
٨٠٠		عمارات أورارتية

ظهور الميدين فى أواسط إيران

ق.م.	جنوب	شمال
		بستام Bastam بالقرب من خوى أورارتى
	جميعا بالقرب من همدان	جودن تبه ٢ نـــــوشى — يان — تبه Nushi-jan Tepe بابا — يان — تبه

إيران فى الألف الاول قبل الميلاد

ق . م .

١١٠٠ — ١٠٠٠ وصول أمواج جديدة من الآريين كانون يستعملون فخارا أسودا مصقولا ، واستقرارهم فى شمال وغرب إيران .

٩٠٠ نمو مملكة أورارتو حول بحيرة وان .

٨٣٥ الملك شلمان نصر الثالث ملك آشور يتقبل فروض الولاء من ٢٧ ملك من ملوك بلاد بارسوا (فارس) غرب بحيرة أورميا ويد على بلاد ـ مادا (أعالى الزاجروس) .

٨٢٩ تقريبا أورارتو تستولى على مانناى ومادا من شامشى ـ اداد الخامس الذى حارب رؤساء لهم أسماء إيرانية واضحة .

٧١٢ — ٧٨٢ اداد ـ نيرارى يفرض سلطانه على مادای وبارسوا .

٧٣٠ تقريبا تجلات بلاسر الثالث يحارب أقوام ابيارسوا فى أواسط الزاجروس .

٧١٩ سرجون الثانى يؤسس بارسوماش الوسطى (قرمنشاة) كولاية آشورية .

٧١٥ داياوكسكو (ديوكس عند هردوت) رئيس مانى أوميدى يتحالف مع أورارتو ضد الآشوريين . سرجون يقبض عليه وينفيه .

ق . م .

٧١٢	هووخ شتر (كياخسار) رئيس ثائر فى شمال الزاجروس يدفع الجزية إلى سرجون .
٧١٠	والسنوات التالية . الميديون يكونون مملكة فى شمال إيران .
٧٠٠ – ٦٥٠	أقوام بارسوا تتحرك جنوبا إلى داخـــل بارسوماش (جبال بختيارى) : ٦٩٢ ، سنحاريب يضع فى قائمة أعدائه انشان وبارسوماش .
٧٠٠ – ٦٦٨	الغزو السكيمرى . ثورة مانناى ينضم إليها اشياكايا ، الأسكيذى
٦٧٨	تيوشبا ، رئيس كيمرى ، يكسر سلطان الآشوريين على كردستان .
٦٧٥ (؟)	تياسبس (شيشبيش) ، ابن هاخامانيش من بارسوماش ، يستولى على انشان .
٦٧٤	كاشتاريتو ـ خشاتريتا (فراوريتس بن ديوكس) يقود حلفا من الميديين والماناى والسكيمريين ضد آشور ـ أخ ـ الدين .
٦٧٠	كاشتاريتو يستولى على بارسوماش ويخضع تياسبس لسلطانه
٦٤٠	آشور بانيبال يستعيد بلاد ماناى . وينهب سوسة : فى شمال إيران كان يحكم زندان بالقرب من حسانلو .
٦٥٣ (؟)	موت خشتاتريتا وولاية خووا خشتاترا (كياخسارا ـ كياكسارس الثانى) .

ق . م .	
٦٥٣ ـ ٦٢٥	الأسكيمذيون يسيطرون على غربى إيران .
٦٣٩	قورش الأول يخلف تيهسابس فى بلاد بارسوماش ـ انشان، اريارامنس يخلف تياسبس ويصبح ملك فارس ؟
٦٢٥ ـ ٥٨٥	كياخسارا الثانى (خوواخشاترا) يحكم ميديا ، يهزم الآشوريين ٦١٢ ، دمار نينوى . وفى الشمال زيوية كنز ذهب .
٥٨٤ ـ ٥٥٠	استياجس ايخ تورويكو يخلف كياخسارا فى مهديا .
٥٥٠	قورش الثانى يذكر فى حوليات نبونيد كملك على انشان .
٥٤٩	قورش الثانى يخضع ابن عمه أرسامس ومنذ ذلك الوقت يذكر فى حوليات نبونيد على أنه ملك انشان وبارسو (بارسا)
٥٤٨	قورش يهاجم استياجس جده ويهزمه وينهب أكباتانا .
٥٤٧	والسنوات التالية :قورش يفتح ليديا ويؤسس الإمبراطورية الأخمينية .
٥٣٩	قورش يفتح بابل وولاياتها (سوريا) .

الاسرة الاكمينية

(الأخيمية ــ هاخامنشية)

(للملوك السكيانيين فى الشهقانة)

ق . م .

٦٧٨ ــ ٦٣٩ تأيسبس ، ملك انشان

حـ ٦٣٩ (ابن) قورش الأول كوروش ملك انشان وبارسوماش .

٥٥٩ قمبيز الأول كامبوجيا (كمبوجية) ابن ملك انشان .

٥٥٨ ــ ٥٣٠ قورش (قوروش) الثانى العظيم ابن ملك انشان ٥٤٧ ملك بارختشا (فارس)

٥٢٩ ــ ٥٢٣ قمبيز الثانى ابن .

٥٢٥ قمبيز يستولى على مصر .

٥٢٢ بارديا (سمرديس) . أخو قورش قيل أن قورش قتله ولكن الأغلب أن دارا قتله ليتولى السلطان ، يتزوج إبنة قمبيز ، يمتد سلطانه إلى النيل وإلى الدانوب ، تأسيس عاصمة رسمية للدولة فى برسيبوليس .

٥٢١ ــ ٤٨٦ دارا [داريوش ـ داراياووش] من فرع ثان للأسرة الأكمينية من نسل أريارامنس ملك فارس بين ٦١٥ ــ ٢٤٠ . ثم أربع ملوك غير معروفين مذكورين على صخرة بهيستون . ثم ارسامس

ق . م .

٥٤٨ ملك فارس ثم هيستاسبس ثم إبنه دارا الأول .

٥١٣ — ٥١٢ حملة دارا على الأسكيذيين . رأس حربة فارسية فى تراقيا .

٤٨٥ — ٤٦٥ اكسركسيس الأول ابن دارا (اخشويرش ـ خشيارشا) الحروب الإغريقية .

— ٤٢٥ ارتاكسيس الأول (ابن) (ارتخششتا) (ارتخششتر ـ أردشير)

(اخشويرش الثانى (ابن) حكم ٤٠ يوما ثم اغتاله أخ غير شقيق المدعو سكيدانيوس .

٤٢٣ — ٤٠٤ دارا الثانى اوخوس ابن ثالث لارتاكسركسيس ـ إنفصال مصر .

٤٠٤ — ٣٥٩ ارتخششتا الثانى (ابن) (أرسامس ـ ارشام ـ منمون)

٣٥٩ — ٣٣٨ ارتخششتا الثالث ابن مات مسموما (أوخوس) .

٣٣٨ أرسيس (ارشا) إبنه . مات مسموما وقتل جميع ذريته .

٣٣٦ — ٣٣٠ دارا الثالث قتل بعد هزيمة على يد الأسكندر الأكبر . آخر الأسرة الأخيمنية .

٣٣٤ — ٣٣٠ الأسكندر يغزو بلاد فارس ويحرق برسيبوليس .

٣٢٧ ارتخششتا الرابع (بيسوس) قريب ، قضت عليه جيوش الأسكندر .

٣٢٣ وفاة الأسكندر .

السلوقيون والفرثيون

ق. م.

٣١٢ — ٢٨١ سلوقس الأول نيكاتور مؤسس الأسرة السلوقية

٢٥٠ — ١٧٤ تأسيس أسرة أرشاك البارثية فى خورسان ثم صدام بين القوتين السلوقية والفرثية. إستيلاء البارثيين على الولايات السلوقية.

١٧٤ — ١٢٧ مترادات الأول يوسع الإمبراطورية الارشاكية البارثية. فرات الثانى يهزم سلوقس عام ١٢٩ ق. م.

١٢٤ — ٩١ مترادات الثانى. ذروة السلطان البارثى

٩١ ق. م — ٢٣ ملكا. السلطان البارثى يأخذ فى الضعف بينما يأخذ النفوذ الرومانى فى الازدياد.

٥٣ سحق كراسوس فى حران Carrhae أثنـــاء محاولته غزو الإمبراطورية البارثية.

١١٤ — ٢٤٤م تصدع فى الإمبراطورية البارثية. هزيمة ارطبان الخامس. آخر ملوك البارثيين فى معركة مع أردشير الأول، ملك فارس، ومؤسس الأسرة الساسانية.

ق . م .

باكتريا

٣٢٨ — ٣٢٣ باكتريا تحت حكم الأسكندر .

٢ — ٣٠٢ باكتريا تحت حكم برديكاس (توفى ٣٢١) .

٣٠٢ — ٢٥٠ باكتريا تحت حكم السلوقيين.

٢٥٠ — ١٣٩ ديودوتوس والى بكتريا . استقل بحكمها .

احتل التوخارى (الاسكيذ أو ساكاى) باكتريا حوالى ١٣٩.

ملوك إرشاظ

ق . م .

٢٤٧ (؟)	ارشك ارساكس .
حوالى - ٢١١	تيردت - تيراداتس - بن .
حوالى ٢١١ - ١٩١	ارتبن ، أرطبـــان - أرطبانوس الأولى (أردوان) . ابن .
حوالى ١٩١ - ١٧٦	بريبت برياماتيوس . (فرى بابت) ابن .
حوالى ١٧٦ - ١٧١	برده أو بردتى فراط الأول بن فراتس ابن .
حوالى ١٧١ - ١٣٨	منردت متراداات ، أخ .
حوالى ١٣٨ - ١٢٨	فراط الثانى (فرهاد) . ابن .
حوالى ١٢٨ - ١٢٣	أرطبان الثانى من نسل بريبت .
حوالى ١٢٣ - ٨٧	متراداات الثانى (مهرداد) . بن .
حوالى ٩١ - ٨٨ ؟	جوترز جوتارز .
حوالى ؟ - ٧١	أورود الأول (أرد) .
حوالى ٨٠ - ٦٩	سنتروك (سيناتروكس).
حوالى ٦٩ - ٥٧	فراط الثالث ابن .

حوالى ٥٧ ـ ٥٥	مترادات الثالث ابن .
حوالى ٥٧ ـ ٣٧	أورود الثانى أخ .
حوالى ٣٨ ـ ٢ق٠م	فراط الرابع ابن .
حوالى ٣٠ ـ ٢٥ م	تيرادات الثانى .
حوالى ٢ ق . م ـ ٤ : م.	فراطك (برت ك) ابن فراط الرابع :
حوالى ٤ ـ ٧ م.	أورود الثالث :
حوالى ٧ ـ ١٢ م .	ونوبنس وهو (م ؟) أخ فراطك :
حوالى ١٢ ـ ٨	أرطبان الثالث :
حوالى ٣٦	تيرادات الثالث :
حوالى ٣٩ ـ ٤٧	وردان (ورتان) :
حوالى ٣٨ ـ ٥١	جوتارز (جوترز) أخ :
حوالى ٥١	ونونس :
حوالى ٥١ ـ ٨٠	فولوجاش (ولجش) :
حوالى ٨٠ ـ ٨١	أرطبان الرابع :
حوالى ٧٩ ـ ١١٥	باكورس (بكور) .
حوالى ١٠٩ ـ ١٢٨	أوروس .
حوالى ١٠٥ ـ ١٤٧	فولوجاش الثانى :
حوالى ١٢٨ ـ ١٤٧ ؟	مترادات الرابع .

حوالى ١٤٨ – ١٩٢ فولوجاش الثالث .

حوالى ١٩١ – ٢١٧ فولوجاش الرابع .

حوالى ٢٠٧ – ٢٢٧ ؟ فولوجاش الخامس

حوالى ٢١٣ – ٢٢٤ أرطبان الخامس .

حوالى ٢٢٦ ؟ أرطوازد .

الإمبراطورية الفارسية الحديثة

الإمبراطورية الساسانية

[٢٢٦ م . — ٦٥١ م .]

٢٢٦ — ٢٤٠ م إردشير الأول إرتجزرسس ، إرتشاتر .

٢٢٦ - ٢٢٧ هزيمة أرطبان آخر ملوك الفرثيين وقتله .

إتخاذ طيسفون عاصمة له .

٢٢٩ - ٢٣٢ حربه مع روما .

٢٤٠ — ٢٧١ شابور الأول ابن سابور - شهبور .

٢٤١ - ٢٤٤ الحروب الأولى مع روما .

٢٥٨ - ٢٦٠ الحروب الثانية مع روما أسر عدداً من الأباطرة

الرومان منهم ڤاليريان عام ٢٦٠ .

٢٦ - ٢٦٣ أذينة أمير تدمر يهزم الفرس ويحاصر المدائن.

٢١ - ٧٣ ظهور مانى فى عهده وتأسيس المانوية

٢٧١ — ٢٧٢ هرمز الأول (ابن)

٢٧٢ — ٢٧٥ بهرام الأول (أخ) أعدم مانى .

٢٧٥ — ٢٨٣ بهرام الثانى (ابن) - إمبراطور الروم يستولى على المدائن .

طيسفون ٢٨٣

٢٨٣ بهرام الثالث (ابن) حكم ٤ شهور

٢٨٣ — ٣٠١ نرسى (أخ)

٢٩٦ ـ ٢٩٧ الحرب مع روما

٣٠١ ـ ٣٠٩ هرمز الثانى (ابن) .

٣٠٩ ـ ٣٧٩ سابور الثانى العظيم (ابن) ولد بعد وفاته.

٣٣٧ ـ ٣٥٠ الحرب الأولى مع روما

٣٥٩ ـ ٣٦١ الحرب الثانية مع روما

٣٧١ ـ ٣٧٦ الحرب الثالثة مع روما

٣٧٩ ـ ٣٣٨ أردشير الثانى

٣٨٣ ـ ٣٨٨ شابور الثالث

٣٨٨ ـ ٣٩٩ بهرام الرابع

٣٩٩ ـ ٤٢٠ يزد جرد الأثم (ابن)

٤٠٩ سمح للمسيحيين بالعبادة العلانية ثم عاد فاضطهدم
لمدة أربع سنوات .

٤٢٠ ـ ٤٤٠ بهرام الخامس (ابن) تربى بين العرب

إستمرار أضطهاد المسيحيين و ٤٢٠ ـ ٤٢٢ حرب مع روما .
ثم توقف أضطهاد المسيحيين .

٤٤٠ — ٤٥٧ يزدجرد الثانى (ابن)

٤٤٠ حرب ثم سلام مع روما

٤٥٩ — ٤٨٣ فيروز (بيروز) ابن

٤٦١ أنشاء علاقات مع الصين

٤٨٣ — ٤٨٤ فلجاش بلاش (أخ)

٤٨٥ — ٤٩٨ قباد ابن حكمه الأول أعتناقه المزدكية الشيوعية

وثورة الأمراء عليه

٤٩٨ — ٥٠١ زامسب (أخ)

٥٠١ — ٥٣١ قباد (حكمه الثانى) يسحب تأييده لمزدك

٥٠٣ — ٥٠٥ الحرب الأولى مع روما

٥٢٤ — ٥٣١ الحرب الثانية مع روما

٥٣١ — ٥٧٩ كسرى أنو شروان (ابن قباد)

٥٤٠ — ٥٦١ الحرب ضد روما

ذبح مزدك وإتباعه . وأصلاحات داخلية .

٥٦٧ غزو اليمن وطرد الأحباش من جنوب الجزيرة العربية

التى أصبحت ولاية فارسية

بلوغ الإمبراطورية الساسانية أقصى أتساع لها

٥٧٩ — ٥٨٩ هرمز الرابع ابن هرمزد

واصل الحرب مع روما

٥٨٩ ـ ٦٢٨ كسرى برويز (ابن) ، كسرى الثانى

٦١٠ هزم العرب قوة فارسية فى ذى قار ، وهو يوم مشهور عند العرب

٦٠٨ الجيوش الساسانية عند بيزنطة لأول مرة .

٦١٠ ـ ٦٢٧ الحرب مع روما .

٦١٤ الساسانيون يفتحون أورشليم ويأخذون جزءاً من الصليب الأصلى إلى طيسفون .

٦١٩ غزو مصر .

٦٢٦ حصار القسطنطينية .

٦٢٧ هرقل يهزم الفرس . وهروب كسرى وقتله .

٦٢٩ هرقل يفتح دستسكرد .

٥٩٠ ـ ٥٩١ بهرام الخامس قائد هرب وقتل

٦٢٨ ـ ٦٢٩ قباذ الثانى سيروس (شيرويه) قتل إباه

٦٢٩ مذبحة ١٨ من أخوته ووفاته بالطاعون

٦٢٩ بوران دخت وإزارميدخت كريمتا كسرى برويز

٦٣٠ الرسول عليه الصلاة والسلام يدخل مكة .

٦٢٩ ـ ٦٣٤ عصر فوضى .

٦٣٤ ـ ٦٥١ يزدجرد الثالث حفيد كسرى برويز .

٦٣٣ غزو العرب للعراق بقيادة خالد بن الوليد .

٦٣٤ موقعة القادسية ، هزيمة الفرس .

٦٣٧ فتح طيسفون (المدائن) .

٦٣٩ هزيمة الفرس فى رام ـ هرمز .

٦٤٠ غزو خوزستان .

٦٤٢ معركة نهاوند .

٦٥١ مقتل يزدجرد فى كوخ طحان قرب مرو .

المراجع

١ ـ مراجع عربية

كريستنسن : إيران فى عهد الساسانيين
تأليف آ. كريستنسن . ترجمة دكتور يحيى الخشاب ، مراجعة عبد الوهاب عزام ، القاهرة ١٩٥٧ .

أحمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم .

محمد عبد القادر محمد : تاريخ الشرق القديم
: الموسوعة الأثرية العالمية . إشراف ليونارد كوتريل . تأليف ٤٨ عالما أثريا ، ترجمة دكتور محمد عبد القادر محمد ودكتور زكى أسكندر ومراجعة دكتور عبدالمنعم أبوبكر . ١٩٧٧ .

فيليب حتى : موجز تاريخ الشرق الأدنى . ترجمة .

محمد أبو المحاسن عصفور : معالم حضارات الشرق الأدنى القديم الاسكندرية ١٩٦٩ .

طه باقر : مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة .

نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم . الاسكندرية .

مجموعة من العلماء : تراث فارسى . ترجمة .

كتاب تفسر : نقله للغة العربية : يحيى الخشاب ١٩٥٤ .

تارن : الاسكندر الأكبر . ترجمة زكى على مراجعة محمد سليم زكى .

محمد عبد القادر محمد : الساميون فى العصور القديمة . ١٩٦٥ .

الإمام أبى العباس أحمد بن يحيى بن جابر البلاذرى : فتوح البلدان .

باشراف وليم لانجر : موسوعة تاريخ العالم .

الشهرستانى : الملل والنحل .

الفردوسى : الشاهنامة .

٢ ــ مراجع أجنبية

Clément Huart : Ancient Persia And Iranian Civilization. Translation. Reissued 1972, England.

R. Ghirshman : Iran (Pelican), 1954.

R. Ghirshman. Percia. From The Origins To Alexander The Great. (In. The Arts Of Mankind), 1974, (Thames and Hudson)

A.T. Olmstead : The History Of The Persian Empire, Chicago, 1948

Mary G. Houston: Ancient Mesopotamian and Persian Costume. (London) Second Edition, 1954.

E. Porada : Iran Ancien. (L'Art Dans Le Monde).

Sylvia A. Matheson : Persia. An Archaeological Guide, 1972, (London)